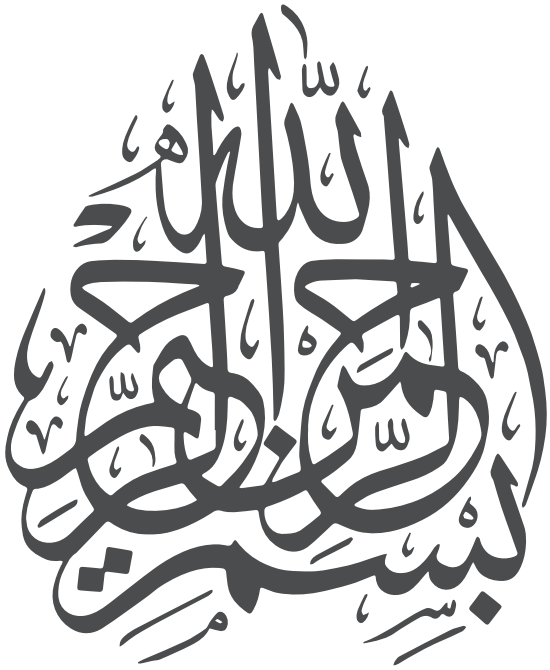
بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان: أَثَرُ الإمامِ الحسنِ ﷺ في المبادئِ التربويّةِ

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية / قسم النشر

الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م. ضياء محمد حسن

الإدارة الفنية : م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي: احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

٢٣٩،٣

أ ٣٤ أثر الامام الحسن (عليه السلام) في المبادئ التربوية/ مجموعة مؤلفين

.- ط١. - كربلاء : جمعية العميد العلمية والفكرية، ٢٠٢٥

١٦٨ ص ؛ ٢٤ سم.

١. الحسن بن علي (عليهما السلام) (الامام الثاني)-٢- اهل بيت النبي.

رقم الايداع

١٩٥/ ٢٠٢٥

اثر الامام الحسن عليه السلام في المبادئ التربوية / مجموعة مؤلفين.-الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، 1446 هـ = 2024.

168 صفحة ؛ 24 سم.

سلسلة اهل البيت ؛ 3

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

ISBN : 9789922680446

1. الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، 3-50 هجري--اراء حول التربية الاسلامية. 2. التربية الاسلامية (شيعة). أ. العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. جمعية العميد العلمية والفكرية. معد. ب. العنوان.

LCC: BP193.12.A3 A84 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الفهرسة أثناء النشر

ISBN:978-9922-680-87-3

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٥) لسنة ٢٠٢٥

سلسلة

أهل البيت (٣)

أثر الإمام الحسن عليه السلام في المبادئ التربوية

المحتويات

١١	**أساليب المعاملة التربوية (الإمام الحسن عليه السلام أنموذجا)**	**أ.د. عبد الواحد حميد الكبيسي** **م.د. ثناء عبد الودود الشمري**
١٢	تمهيد	
١٢	المبحث الأول: معنى الأسلوب	
١٧	المبحث الثاني :علمني القرآن الكريم	
٢٤	الهوامش	
٢٥	**الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام ومفهوم القوة الناعمة**	**أ.م.د عبد الحسين العَمْري**
٢٦	تمهيد	
٢٦	مقدمة	
٢٧	توطئة	
٢٧	فرضية البحث	
٢٨	هدف البحث	
٢٨	مفهوم القوة الناعمة	
٣١	الفكر التربوي الحسني والقوة الناعمة	
٣٢	الفكر التربوي الحسني ومفهوم القوة الناعمة اقتصادياً	
٣٤	الفكر التربوي الحسني ومفهوم القوة الناعمة اجتماعياً	
٤٠	الهوامش	
٤٢	المصادر والمراجع	

٤٣ **القيم التربوية والأخلاقية في المنظور الفكري للإمام الحسن المجتبى عليه السلام** **أ.م.د. صادق كاظم الشمري**
٤٤ تمهيد
٤٤ مقدمة
٤٥ الأمور التي ظفر بها الإمام الحسن عليه السلام
٤٦ اسمه ونسبه
٤٦ شخصية الإمام الحسن المجتبى
٤٧ المكونات التربوية
٤٩ أخلاق الإمام الحسن المجتبى
٥٠ التكافل الاجتماعي
٥١ حسن الاستماع وحسن الاستجابة
٥١ علم الإمام الحسن المجتبى
٥٢ صور من علمه
٥٣ نظرة في العقوبة
٥٥ حكم الإمام الحسن المجتبى
٥٦ أهمية التفكر
٥٨ المصادر والمراجع

٥٩ **الإمام الحسن عليه السلام ومنهجه التَّربوي** — **د. عبد الجبار ثامر الشَّاطي**
د. إقبال وافي نجم
٦٠ المقدمة
٦١ الفصل الأول: لمحة مِن سيرة الإمام عليه السلام
٦١ ولادته وتسميته
٦٢ كُنيته وألقابه
٦٢ صِفته
٦٢ سجاياه
٦٥ فضائله ومناقبه
٦٧ عصره
٦٩ وفاته
٦٩ الفصل الثاني
٦٩ لمحة في تراث الإمام الحسن
٧٠ الحثُّ على طلب العلم والمعرفة
٧٣ تدبر القرآن الكريم
٧٦ مكارم الأخلاق
٨١ الهوامش
٨٣ المصادر والمراجع

٨٥ **المضامين التربوية في فكر الإمام الحسن السبطّ عليه السلام** — **د. وسن عباس جاسم**
د. صبا حامد حسين
٨٦ تمهيد
٨٧ المبحث الأول: الإمام الحسن السبطّ عليه السلام
٨٧ ولادة الإمام الحسن عليه السلام
٨٧ نشأته
٨٨ شخصيته وصفاته
٨٩ هيبته وحلمه
٩٠ الجوانب العسكرية والسياسية في حياة الإمام الحسن
٩٢ المبحث الثاني: المضامين التربوية في فكر الإمام الحسن السبطّ عليه السلام
٩٣ الفضائل التربوية للإمام الحسن عليه السلام وإمامته
١٠٠ المصادر والمراجع

١٠١ **المضامين التربوية في حكم وأقوال الإمام الحسن عليه السلام دراسة في علم النفس القرآني** **م.د. انتظار الحمداني**

١٠٢ المقدمة
١٠٣ المبحث الأول : قبسات من سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام
١٠٦ الإمام الحسن في القرآن الكريم
١٠٧ الإمام الحسن في أحاديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله
١٠٨ المبحث الثاني : المعاني التربوية في روايات الإمام الحسن عليه السلام
١٠٨ فضيلة العقل
١٠٨ فضيلة العلم
١١٠ مودة آل محمد
١١٠ فضيلة قضاء الحوائج
١١٢ المبحث الثالث : التطبيقات
١١٣ الخاتمة وتحديد النتائج
١١٥ الهوامش
١١٧ المصادر والمراجع

١١٩ **الإشراقات التربوية في فكر الإمام الحسن عليه السلام** **م.د. خمائل شاكر الجماليّ**

١٢٠ المبحث الأول: نشأته التربوية
١٢٢ ما ذكر عن الإمام الحسن عليه السلام
١٢٤ إحسانه لمن أساء إليه
١٢٤ المبحث الثاني: إشراقاته التربوية
١٢٧ من الأقوال والحكم التربوية للإمام الحسن عليه السلام
١٢٩ الهوامش
١٣١ المصادر والمراجع

١٣٣ **القيم التربوية في فكر الإمام الحسن عليه السلام _دراسة تحليلية_** **م. عتاب بسيم السوداني**
م. حيدر جابر كاظم الموسوي

١٣٤ المقدمة
١٣٥ الفصل الأول: مشكلة البحث
١٣٦ أهمية البحث
١٣٧ تحديد المصطلحات
١٣٧ تحليل المحتوى
١٣٨ القيم
١٣٩ التربية
١٤٠ الفصل الثاني: الدراسات السابقة
١٤٠ دراسة المذخوري (٢٠٠٧)
١٤١ دراسة القيسي (٢٠٠٨)
١٤١ موازنة الدراستين السابقتين مع الدراسة الحالية
١٤٢ الإفادة من الدراسات السابقة
١٤٣ الفصل الثالث: منهجية البحث
١٤٣ منهج الدراسة
١٤٤ مجتمع الدراسة وعينتها
١٤٤ أداة الدراسة
١٤٧ تطبيق أداة الدراسة
١٤٨ الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها
١٥٦ الفصل الخامس: الاستنتاجات
١٥٧ التوصيات
١٥٧ المقترحات
١٥٨ المصادر والمراجع

١٦١ **قبسات تربوية في فكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام** **م. نسرين حمزة السلطاني**

١٦٢ تمهيد
١٦٣ الفصل الأول: لمحات في تنشئة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام
١٦٥ الفصل الثاني: الآثار العلمية لرسول الله صلى الله عليه وآله في شخصية ابنه الحسن عليه السلام
١٦٧ أقوال تربوية في رحاب الإمام الحسن عليه السلام
١٦٨ المصادر والمراجع

كلمة الجمعية

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ أبي القاسمِ محمّدٍ وعلى آلهِ الطيبينَ الطاهرينَ .. وبعد

اهتم اهل البيت ﷺ ، الائمة المعصومون والقادة الهُداة وأبواب علم النبوة ومعدن الرسالة وبيت الرحمة وألسنة الصدق وأعلام الدين وينابيع الحكم والإرشاد ، ببناء شخصية المسلم المؤمن من جميع النواحي وعلى وجه الخصوص الجانب التربوي والأخلاقي ، لاسيما الامام المجتبى ﷺ، لتأسيس منظومة قيمية أخلاقية تربوية في بيئة معرفية سليمة ..وفي اصدارنا الحالي الذي وسمناه بـ (أثر الامام الحسن المجتبى ﷺ في المبادئ التربوية) ، ضمن سلسلة أهل البيت ﷺ ، تضمَّن عددا من الدراسات العلمية والتربوية ، حول كريم أهل البيت ﷺ وشبيه رسول الله ﷺ خلقاً وخُلقاً وهدياً ، الامام الحسن بن علي المجتبى ﷺ .

اذ تضمن الإصدار الحالي تسع أوراق بحثية ، تناولت أساليب المعاملة التربوية وقيمها الأخلاقية ومضامينها الاجتماعية في المنظور العلمي للإمام الحسن ﷺ والمتمثلة في وصاياه وحكمه وخطبه وآرائه التي سلطت الضوء على سيرة الامام الحسن المجتبى ﷺ وصفاته وسجاياه وفضائله ومناقبه وأقواله ومواعظه التربوية والأخلاقية وأهميتها في رعاية الامة الإسلامية وبناء المجتمع وتراثه الفكري العريق وحثه على طلب العلم والمعرفة والتدبر في القرآن الكريم والتفكر في آياته الكريمة ..

ولاشك في أنَّ قسم النشر يحاول الاحتفاء بالتراث العلمي والمعرفي لأهل البيت ﷺ لإغناء المكتبات الاسلامية بما هو أصيل ، وختاماً نتضرع الى الله سبحانه وتعالى وندعو لكم ولنا بان ينور قلوبنا ويفتح ابصارنا ويشرح صدورنا ويسدد خطواتنا ويحفظنا وأياكم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

جمعية العميد العلمية والفكرية

أساليب المعاملة التربوية

(الإمام الحسن عليه السلام أنموذجا)

أ.د. عبد الواحد حميد الكبيسي

جامعة الأنبار

م.د. ثناء عبد الودود الشمري

جامعة بغداد

تمهيد

قوله تعالى :

*** ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾(طه:١٠٨-١٠٩).**

*** ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾(الفرقان:٢٦).**

*** ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾(النبأ :٣٨).**

هذه الآيات الكريمة وغيرها في معرض الحديث عن يوم القيامة والفصل بين خلق، وعلى رغم أنها مواطن العظمة والهيمنة والسيطرة والجبروت في يوم الحشر :لم يقل للجبار، بل قال : (لِلرَّحْمَنِ) جاء بالرحمة في مقام تنخلع فيه القلوب، تبيانا لهم بأن الله الذي خلقهم ورحمهم في الدنيا قد شملت رحمته واختصت يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ (طه:٤٤) ،هذا مع الفاجر الطاغية فرعون ، فكيف يكون اللين والتسامح مع أبنائنا الطلبة وبقية أفراد مجتمعنا، تيمناً بقول الرسول الكريم ﷺ:(السَّمْتُ الْحَسَنُ وَالتُّؤَدَةُ وَالِاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ) [١]، ويقول أيضاً: (إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)[٢].

كذلك نهج أهل البيت رسول لله عليهم السلام نهج النبي ﷺ و رسموا لنا صوراً مشرقة عن أخلاقهم وحسن معاملتهم الناس ومنهم سيدنا الإمام الحسن عليه السلام، كيف كان سلوكه وحسن تعامله.

ويتكون البحث من :-

المبحث الأول معنى الأسلوب

الأسلوب في اللغة: كل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا أي طريقته ومذهبه، والأسلوب: الفن يقال أخذنا في أساليب من القول أي فنون متنوعة منه، ويجمع على أساليب[٣] .

وفي الاصطلاح : طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير[٤].

حث الإسلام على تهذيب النفوس، وتصفية نفوسهم وتعويدهم على مكارم الأخلاق، حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله الرفق بالأشخاص وعلاج أخطائهم بروح الشفقة والرأفة والعطف والرحمة، ولم يقر صلى الله عليه وآله الشدة والعنف في المعاملة ، وعد الغلظة والجفاء في معاملة الأولاد نوعاً من فقدان الرحمة من القلب، وهدد المتصف بها بعدم حصوله على رحمة الله، فقد روي عنه صلى الله عليه وآله أن الأقرع أبصر النبي صلى الله عليه وآله يُقبِّل الحسن، فقال: "إن لي عشرةً من الولد ما قبَّلت واحداً منهم"، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : (مَنْ لا يَرْحَمِ النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ اللهُ)(٥).

الأسلوب هو حسن التعامل والتصرف في السلوك حتى مع عامة الناس. فأحياناً تحية أو ابتسامة بسيطة بإمكانها أن تسعد من ينتظرك وبالمقابل يكسب الشخص على الأجر والثواب مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وآله:(تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)(٦).

معادلة أجنبية جميلة معبرة يذكر فيها لو أعطينا لكل حرف وزنا (رقما) وفق تسلسلها الأبجدي: مثلًا أول حرف هو (A) و وزنه يساوي ١ ، و الحرف (B) وزنه يساوي ٢ وآخر حرف Z ووزنه يساوي ٢٦ ..، ونوزن أي كلمة بحساب وزن حروفها ،فمثلاً لنزن: العمل الجاد، المعرفة ، الحب، الحظ، المال، القيادة :

(**H+A+R+D+W+O+R+K**) =٨+١+١٨+٤+٢٣+١٥+١٨+١١ = ٩٨٪

(**K+N+O+W+L+E+D+G+E**) =١١+١٤+١٥+٢٣+١٢+٥+٤+٧+٥= ٩٦٪

(**L+O+V+E**) =١٢+١٥+٢٢+٥ = ٥٤٪

(**L+U+C+K**)= ١٢+٢١+٣+١١ = ٤٧٪

(**M+O+N+E+Y**)= ١٣+١٥+١٤+٥+٢٥=٧٢٪

(**L+E+A+D+E+R+S+H+I+P**) =١٢+٥+١+٤+٥+١٨+١٩+٨+٩+١٦ = ٩٧٪

لا شيء مما سبق سوف يعطيك نتيجة ١٠٠٪ الذي نريد ما الذي يتحكم بالمفردات المذكورة أعلاه وكيف نستثمرها نحو غدٍ مشرق وأفضل لمجتمعنا هل هو السلوك (**ATTITUDE**)

مثلا؟ ربما إذا غيرنا سلوكنا وأسلوبنا في التعامل نحقق أهدافا سامية كثيرا ، ما وزن السلوك وفق ما اتبعنا من المفردات المذكورة أعلاه:

(A+T+T+I+T+U+D+E) =١+٢٠+٢٠+٩+٢٠+٢١+٤+٥ = ١٠٠٪

نظرية حققها الإسلام قبل أربعة عشر قرنا ونصف ففي قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم**﴾ (الرعد: من الآية ١١)، لقد غير الرسول الكريم ﷺ سلوك امة مشتتة ، يا سيدي يا رسول الله انت الذي ملأت الدنيا فضلاً، أنت الذي نقلت الهدى إلى أصقاع الأرض كلها، أنت الذي كنت متواضعاً، يا سيدي يا رسول الله يوم كنت طفلاً دعاك أترابك إلى اللعب معهم فقلت لهم أنا لم أخلق لهذا، وحينما جاءتك رسالة الهدى، وحملت أمانة التبليغ، دعتك زوجتك لأخذ قسط من الراحة فقلت انقضى عهد النوم يا خديجة، ولما دانت لك الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها وقفت في الناس خطيباً وقلت: من كنت أخذت له مالاً هذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أسأت له فليطلب ما يريد. يا سيدي يا رسول الله كنت قمة في الكمال، الله عز وجل حينما وصفك قال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم:٤).

وهكذا سار أهل البيت عليهم السلام من بعده على نهج الرسول الأعظم ﷺ والحديث عن التأريخ المشرق الوهاج لهم عليهم السلام من أجمل ألوان الحديث، وسيرتهم العطرة ، وكلماتهم اجمل وأحلى الكلمات، حيث كلامهم نور وأمرهم رشد، ووصيتهم التقوى، وفعلهم الخير وعادتهم الإحسان، وسجيتهم الكرم، وحتى في صغرهم، فذاك الموقف الطريف رغم بساطته إلا ان له دلالات عظيمة.. ولنتعلم من الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ (عندما كانا طفلين): ذات يوم وجد الحسن والحسين عليهما السلام رجلا لا يحسن الوضوء.. فماذا فعلا ؟ انظر إلى فعلهما ولنتعلم منهما الذوق والاساليب المحببة، ذهبا إليه.. فقال الحسن: يا سيدي ، أخي هذا يدّعي أنه يتوضأ أحسن مني ، وأنا أقسم أنني أتوضأ كما يتوضأ النبي ﷺ ، فاحكم بيننا وانظر إلى وضوئه ووضوئي ، ثم قل أينا يتوضأ كما يتوضأ النبي ﷺ. فدخل الحسن وتوضأ ، وأسبغ الوضوء وأحسنه ، ودخل الحسين وتوضأ مثل أخيه. فقال الرجل: والله إني لا أجيد الوضوء كما تتوضآن.

نشأ الإمام الحسن عليه السلام في ظل الأسرة النبوية، وتغذى بطباعها وأخلاقها، روى أنس بن مالك: (لم يكن احد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليهما السلام)،فتربى على يد من؟، الإمام علي عليه السلام هو الذي وضع لولده الحسن قواعد الأدب، والخُلق الكريم، وأصول التربية، وغذاه بالحكمة، ورسم له مكارم الأخلاق، وأمه فاطمة البتول عليها السلام الأم المدرسة الأولى، فقد غمرته بالعطاء والحنان وغذته بالآداب فهي تفاحة الفردوس والوجود، وجوهرة القدس، حج ماشياً الإمام الحسن عليه السلام خمساً وعشرين حجة على قدميه والنجائب تقاد بين يديه، وكان اعبد أهل زمانه، وازهدهم، وأفضلهم، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى بكى، وكان اصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقا، وكان أكرم أهل زمانه فهو من بيت الكرم والجود، وجاءه أعرابي يريد أن يسأله حاجة، فقال الإمام لمن حوله: أعطوه ما في الخزينة. فوجد فيها عشرون ألف درهم، فدفعت إليه قبل أن يسأل. فاندهش الأعرابي وقال: يا مولاي ألاّ تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي، فأنشأ الإمام يقول:

نحن أناسٌ نوالنا خضلٌ * * * يرتعُ فيه الرجاءُ والأملُ

تجودُ قبلَ السؤال انفسُنا * * * خوفاً على ماءِ وجْهِ مَن يَسلُ(٧)

لقد سطر الإمام الحسن عليه السلام اروع الامثلة على حسن المعاملة والحلم حدا بلغ العجب ، حيث اشتهر عنه أنه (حليم أهل البيت)،

كان أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخُلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً، كان يتحدث عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف به وقد نهل من معارف النبوة وتغذى من آداب الرسالة، فصار يقارع بذلك عقول الرجال على صغر سنه، بعد أن يفصح بأبلغ بيان دلائله ويكشف بأوضح بصائر صحيحه، لا سيما وأنه عاش في ظل الوحي ومعدن التنزيل، فلا شك في كونه يسير على خطى السلوك المحمدي ، كان في شمائله آية الإنسانية الفضلى، ما رآه أحد إلا هابه، ولا خالطه إنسان إلا أحبه، ولا سمعه صديق أو عدو وهو يتحدث أو يخطب فهان عليه أن ينهي حديثه أو يسكت، روى لما مات الحسن عليه السلام أخرجوا جنازته فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين: تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعّه الغيظ؟ قال مروان: نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال(٨).

هكذا هو خلق الحسن ﷺ الذي ينبغي على المؤمن أن ينهجه في تعامله مع الناس ، حتى يكون قدوة صالحةً يُقتَدَى بها، وهذه الصفات هي منهج للتعامل الاجتماعي، عمل الإمام ﷺ إرسائه في حياته، وعلى أتباعه ومحبيه أن يقتدوا به في هذا المنهج.

أن الجامعة أصبحت في أمس الحاجة هذه الأيام الى " القدوة الصالحة " لتظهر معانى الصلاح قولا وفعلا لأن قيادات الجامعة وأعضاء هيأة التدريس بمؤسسات التعليم العالي يقع عليهم العبء الأكبر في إعادة الانضباط الأخلاقي والقيمي وعليهم مسؤولية تعميق الانتماء الوطني من خلال برامج حقيقية وفاعلة وليس برامج ورقية يلتزم بتنفيذها الجميع من أجل الوصول إلى الميثاق الأخلاقي بين القيادات الجامعية وأعضاء هيئة التدريس والطلاب وأولياء أمورهم ليكونوا شراكة حقيقية في التميز العلمي والأخلاقي لجامعاتنا ،والكليات والمعاهد التابعة لها لأنه لايرضى أحد لديه إنتماء وطني أن لا نضع خططا من أجل مواجهة العنف داخل جامعاتنا في حين تركز جامعات الدول المحيطة على التميز والعالمية .

إننا يجب أن نقرأ حلم الإمام الحسن ﷺ كمنهج في التسامح الاجتماعي، ونعمل على تأهيل المجتمع بهذه الصفة، ما احوجنا بوصفنا تدريسي في الجامعة بالاقتداء به لمعاملتنا لطلبة، لأنهم هم واجهة من واجهات البلد الثقافية وعلى الجامعة بالدرجة الأولى رعايتهم وغرس الالتزام الأخلاقي فيهم وتكوينهم على أساس من تقديس الأخلاق والحرص على تمثلها في واقع الحياة فهم النخبة التي تمد المؤسسات بالقيادات التي تتكفل بتسيير دفة المجتمع وترسيخ الاحترام للقيم والمبادئ والالتزام بها في كل شأن من شؤون الحياة ،الا انه ومع الاسف هناك من يخرج من هذه القيم السامية ويتصرف من هواء ، فضلا عن ما نلمسه من شكوى الطلبة من بعض التدريسيين من ان:

١-الأستاذ الفلاني وفي المادة الفلانية يقول (عند لقائه في مجموعة من الطلبة وهم يستقبلون عامهم الأول والفرحة لم تسعهم حيث انظموا للجامعة) : لا أحد منكم يخطر على باله أنه سينجح من الدور الأول، أو عند شرحه لموضوع معين يقول الآتي: إن مادة الدرس صعبة جدا وإني متأكد من أنكم لن تفهموها ولو عدت الدرس عدة مرات، أين هذا الكلام من تفعيل البيئة التدريسية؟!

٢-من خلال خبرتنا بالعمل في اللجان الامتحانية نجد أن بعض التدريسيين يعطي الطالب درجة منخفضة جداً تصل إلى الصفر من ٥٠ هل سأل التدريسي نفسه أين درجة يحصل الطالب عليها إذا قرر الهمة والمذاكرة؟ ألم نقتل الأمل عنده ؟

٣-لا يبالي الكثير من التدريسيين عندما يرسب كافة الطلبة عنده وعندما نسأله يقول (وما هي المشكلة؟) أين نحن من الفروق الفردية ؟ محاسبته ومساءلته عند عدم نجاح أحد، ألا يعطي هذا المؤشر عن ضعف طريقة أو أسلوب تدريسه، وحتى على مستوى الدراسات العليا وبعد ان اجتاز الطلبة السنة التحضيرية قد نفاجأ برسوبهم كلهم في مادة معينة وفي الدور الثاني أيضاً ، ونحن في دعوتنا هذه لا نريد النجاح التعسفي ولكن الأسلوب والمعاملة الحسنة لهم وتشجيعهم على الجد والتفوق يزيد من فاعلية البيئة التعليمية.

المبحث الثاني :علمني القرآن الكريم

علمني القرآن أنْ لا تتوق نفسي إلى الانتقام، وأنّ العفوَ والصفحَ والصبرَ يجعلني مع الله وبالله، ويُكسبني صفتي التقوى والإحسان:قال تعالى: ﴿**ولئن صبَرْتُم لهو خير للصّابرينَ*واصبِرْ وما صبرُك إلا بالله ولا تحزَنْ عليهِم ولا تكُ في ضَيْقٍ ممّا يَمْكُرونَ* إنّ اللهَ مع الّذين اتّقَوا والّذين هم مُحسِنونَ**﴾(النحل :١٢٦-١٢٨)،وقوله تعالى ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾ الاسراء ٥٣.

علّمني القرآن: أنَّ الإنسانَ مأمورٌ بحُسنِ الخُلُقِ في أشدِّ مراحلِ الشِّقاق ، وهو الجزم على الفراق ﴿**فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ**﴾ البقرة/ ٢٢٩. عَلَّمني القُرآنُ في فنِّ المُعاملةِ مع النَّاسِ أن أعمَلَ فيهم بما أحِبُّ أن يُعاملني بهِ اللهُ وإن شقَّ ذلك على أمَّارتي بالسوءِ وهوايَ وأبي مرةَ ، وأفدتُّ من ذلك أنَّ اللهَ يكونُ مع العبدِ كما يكونُ عبدهُ مع خلقهِ ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ النور ٢٢.

ومن مآثر إمامنا الحسن عليه السلام أنّ شخصا رآى راكباً، فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام وتبسّم، وقال: "أيّها الشيخ، أظنّك غريباً، ولعلّك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك،

وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنياك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرَّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كبيراً"، فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبّتهم[٩].

وهكذا كان في جميع مواقفه مثالاً كريماً للخلق الإسلامي الرفيع الذي دعا إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(فصلت: ٣٤).

بلغ سلفنا الصالح اخلاقهم وسلوكم العظيم حتى مع الأعداء ويروى عن الإمام علي ﷺ:

في غزوة أُحد يخرج من صفوف المشركين أحد مبارزيهم الأشداء، هو أبو سعد بن أبي طلحة، وينادي علياً ليبارزه، فيخرج عليٌ ﷺ إليه، ويلتقيان في مبارزةٍ ضاريةٍ حامية، ويتمكن سيف عليٍ ﷺ بضربةٍ تطرحه أرضاً، وهو يتلوى من الألم، وبينما يتهيأ عليٌ ﷺ وجهه ليجهز عليه بضربةٍ قاضية ينحسر جلباب الرجل فتنكشف عورته، فيغمض عليٌ ﷺ عينيه، ويغضُّ بصره، ويثني إليه سيفه، ويعود إلى مكانه من الصف .

هذا الإمام العظيم ﷺ أنه ما رأى عورةً قط، فهذه العين لها عبادة، ومن عبادتها أن تنظر في آيات الله، وأن تغض البصر عن عورات المسلمين، ومن علامة المؤمن أنْ يغضُّ بصره عن النساء، لا يمشي وراء امرأة، ولا يصعد الدرج وراء امرأة، فهو دائماً عفيفٌ في بصره، فكان سيدنا علي ﷺ عفيفًا، حتى أن التاريخ يروي أن أحد المقاتلين، وهو يبارز سيدنا عليًّا ﷺ شعر أنه ميتٌ لا محالة، فكشف عن عورته، فانصرف عنه سيدنا علي، فقال أحد الشعراء:

لا خير في ردّ الردى بمذلّةٍ كما ردّها يوماً بسوأته عمرو

أي أنه رد الموت عنه حينما كشف عن عورته، يقول أحد أصحاب النبي ﷺ بعد أن صافح النبيَّ بيده اليمنى: " والله هذه اليد بعد أن صافحت يد النبي ما مسَّت عورتي إطلاقاً ".

ما هذا الحب؟ ما هذا التعظيم؟ ما هذا الولاء؟ صافحت يده يدَ النبي، إذًا: هذه اليد يجب

أن تكون مقدسة طوال حياته، والحقيقة أنّ القتال مشروع، ولكنْ له آداب، وله مكارم أخلاق، فسيدنا علي عليه السلام ما كان يقبل أن ينتصر في مبارزة إلا إذا توافر مع المبارزة صفات البطولة والمروءة والشهامة والعفة إنّ براعة الإمام عليّ عليه السلام في القتال كانت تزلزل خصومه خوفاً وفرقاً وهلعاً، لكن خصلةَ شرف المقاتل في الإمام علي عليه السلام كانت تملأ نفوس خصمه طمأنينةً وأمناً، لأنه لا يغدر أبداً، ولا يقسو، ولا يمثِّل، فقتاله قتال شريف .[١٠]

وهذا الإمام الحسن عليه السلام لقد قابل جميع ما كان يوجه إليه من الأذى والمكروه من خصومه وحساده بالصبر والصفح الجميل حتى اعترف له ألدُّ خصمائه وأنكرهم بذلك، فقد روى المؤرخون أن مروان بن الحكم أسرع إلى حمل جنازته ومشى مع المشيعين والكآبة بادية عليه، فقال له أبو عبد الله الحسين عليه السلام: إنك لتحمل جنازته وقد كنت بالأمس تجرعه الغيظ، فقال: لقد كنت أفعل ذلك مع من يوازي حمله الجبال.

ورأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً لقمة فقال له: (ما حملك على هذا؟) قال: (إني استحي منه أن آكل ولا أطعمه). فقال له الحسن عليه السلام: (لا تبرح مكانك حتى آتيك). فذهب إلى سيده، فاشتراه واشترى الحائط (البستان) الذي هو فيه، فأعتقه، وملّكه الحائط.

وسأله رجل أن يعطيه شيئاً فقال له: (إن المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح أو فقر مدقع أو حمالة مفظعة) ، فقال له: ما جئتك إلا في إحداهن فأعطاه مائة دينار، ثم اتجه الرجل إلى الحسين عليه السلام فأعطاه تسعة وتسعين ديناراً وكره أن يساوي أخاه في العطاء، ثم ذهب الرجل إلى عبد الله بن جعفر فأعطاه أقل منهما ولما قص عليه ما جرى معهما، قال له: ويحك أتريد أن تجعلني مثلهما إنهما غرا العلم والمال غراً.

ويروي المؤرخون عن سخائه أيضاً أن جماعة من الأنصار كانوا يملكون بستاناً يتعايشون منه فاحتاجوا لبيعه فاشتراه منهم بأربعمائة ألف، ثم أصابتهم ضائقة بعد ذلك اضطرتهم لسؤال الناس، فرد عليهم البستان حتى لا يسألوا أحداً شيئاً.

وروى المؤرخون صوراً كثيرة من ألوان بره وكرمه ومعروفه التي كان يُغدق بها على السائلين والفقراء والمحرومين لإنقاذهم ممّا كانوا يعانون من آلام الحاجة والبؤس ابتغاء وجه الله وثوابه لا للجاه ولا للدنيا ولا تدعيم ملك وسلطان ولا لمكافأة على المديح والثناء كما كان يصنع معاوية

وغيره من الأمويين والعباسيين، ومن يتلذذون بالمديح والإطراء والجاه والسلطان. وأخبار كرمه كثيرة لسنا بسبيل استقصائها، وهذا مقدار يسير من أحاديث الرواة عن كرمه ومعروفه وإن كان الكثير ممّا يرويه الرواة يخضع للنقد والحساب، إلا أن القليل المتفق عليه بينهم يكفي لأن يجعله في القمة بين أجواد العرب الذين لا يرون للمال وزناً ولا يحسبون له حساباً.

ويروى أنه قدم على الإمام الحسن ﷺ رجل كان يبغض أباه، وكان هذا الرجل فقيراً ويحاول الحصول على زاد وراحلة، فقال له بعض أهالي المدينة: عليك بالحسن بن علي، فقال الرجل: ما لقيت هذا إلا في الحسن وأبي الحسن، فقيل له: فإنك لا تجد إلا خيراً منه فأتاه فشكا إليه، فأمر له بزاد وراحلة، فقال الرجل : الله اعلم حيث يجعل رسالاته، فقيل للحسن: أتاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت له بزاد وراحلة؟ قال : أفلا اشتري عرضي منه بزاد وراحلة

ومن حسن أخلاقه إمامنا الحسن ﷺ ، انه كان ذات يوم جالساً في مكان ،فأراد الانصراف فجاءه فقير فرحب به ولاطفه وقال له: انك جلست على حين قيام منا أفتأذن لي بالانصراف؟ قال: نعم يا ابن بنت رسول الله.

علمني القرآن: أن اختيار أحسن الطرائق في اساليب المعاملة مع المقابل في الكلام والعمل قوله تعالى:

* ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(الاسراء من الآية :٥٣).

* ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(النحل:١٢٥)

الحسن أن تقول: إن الطبيب الفلاني هو الذي شفا ابني، أما الأحسن فأن تقول: إن الله سبحانه وتعالى هو الذي ألهم الطبيب، ألهمه تشخيص الداء، وألهمه الدواء الناجع، فوفق الطبيب إلى معالجة ابني وشفائه ؟ هذا هو الأحسن.

المعنى الثاني: في المجادلة، في المناقشة لا تقل كلاماً قاسياً، ليس الهدف أن تنتصر على هذا الإنسان، الهدف أن تأخذ بيده، لا تجرحه، لا تحقره، لا تُسَفِّه رأيه، لا تستعلِ عليه، تواضع لمن تعلم، إذا ناقشت أو جادلت فلا تقل: هذا الكلام كذب، إنك بهذا جرحت خصمك وحطمته ! قل له: تعال يا أخي لنفكر معاً في هذا الذي قلته، لنبحث له عن برهان، عن دليل، أين الدليل ؟ ألا تعتقد معي أن هذه الفكرة أصوب من هذه ؟ جادلهم بالتي هي أحسن، إذا أمرت بالمعروف فليكن أمرك بمعروف.

وأحسن اسم تفضيل، لو أن هناك مائة جواب كلها حسنة ابحث عن الأحسن، لو أن هناك مائة جواب تنطوي كلها تحت عنوان جواب حسن، يجب أن تبحث عن الأحسن ! عن الكلمة المؤنسة، الكلمة اللطيفة، الكلمة التي لا تُفَرِّق، الكلمة التي تُجَمِّع، الكلمة التي تُقَرِّب، الكلمة التي تُلَيِّن القلب، هكذا المؤمن، كان عليه الصلاة والسلام ليّن العريكة، يألف ويؤلف، لم يواجه أحدا بما يكره، كان إذا أراد توجيه الناس صعد المنبر قائلاً: مالي أرى قوماً يفعلون كذا وكذا ؟ يكون الذي يريد أن يعظه واحداً، مالي أرى أناساً يفعلون كذا وكذا ؟ ما بال قوم يفعلون كذا وكذا ؟ لئلا يواجه الإنسان بما يكره، إذاً بالتي هي أحسن على وزن أفعل، وأفعل اسم تفضيل، واسم التفضيل يعني أن شيئين اشتركا في صفة واحدة، لكن الأول أكثر اتصافاً بهذه الصفة ! فقد تقول كلمة حسنة، وقد تقول كلمة أحسن، فالله عز وجل يأمرك بأن تقول التي هي أحسن. كم من طلاق، وكم من تشريد أطفال، وكم من خراب أسرة سببها كلمة قاسية من الزوج، أو كلمة قاسية من الزوجة، وكم من شركة فيها الخير العميم، وفيها الرزق الوفير انفصمت لكلمة نابية قالها شريك لشريكه، وكم من مشروع كان يرجى له النجاح تراجع وتقهقر لكلمة قاسية قالها شريك مع شريك، وكم من شيء نعلق عليه الآمال تحطم بكلمة تفوّه بها إنسان بغير حق، لذلك:

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقائه الشجعان[11].

تربى الإمام الحسن عليه السلام من صغر سنه، يأتي إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فيصغي بسمعه إلى حديث جده صلى الله عليه وآله وهو يبث رسالة الله في الناس، وبعد أن يستمع الحسن عليه السلام إلى ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله ينطلق مسرعاً إلى أمه فاطمة عليها السلام فيخبرها بلسان فصيح صادق كلّ ما دار في حديث الرسول صلى الله عليه وآله مع الناس، فيأتي الإمام علي عليه السلام فتخبره فاطمة عليها السلام بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله في المجلس فيسأل الإمام علي عليه السلام عن الذي أخبرها بذلك، فتقول: ابنك الحسن عليه السلام .

فتخفّى عليّ عليه السلام يوماً في الدار ليستمع إلى ما يقوله الحسن عليه السلام من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل الحسن عليه السلام وقد جاء من مجلس الرسول صلى الله عليه وآله فأراد أن يلقي لوالدته الزهراء عليها السلام فارتج عليه الأمر، فعجبت أمه من ذلك فقال الحسن عليه السلام: لا تعجبي يا أماه فإن كبيراً يسمعني واستماعه قد أوقفني فخرج علي عليه السلام إليه فضمه وقبّله.

ومن جهة ثانية نرى أن الإمام الحسن عليه السلام كان منذ صغره يتلقى علوم الوحي من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد تركت التربية النبوية التي نهل من ينبوعها الإمام الحسن عليه السلام آثارا على سلوكياته وهناك شواهد عديدة تكشف تجسيدات التربية النبوية في حياة الإمام عليه السلام غير أننا نختار منها هنا ما يرتبط بالمدة الأولى من عمر الإمام عليه السلام والتي كان فيها ملاصقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهناك قصة توضح الأثر العلمي لرسول الله صلى الله عليه وآله في شخصية ابنه الحسن عليه السلام يروي هذه القصة أحد حواريي رسول الله صلى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان يقول:بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وجماعة من أصحابه، إذ أقبل إليه الحسن فأخذ النبي صلى الله عليه وآله في مدحه، فما قطع رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجر هراوة له، فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قد جاءكم رجل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم، وإنه يسألكم عن أمور، وإن لكلامه جفوة.

فجاء الأعرابي فلم يسلّم وقال: أيكم محمد؟

قلنا: ما تريد؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :مهلاً.

فقال: يا محمد لقد كنت أبغضك ولم أرك والآن فقد ازددت لك بغضاً.

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وغضبنا لذلك، وأردنا بالأعرابي إرادة، فأومى إلينا رسول الله أن اسكتوا.

فقال الأعرابي: يا محمد إنك تزعم أنك نبي، وأنك قد كذبت على الأنبياء، وما معك من برهانك شيء.

فقال له صلى الله عليه وآله : وما يدريك؟ قال: فخبّرني ببرهانك.

قال صلى الله عليه وآله : إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد برهاني. قال: أو يتكلم العضو؟ قال صلى الله عليه وآله : نعم يا حسن قم. فازدرى الأعرابي نفسه، وقال: ما يأتي، ويقيم صبيّا ليكلّمني.

قال صلى الله عليه وآله : إنك ستجده عالماً بما تريد.

فابتدره الحسن عليه السلام : مهلاً يا أعرابي:

ما غبياً سألت وابن غبي ... بل فقيهاً إذن وأنت الجهول

فإنّ تك قد جهلت فإنّ عندي ... شفاء الجهل ما سأل السؤول

ونجراً لا تقسّمه الدّوالي ... تراثاً كان أورثه الرسول

لقد بسطت لسانك، وعدوت طورك وخادعت نفسك، غير أنك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله.

فتبسم الأعرابي وقال له هيه:

فقال له الحسن عليه السلام: نعم، اجتمعتم في نادي قومك وتذاكرتم ما جرى بينكم على جهل، وخرق منكم فزعمتم أن محمداً صنبور - أي لا خلف له - والعرب قاطبة تبغضه، ولا طالب له بثأره، وزعمت أنك قاتله، وكان في قومك مؤنته، فحملت نفسك على ذلك، وقد أخذت قناتك بيدك تؤمّه تريد قتله، فعسر عليك مسلكك وعمي عليك بصرك، وأبيت إلا ذلك، فأتيتنا خوفاً من أن يشتهر وإنك إنما جئت بخير يراد بك. أنبئك عن سفرك، خرجت في ليلة ضحياء، إذ عصفت ريح شديدة، اشتد منها ظلماؤها وأظلت سماؤها، أعصر سحابها، فبقيت محر غماً كالأشقر، إن تقدم نُحِر، وإن تأخر عُقر، لا تسمع لواطئ حسّاً، ولا لنافع نارٍ جرساً، تراكمت عليك غيومها، وتوارت عنك نجومها فلا تهتدي بنجم طالع، ولا بعلم لامع، تقطع محجّةٍ وتهبط لجّة، في ديمومة قفر، بعيدة القعر، مجحفة بالسّفر، إذا علوت مصعداً ازددت بعداً، الريح تخطفك، والشوك تخبطك، في ريح عاصف، وبرق خاطف، قد أوحشتك آكامها، وقطعتك سلامها، فأبصرت فإذا أنت عندنا فقرّت عينك، وظهر دينك وذهب أنينك.

قال الأعرابي متعجباً: من أين قلت يا غلام هذا؟ كأنك كشفت عن سويداء قلبي، ولقد كنت كأنك شاهدتني وما خفي عليك شيء من أمري وكأنه علم الغيب.

ثم قال الأعرابي للحسن عليه السلام: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. فأسلم الأعرابي وحسن إسلامه، وعلّمه رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من القرآن فقال: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأعرّفهم ذلك؟ فأذن له صلى الله عليه وآله فانصرف إلى قومه ثم رجع ومع جماعة من قومه فدخلوا الإسلام، وكان الناس إذا نظروا إلى الحسن عليه السلام قالوا لقد أعطي ما لم يعط أحدٌ من الناس[١٢].

هكذا هو الحسن عليه السلام يتحدث عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف به وقد نهل من معارف النبوة وتغذى من آداب الرسالة، فصار يقارع بذلك عقول الرجال على صغر سنه، بعد أن يفصح بأبلغ بيان دلائله ويكشف بأوضح بصائر صحيحه، لا سيما وأنه عاش في ظل الوحي ومعدن التنزيل، فلا شك في كونه يسير على خطى السلوك المحمدي ولقد قال جده المصطفى صلى الله عليه وآله فيه: (حسن مني وأنا منه).

الهوامش

١- الترمذي ،١٩٣٣، السمت الحسن(الطريقة المستحبة)،التؤدة(التأني في جميع الأمور).

٢- صحيح مسلم

٣- ينظر لسان العرب، ج١، ص ٤٥٦.

٤- ينظر السابق ص ٣١، دفاع عن البلاغة أحمد حسن الزيات، ص ٥٦.

٥- متفق عليه.

٦- أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ وَالتِّرمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ

٧- موقع مركز الامام الحسن لدراسات التخصصية.

٨- ابن أبي الحديد: عبد الحميد، شرح نهج البلاغة ج١٦ ص١٣ دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٩- ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٩.

١٠- موقع الدكتور محمد راتب النابلسي.

١١- موقع موسوعة النبلسي.

١٢- بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج٤٣، ص٣٣٣.

الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام

ومفهوم القوة الناعمة

أ.م.د عبد الحسين العَمْري

كلية الآداب / جامعة ذي قار

تمهيد

أراد البحث من خلال استعراض مفهوم القوة الناعمة بوصفه مفهوماً حديث الاستعمال في الادبيات السياسية العالمية بالرغم من أن اللفظة (القوة) موجودة في المعجمات العربية قديماً وقام البحث بتقسيمه إلى نوعين ، هما القوة الناعمة المشروعة وغير المشروعة ، وبيّن البحث ماهية القوة المشروعة وغير المشروعة ، وأوضح البحث أيضاً علاقة الفكر التربوي الحسني بمفهوم القوة الناعمة المشروعة حصراً ، من خلال استقراء بعض النصوص الحسنية ، من جهة العامل الاقتصادي وأثره على التربية الاجتماعية الفردية والمجتمعية ، والعامل الاجتماعي وأثره على التربية الفردية والمجتمعية أيضاً .

كذلك تناول البحث بشيء من التفصيل بعض المفاهيم الأخلاقية التي يعنى بها المجتمع بشكل فردي أو جماعي ، وخلص البحث إلى ماهية التأثير الذي تمارسه تلك المفاهيم في طبيعة صياغة مجتمع واعٍ قائم على منظومة قيم فاعلة ، وتنشيط الذات القائدة فيه بما يعود عليه بالفائدة .

مقدمة

يعدّ مفهوم القوة الناعمة من المفاهيم الحديثة في الاستعمال اللغوي والسياسي ، تم بناؤه على مقتضيات العمل السياسي العالمي – باستعمال اللغة – الذي تقوم به بعض الدول ذات المصالح المنتشرة في بقاع العالم ، إلا إن ذلك لا يمنع من وجوده استعمالياً فيما سبق من السلوكيات السياسية من خلال اللغة ، التي وجدت في الفكر السياسي القديم ، الإسلامي وغيره ، ولعل فكر الإمام الحسن بن علي ﷺ ، بوصفه سياسياً في جزء مقتضياته ، استطاع من خلال استعماله اللغة ، أن يكشف عورة النظام الأموي ممثلاً بشخصية معاوية بن أبي سفيان، حينما اتفق الطرفان على المصالحة ، أو ما سمّي فيما بعد في الأدبيات التاريخية بصلح الإمام الحسن ﷺ ، وكيف تم بناء الاتفاق في شروطه ، وكيفية العمل الذي كان يقوم به الإمام الحسن ﷺ من خلال استعماله لمفهوم القوة الناعمة المشروعة عن طريق انتقالاته اللغوية المقترنة بالأحداث والوقائع ، وتهيئة الساحة السياسية والعقائدية والفكرية والاجتماعية لقبول النهضة الحسينية المباركة فيما بعد ،

كل ذلك يحاول هذا البحث تناوله من خلال التحليل لمجموعة من النصوص الواردة عن الإمام الحسن صلوات الله عليه .

توطئة

الامام الحسن بن علي عليهما السلام لا يختلف عليه اثنان في أنه السبط الأول لرسول الإنسانية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وهو ابن مدرسة البلاغة والعلم والفكر والتأمل الرباني والزهد عالي المراتب، من جهة الجد والأب والأم والأخ ، وهو ابن إرث اجتماعي ممثلاً بجده عبدالمطلب بن هاشم وأخيه أبي طالب وآبائهما ، وقبل هذا وذاك ، ما تمتع به الإمام الحسن عليه السلام من مواصفات شخصية، نكاد لا نقع على مثيل لها إلا لدى أمثاله من آل البيت عليهم السلام ، وعلى ذلك يعد فكر الإمام الحسن عليه السلام فكراً ناضجاً جداً ، من حيث المرتكزات الفكرية والمنهجية والمعالجات بكافة وجوهها ، وللمسائل الشائكة فكرياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ..الخ ، مما يدل على شمولية الفكر الحسني ورؤيته الثاقبة في كيفية معالجة الوقائع والمسائل والقضايا التي تهم المجتمع والأفراد، بما يحقق الأمن الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع الإسلامي ، ولعل إحدى هذه المرتكزات الفكرية التي يقوم عليها الفكر الحسني ، هو ما درجت على تسميته الأدبيات السياسية واللغوية في عصرنا الحاضر بالقوة الناعمة ، لكننا نجد أن الإمام الحسن عليه السلام قد عالج ذلك المفهوم تطبيقياً من خلال استغلال اللغة وإمكاناتها في تكييف العلاقات الاجتماعية وطبيعتها وأثرها التوجيهي والإرشادي في فضح سلوكيات السلطة الأموية القائمة آنذاك ، من خلال النص اللغوي ؛ لما يحويه النص اللغوي من مقومات تداولية ومؤثرات اجتماعية تأخذ مداها في الفعل التنويري والمقصود في الوقت عينه بما يجعل المجتمع في حالة بحث دائم عن الحقيقة.

فرضية البحث

تقوم فرضية البحث على أساس وجود استعمالي لمفهوم القوة الناعمة في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام ، يحاول البحث تتبعه في النصوص المروية وسبر تلك النصوص لاستجلاء تلك الفرضية .

هدف البحث

يهدف البحث إلى استجلاء تلك الثيمة في الفكر التربوي الحسني ومحاولة سبر غور ذلك الفكر من جهة تأثيره الناعم في هسهسة المجتمع وضرب المعتقدات البائسة من خلال الكلمة النورانية ذات التأثير البعيد زماناً ومكاناً .

مفهوم القوة الناعمة

يعدّ مفهوم القوة الناعمة من المفاهيم الحديثة الاستعمال في الأدب السياسي على وجه الخصوص ، فضلاً عن الأدبيات الأخرى ، ولعل المفهوم اللغوي للمصطلح لا يبعد كثيراً عن المفهوم الاصطلاحي ، فهي في اللغة ضد الضعف ، وهي القوة العضلية للفرد ، وتعني الاقتدار والسيطرة دون منازع ، وقد تأتي بمعنى الجد والعزم وصدق العزيمة ، وما ورد في القرآن الكريم يشتمل على كل تلك المعاني المادية والمعنوية في (٢٦) آية من الآيات القرآنية الكريمة ، ومن ذلك قوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ – الأنفال ٦٠**﴾ ، وقوله تعالى ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ – هود ٥٢**﴾، ما يعني أنواع القوة المادية والمعنوية المتعددة .

وعلى ذلك ، فمرة هي (القدرة على إنشاء علاقة تبعية.... أو القدرة على البقاء على قيد الحياة ... أو هي قدرة شخص ما من خلال العلاقات الاجتماعية على احتلال مكانة يستطيع من خلالها تنفيذ رغباته)[١] ، وعلى ذلك يكون تعريف القوة بشكل إجمالي هي (الوسيلة أو مجموعة الوسائل المعنوية التي تكون في مجملها قدرة طرف معين على تحقيق الأهداف والغايات بشكل مباشر أو غير مباشر)[٢] .

وبناء على ما تقدم ، فالقوة بمعناها المفاهيمي لا تعني القوة المادية تماماً ، بل تعني أشياءً أخرى غير المادة ، ربما يراها البعض هي الخسارة الكبرى ، لكنها في عرف أصحابها هي القوة الحقيقية ، مثال ذلك الاستشهاد الذي يطلبه أصحاب القضايا الإنسانية الكبرى ، ولطالما

صحّت المقولة التي تتردد على الألسنة (اطلب الموت توهب لك الحياة) ، فمن يقوم بعملية القتل للشهيد ليس قوياً بمعنى القوة الحقيقي ، بل هو ضعيف ؛ لأنه لم يستطع التغلب عليه بلغة العقل ، بينما الذي يستشهد هو القوي على وجه الدقة ؛ لأنه طلب الموت لأجل قضيته، وهكذا يتحدد مفهوم القوة في (امتلاك القدرات على التأثير في أسلوب الآخرين لجعل تلك الأشياء تحدث)[٣] ، أي بمعنى آخر هي القدرة على الجذب لا عن طريق الإرغام والقهر والتهديد والضغط ، أي من الممكن جعل الآخر يفعل ما تريد دون أن تمارس ضغطاً عليه أو تجعله تحت التهديد والضغط ، وهكذا يتحدد مفهوم القوة هو (امتلاك القدرات أو الموارد التي يمكنها أن تؤثر على النتائج)[٤] من خلال جعل المتلقي يقبلها ويقتنع بها دون أية مواربة أو شك في ما تهدف إليه ، وهنا يكمن الحذق والذكاء في توظيف القوة الناعمة.

أما إذا قلنا إن مصطلح القوة الناعمة – ذهاباً مع واضعيه – يعني في ما يعنيه أنها (القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً من الإرغام أو دفع الأموال)[٥] أي من خلال استغلال أمثل للمفاهيم الثقافية التي تلامس مشاعر الفرد البشري وتقع منه موقعاً حسناً باحثاً عن التأثير على منظومة القيم الأخلاقية التي يمكن أن تشيع وسط أفراد المجتمع البشري ، لا على أساس ما قصده المفكر الأمريكي من تحطيم للقيم الاجتماعية والأخلاقية وتهشيم الحواجز النفسية التي تعمل بوصفها مصدّات للحؤول دون الانهيار الأخلاقي للمجتمعات البشرية ، بوضعه لهذا المصطلح[٦] ، فذلك ما يتوخاه البحث في مقاربته للفكر التربوي الحسني من استعماله اللغة وما تتيحه لمستعملها من إمكانات وفق ما لديه من قدرة للتعامل مع معطياتها وحشد أكثر المعاني في أقل الألفاظ ، وهنا تكمن تلك القدرة في تثوير إمكانات اللغة .

ولابد من فهم مسألة مهمة في هذا المجال ، ألا وهي أن (أي تواصل لغوي لا يتحقق بين الناس إلا بالمفاهيم)[٧] ؛ لأن (المفاهيم هي ما يجعل الإنسان يفرّق بين شيء وشيء ، وكائن و كائن ، وكيان و كيان)[٨] ، مما يعني أن هذه المفاهيم بحاجة إلى تنسيق فيما بينها لتكون قادرة على اختزال المعنى في ملفوظات قليلة جرى تحديد انتاجها في مصدرين يقر بهما أهل العقل

التجريبي ، وهما (الإنسان في كليته ، والسياق في شموليته)[٩] ، وهذا المعنى هو ما تختزله الكلمات الواردة عن الإمام الحسن ﷺ بما يجعلها تأخذ مصداقيتها من قائلها بوصفه قد جرّب تلك المفاهيم في بعديها أو مصدريها ، وهو ما تفتقده كثير من المقولات عند غيره ممن هم ليسوا على شاكلته .

وبناء على ذلك ، رأينا من واجبنا محاورة النص الحسني في جانبه التربوي ؛ لما يحويه من مرتكزات فكرية وتطبيقات عملية تصلح للدرس والتحليل ، بل لا يمكن تجاوز الحقيقة إذا قلنا إن النص الحسني نص مكتنز بمفاهيم شتى ، بالإضافة إلى تطبيقاتها العملية التي تقوم على التنوع الاستعمالي مع المجتمع بما يحرك فيه روح المبادرة والتعاون لكي يرسم خطاً بيانياً متصاعداً في الحياة ، ولعل الإشارة التي يحملها الحديث النبوي الشريف الذي يصف فيه الامام الحسن ﷺ وصفاً دقيقاً يوضح فيه تلك الامكانيات العقلية التي انطوت عليها شخصية الإمام ﷺ ؛ إذ ورد عن النبي الكريم ﷺ أنه قال (**لو كان العقل رجلاً لكان الحسن** ﷺ)[١٠] ، في سياق كلام نصّ فيه على جملة من المميزات التي انماز بها آل البيت ﷺ ، وخص الإمام الحسن ﷺ بذلك دون سواه، مما يعني أن هذه الصفة تتوافر فيه بشكل جلي ، في الوقت الذي لا يعني أن الآخرين لا تتوافر بهم هذه الصفة.

ومن هنا جاءت محاولة اقامة حوار بنّاء مع النص الحسني في مفهوم القوة الناعمة المشروعة ، وليس التدميرية للمجتمعات كما يرسمها الخطاب الاعلامي الأميركي ، من خلال استعماله للتقنيات الاتصالية التي استطاع بوساطتها أن يجعل العالم قرية واحدة ، يضاف الى ذلك استغلال تلك التقنيات في تشويه الأفكار وتشويشها ، وتخريب منظومات القيم الأخلاقية التي تقوم عليها ثقافات الشعوب بغية تسهيل مهمة السيطرة عليها عن طريق ما اصطلح عليه بالقوة الناعمة (غير المشروعة) ، ولا بد من التأكيد على غير المشروعة هنا ؛ لأن في القوة الناعمة جانباً مشروعاً تحض عليه منظومات القيم الأخلاقية في كل الديانات ، من الصدق والإخلاص والوفاء والنصيحة ..الخ ، وهو ما يقصده النص الحسني ويتوسمه من خلال بث أفكاره التربوية بين أفراد المجتمع ، وهناك الجانب غير المشروع في القوة الناعمة ، الذي تسعى

إليه الولايات المتحدة _كما أسلفنا_ من خلال استعمالها لمفهوم العولمة وتطبيقاتها في السعي إلى تحطيم منظومات الشعوب القيمية ، سعياً للهيمنة عليها .

الفكر التربوي الحسني والقوة الناعمة

إن أحد الجوانب المهمة التي يتجلى فيها مفهوم القوة الناعمة في الفكر الحسني ، هو الجانب التربوي الذي يكاد يأخذ حصة لا بأس بها من الفكر الحسني ؛ إذ إنه يتطلع في بنيته الأساسية إلى بناء الإنسان قبل أي شيء آخر ؛ لأن ذلك يعدّ المدماك الأساس وحجر الزاوية في أي بناء اجتماعي عام وصولاً إلى التغيير العام في الحياة بكافة أشكالها ؛ لأن المنهج التغييري لا يمكن أن يصيب النجاح ما لم يكن يسعى إلى بناء الإنسان على وفق أسس صحيحة تتمثّل الفكر الصحيح الذي تؤمن به ، ويؤمن به فيما بعد المجتمع فعلاً وقولاً .

وعلى ذلك يتدرج النص الحسني في بناء هرمية فكرية تربوية تقوم على أساس التحذير غير المخيف باستعمال القوة التربوية الناعمة ، في الوقت الذي يحرّض على المبادرة بالفعل الايجابي؛ لكي يسهم في الدفع باتجاه البناء التصاعدي ايجابياً ، ولعل اللغة بوصفها نظاماً تتحدد فيها مهمة الاشارات اللغوية بقيمتها الموضوعية في نظام اللغة الرمزي ، وهو مما يستوجب معرفة الحالة النفسية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع من خلال فهم ماهية السمات الاجتماعية للغة ، ومعرفة طبيعة البنية الاجتماعية التي تقوم على أساس صيغ الوعي الجمعي الفاعلة في مسألة التلاحم الأخلاقي أيضاً ، كما أن الرؤية القائمة على مبدأ تثبيت الوعي الاجتماعي بطريقة الضخ الفكري من خلال اللغة والدراية الكاملة بديمومتها ، تسهم بشكل لا يقبل اللبس في الزام المجتمع كلياً أو جزئياً في فهم طبيعة ذلك الضخ تربوياً وقيميته العالية بعد فهم تراكيبه اللغوية ؛ لكون أن (اللغة ظاهرة اجتماعية تتسامى فوق وعي الفرد وتجبره على تقبلها)[11] ؛ لأن اللغة ليست مجرد وعاء للفكر وأداة تواصلية بين أبناء البشر ، بل هي التي تشكل رؤيتنا وسلوكنا وعليها يتوقف أداؤنا الاجتماعي الشامل ، فحياة المجتمع مرتبطة أشد الارتباط باللغة ووجودها وحياتها ، ولا بد أن يجري ذلك بعيداً عن الإدراك العادي للغة التداول اليومي بما يؤدي إلى الإخفاق في رؤية الأشياء على حقيقتها ، بما يعني تجريد الإدراك من العرفي والانحياز

إلى العقلي المتوائم مع اللغة بوصفها نظاماً كونياً حالها في ذلك حال أنظمة الكون الثابتة الأخرى .

ويقوم الفكر التربوي الحسني في بنائه الهرمي لفظياً على ما تتيحه اللغة ؛ بوصفها وسيلة الاتصال المثلى ، والكيان الذي يستطيع احتواء الأفكار مهما بلغت ، كما أن اللغة بما تمتلكه من نظام سيميائي تواصلي لا يتعبه كرّ الجديدين ، لأن الحاجة تبقى قائمة إليها ، والتوسع في دلالاتها من خلال الاستعمال اليومي فردياً وجماعياً مستمر باستمرار النوع البشري ، فهذا يعطي العلاقات الانسانية بين افراد المجتمع بعداً تواصلياً قائماً على التأثر والتأثير دون أن يكون ذلك مدعاة للاستلاب أو السلب لماهية الأفراد ، لا فئوياً ولا فردياً ، بل هو سعي حثيث للتكامل البشري في مناحي الحياة كافة .

الفكر التربوي الحسني ومفهوم القوة الناعمة اقتصادياً

تكشف اللغة عن أسرار الفكر الذي ينتجها ؛ إذ إن ذلك يتأتّى للمتلقي من خلال تحليل رموز وشفرات تلك اللغة حينما يستلّ منها المتكلم مجموعة ألفاظ يحولها المتكلم إلى سياق يحمل فكرة كانت مجردة في ذهن صاحبها ثم تحولت إلى تطبيق لفظي قبل وقوعها إلى عالم التطبيق العملي ، ومن هنا تبدأ رحلة الفكرة التربوية التي تسعى إلى ان تختط لها طريقاً في التطبيق العملي اليومي الفردي والمجتمعي .

ولعل من أهم الجوانب التي تؤثر في السلوك الفردي والمجتمعي هو الجانب المادي الذي يكاد يستحوذ على الحصة الكبرى من هذا السلوك ؛ لذلك لم يكن الإمام الحسن ﷺ غافلاً عنه وعن تأثيراته إيجاباً أو سلباً .

فحينما يُسأل الإمام الحسن ﷺ عن الزهد وماهيته وكيفية أن يكون الإنسان زاهداً يكون جوابه عن ذلك بأن الزهد هو (**الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا**)[١٢] ، تنبني فكرة النص على مرتكزين متضادين شكلاً متطابقين مضموناً ، ولا بد من رؤية تحليلية لذلك ؛ لكي يتبين التضاد والتطابق في النص المذكور .

إن تحقق تلك الرؤية التحليلية يتطلب فهماً لماهية الكلام الذي يحوي تلك الفكرة التي

يتضمنها النص ، يقوم ذلك على مبدأ تعرية الواقع وتطويعه سلوكياً ، حتى يتمكن الفرد من مواصلة المنهج النابذ للطاعية القائمة على حشد الغرائزية المتلهفة للاستحواذ على ما في الدنيا من امكانات ؛ لأن ذلك المنحى هو أحد السبل الفاعلة في عملية الصراع الوجودي بين الخير والشر ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين الحق والباطل ، بين العدالة والاستبداد ، فالبعد الاقتصادي الذي تختزله المقولة الحسنية ، جزء من صورة ذلك الصراع الأزلي ، وعلى هذا كانت كلمة الإمام الحسن ﷺ في هذا المضمار ، تعدّ تشخيصاً دقيقاً لطبيعة ذلك الصراع وماهيته ، وكيفية التعامل معه من وجهة نظر فكرية ، أولاً ، ومن وجهة نظر منهجية ، ثانياً ؛ إذ إن مفهوم الزهد الذي تناوله الإمام الحسن ﷺ في بيان حدّه التعريفي ، قطعاً لا يقصد به ذلك الزهد السلبي الانطوائي المنكفئ على ذاته نكوصاً وهروباً من الواقع ، بل هو يعني الرغبة في الحياة ، لكن الحياة الكريمة التي يتوازن فيها طرفاها من حيث الانتماء للدنيا من جهة ، والنظر إلى الآخرة من جهة أخرى ، وهو عمل زهدي ايجابي وليس سلبياً ، بمعنى أن التعبير عن وجه الحقيقة لا يمكن أن يكون منفصلاً عن الحقيقة ذاتها ؛ لأنها معنية به وهو معنيّ بها ، وهكذا الرغبة والزهادة اللتان جاءتا في النص الحسني ، بوصفهما متعارضتين من جهة الشكل ، متكاملتين من جهة المعنى ؛ لأننا لا بد أن نتصور أن الاستعمال هو الذي يبني المعنى ، وبوصف الامام الحسن ﷺ ينتمي إلى المنظومة القيمية الإسلامية في أعلى تشجيراتها ، فهذا يمنحها مصداقية التشخيص النظري من جهة ، ومصداقية الاستعمال من جهة أخرى ، وهكذا يأخذ النص الحسني مفعوله النظري والتطبيقي من الجهة الناطقة له وبه .

ومن خلال الخطاطة الآتية يمكن توضيح طبيعة التعارض والتكامل بين المفردتين ، ومفهوم التواشج في المعنى بين اللفظتين :

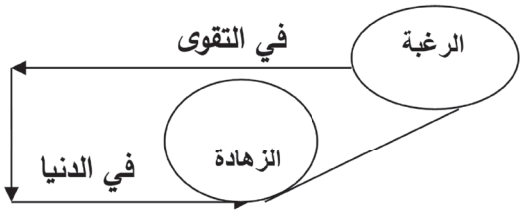

وقد استثمر النص المعطيات الصوتية في المفردات لكي يجعل هناك نوعاً من التناغم بالمعنى بين تلك المفردات ؛ بوصف الصوت يعطي المتلقي مساحة من التأمل لحظة التلقي لفهم المعاني التي يتوخاها واستجلابها من خلال رسم خط بياني متصل بين الصورة الذهنية المتحصلة والصورة الواقعية للّفظة ، ما يفتح أمامه أفقاً في الرؤية التخيّلية للمعنى ذاته ، ومن خلال ذلك يتم التواصل بين التصور الذهني مع المنظور الواقعي في توليفة لا تتناشز فيها مع المعنى ، ولا تتطفل فيها المفردات خارج المطالب التي تتوخاها ، كما أن النص بنى معماره اللفظي في ذينك الجملتين المتعانقتين اللتين تكادان تضبطان ايقاعهما عروضياً وصوتياً بما ينسجم مع حركة ايقاع الحياة المنتجة ، لا على أساس السلبية التي تبدو لأول وهلة للمتلقي من خلال القراءة الانطباعية أو الشكلانية لمفهوم الزهد وعلاقته بالتقوى ؛ إذ تقوم مثل هذه القراءة على الظنون والتوهم والفهم المغلوط لماهية التقوى وعلاقته بالزهد من حيث تبادل الأدوار الدنيوية والأخروية .

الفكر التربوي الحسني ومفهوم القوة الناعمة اجتماعياً

ويقوم الفكر التربوي الحسني في بعده الاجتماعي على طبيعة الارادة الحرة التي تصنعها الذات من خلال انسجامها مع الرؤية الاعتقادية الصحيحة بعيداً عن القسرية في التنفيذ على أساس المعتقد شعائرياً أو لفظياً ، بل تطبيقياً سلوكياً بما يجعل المعتقد نسق حياة وطبيعة سلوك وهو ما يريده أو يتوخاه البعد الاجتماعي في الفكر التربوي الحسني ، وهو ما قصده الإمام الحسن عليه السلام حينما سئل (ما الحلم ؟ ، قال : كظم الغيظ وملكُ النفس)[١٣] ، بما أن (اللغة تساعد على تنشئة وعي الفرد وتشكيله الاجتماعي بصورة قوية)[١٤] ، فذلك يعني أن استعمال اللغة بطريقة تقوم على أساس السؤال والجواب في التعامل مع المجتمع تسهم في البناء الاجتماعي؛ لأن ذلك يقوم على مبدأ المغايرة القائم على الأساس الثنائي في التعاطي مع الأشياء وتبيانها، مع الأخذ بنظر الاعتبار التلقي الجمعي الذي يتخذ من هذا التبادل في الأدوار بين السؤال والجواب قاعدة انطلاق راسخة ؛ لأن تأمين مبدأ الحوار الناضج يجب أن يأخذ مصداقية وجوده وتعاطيه مع حركة المجتمع من شيئين مهمين هما:

١-مصداقية القائل أو اشتهاره بذلك ، فذلك يمنح النص بعداً اجتماعياً فاعلاً .

٢-مصداقية تطبيقه من قائله ، وهذا يمنح النص بعداً تطبيقياً في المجتمع يجعله مستساغاً بالتضامن مع الفقرة (١) .

ومن هنا يتبين لنا أن تحديد المنهج السلوكي اجتماعياً يعدّ عنصراً مهماً من عناصر التحكم الفاعل في المجتمع ؛ لذلك جاء النص الحسني مبنياً على ركيزتين مهمتين في السلوك لدى المجتمع ، هما (كَظْمُ الغيظ ، مَلْكُ النفس) وهاتان الجملتان اللتان احتوتا تينك الركيزتين في المنظومة الأخلاقية التي ندب إليها الإمام الحسن ﷺ المجتمع أفراداً وفئات لا يمكن غض النظر عن التكوين الجملي ؛ لأن الخطاب جاء بصيغة جواب عن سؤال ، وهذا لا يقدح في عموميته ؛ لأن منظومة القيم الأخلاقية التي تنص عليها تعاليم الدين الإسلامي من خلال فهمنا معطيات النصوص القرآنية والسنّة النبوية الشريفة وأحاديث الأئمة ﷺ والصالحين ، تؤكد على ضرورة اتباع مثل تلك السلوكيات لتوفر للأفراد فسحة من التآلف الاجتماعي والإحساس بالشعور الأخلاقي الجماعي .

إن الاعتماد (على تحليل الصيغ اللغوية التي تستقر عليها الأفكار والمعرفة)[١٥] التي تحوي أو تضم بين طياتها مفردات أخلاقية ، هو من بين أهم الوسائل التي تسهم في بناء الفكر التربوي اجتماعياً ، وعلى ذلك ، نجد أن المقولات الحسنية تستعمل الصيغ الاسمية دون الفعلية غالباً ؛ لما لذلك من ثبات في الفكرة ، وقدرة عبر- زمانية ومكانية تستطيع الولوج إلى الأفراد من خلال تبنيهم منظومات قيمية قائمة على أساس العلاقة الإنسانية ، بما يجعل تلك المقولات ذات بعد انساني ؛ لأن (المعنى مرتبط ببناء وإنتاج اجتماعي منظم)[١٦] ، وهذا يحصل من خلال مجموعة وسائل ، وفي مقدمتها الاتصال اللغوي بين أفراد المجتمع ، مقترناً بالاتصال السلوكي*- من وجهة نظرنا- الذي هو الصورة الواقعية للاتصال اللفظي أو اللغوي بين أبناء البشر ، فهو ضروري لربط أفراد المجتمع والجماعات بعضها ببعض ؛ لأجل ايجاد منظومة قيمية يتفاعل من خلال الأفراد فيما بينهم ، وهو أيضاً (ظاهرة اجتماعية تخضع للدراسات السوسيولوجية والاثنية والانثربولوجية)[١٧] ، تقوم على محاولة فهم التواصل النظري والعملي بين الأفراد ،

وهـذا مـا أراده النـص الحسـني حينـما ربـط بـين (كظـم الغيـظ وملـك النفـس) ، والكَظـم والمَلـك كلاهمـا يقتربـان بالمعنـى بشـكل كبـير ، وكذلـك ربـط بـين الغيـظ والنفـس ؛ لأن الغيـظ هـو هيجـان بالمشـاعر الناقمـة وهـو افـراز نفسـي لا يمكـن ضبطـه إلّا مـن خـلال العقـل والتعقـل ، وهـو مـا عنـاه بكظـم الغيـظ ، وبذلـك يجـري التأسـيس الصحيـح لمفهـوم تكامـل القيـم الأخلاقيـة ، فهـي ترفـد بعضهـا بعضـاً لصناعـة منظومـة قيميـة تجعـل مـن حيـاة الفـرد والجماعـة ذات أبعـاد إنسـانية رائعـة ، ومـن خـلال مـا يمكـن تسـميته بـ(تحليـل القـوة السـلوكي)[١٨] ، يسـتطيع المتكلـم والمرشـد والمصلـح أن يعـرف إلى مـاذا ينتهـي مـن خـلال اسـتعمال القـوة الناعمـة ، وهـو مـا كان الإمـام الحسـن عليه السلام يدركه في اسـتعماله القـوة الناعمـة في طيـات فكـره التربـوي الهـادف .

إن الفكـر التربـوي الحسـني في جانبـه الاجتماعـي يبنـي معمـاره الفكـري التطبيقـي عـلى أسـاس مـن متانـة اللغـة وجزالـة المعنـى باسـتعماله الجمـل الاسـمية ، مـا يعطيـه ديمومـة الوجـود والتفاتـة الدلالـة التـي تقـود الـذات إلى فهـم أهميـة التواصـل اللفظـي وغـير اللفظـي ؛ لأجـل ايجـاد نمـط مـن الوسـائل الخادمـة في البنـاء الاجتماعـي بشـكل أمثـل .

ومـن ذلـك قولـه حينـما (**سـأله رجـل أن يُخليـه ، قـال عليه السلام إيـاك أن تمدحنـي فأنـا أعلـم بنفـسي منـك ، أو تكذبنـي فإنـه لا رأي لمكـذوب ، أو تغتـاب عنـدي أحـداً ، فقـال لـه الرجـل : أتـأذن لي في الانـصراف ، فقـال عليه السلام نعـم إذا شـئت**)[١٩] .

إن فكـرة تطويـع النـص العمـلي بشـكل غـير عفـوي لصالـح المفهـوم النظـري ، دون النظـر إلى معطياتـه التطبيقيـة أمـر مرفـوض ؛ لأن النـص غنـي بذاتـه ، قـادر عـلى أن يخلـق نظامـه الإشـاري تداوليـاً بغيـة الوصـول إلى مـا يريـد ، وفي المفهـوم التـداولي يـرى أحـد علـماء التداوليـة أن هنـاك قواعـد وأسسـاً يقـوم عليهـا التحـادث[٢٠] ، وهـذه القواعـد هـي الكـم ، النـوع ، الصلة ، والأسـلوب، ويمكـن توضيـح ذلـك كالآتي :

١-**الكـم** : تعنـي أن الإسـهام إبلاغـي مطابـق للحاجـة غـير زائـد عليهـا ، وهـو مـا نجـده في النـص الحسـني ؛ إذ اختـصر التحـادث ضمـن مـا يتطلبـه الحـدث الكلامـي لحظـة التواصـل.

٢-**النوع** : والمقصود التحدث بزيفه مع علم المتكلم به بأنه ينقصه الدليل على صحته .

٣-**الصلة** : أن يكون الكلام ذا صلة بالموضوع المعروض .

٤-**الأسلوب** : سهولة التعبير ودقته وسهولة فهمه من الآخر وتحاشي الغموض قدر المستطاع .

وعلى ذلك ، يمكن مقاربة النص الحسني من خلال تلك الأسس والقواعد المذكورة ، يبدأ النص بشكله الحواري من الطرف الآخر بسؤاله الإمام ﷺ أن يخليه بمعنى أن يسمح له بمدحه ، وفي ذلك انتقاص للشخصية البشرية فالمدح ليس مرغوباً عند الإمام ﷺ ، فمن يحتاج المدح هو من يشعر بالنقص لكي يغطي على نقصه ، أما الإنسان الكامل فلا يحتاج إليه ؛ لأن (الذات المستقلة هي التي تتصرف بناء على تمثلات وليست تحت تأثير دوافع ميكانيكية[٢١]، وهذه الذات المستقلة هي الذات التي كوّنتها التربية المستقلة النائية بنفسها عن مؤثرات المحيط السلبية ، والتقاطها المؤثرات الإيجابية ؛ لأنها قد توافر لها من قوة الفرز ورهافة العقل وشفافية الرؤية ما يجعلها تتحول إلى مثال ناطق يسير على الأرض ، وهذه النطقية المثالية إنما تستعمل الحوارات الثنائية أحياناً ، والحوارات الجماعية أو الخطابات وسيلة لبث الروح التربوية الهادفة في نفسية الأفراد والتجمعات ، لذلك كان الرد من الإمام ﷺ حازماً حينما قال له (**إياك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك**) بأسلوب تحذيري (**إياك**...) ، وقد بُني النص من خلال تقديم غير المعلوم على المعلوم ، فالرجل لم يقل شيئاً سوى أنه طلب من الإمام أن يخليه ، بمعنى السماح له بقول شيء معين ، وفي التماعةِ فهمٍ عرف من خلالها الإمام ﷺ أن الرجل يريد مدحه، وهو أسلوب درج عليه الشعراء والخطباء ممن يطلبون المال من الأمراء وأهل الجاه ، فكان التحذير سابقاً الفعل ؛ لأن النص الأدبي (يعمل كنظام إشاري من الدرجة الثانية حيث يعتمد اللغة ويتخذها أساساً تعمل فوقه تلك الكفاءة الأدبية)[٢٢] ، بعدها يفصح النص عن السبب التبريري للفعل التحذيري قائلاً (...**فأنا أعلم بنفسي منك**...) وهو يمارس عملية الكشف الوظيفي الحقيقية من خلال إظهار علاقتها بالوظيفة المحمولة فكراً والتي لم تزل في البنيات الفكرية في ذهن القائل ولم يتم النطق بها لكن السياق العام للكلام دلّ عليها ، كما عمد النص إلى عملية إبلاغية تقوم على المجانسة المفهومية[٢٣] بين الأفكار التي اقتنصها النص

بوصفها تتناظر مع السلوكيات اليومية التي تواضع المجتمع على نبذها ضمناً أحياناً، وعلناً أحياناً أخرى، لذلك قال (...**أو تكذبني فإنه لا رأي لمكذوب**...) وتكذبني هنا بمعنى تكذب في حديثك إليّ، وبالنتيجة يأتي تقرير الحقيقة التي ربما لا يريدها الكثيرون ممن يمارسون الكذب في حياتهم اليومية، تلك الحقيقة هي أن الكذوب لا رأي له؛ إذ إن الرأي هنا ليس بمعنى وجهة النظر –حسبما أرى– بل بمعنى العقل الذي يقوم بإلغائه الكاذب لحظة كذبه، باعتبار أن العقل مخلوق مجرد يمثل الحقيقة الوجودية الكبرى ولا يمكن للحقيقة الوجودية الكبرى أن تتحول في لحظة أو برهة زمانية إلى شاهد زور على الكذب، بل سيقوم الكاذب بتغييب عقله لحظة انغماسه بالكذب، ومن هنا كان النص الحسني دقيقاً في التشخيص، وفي دقة المعالجة من خلال استعمال اللغة المشتركة التي اعتمدت على المجانسة المفهومية كما سميناها – قبل قليل– بين الافكار التي توافر عليه النص.

إن وجود المعايير التي يقوم على أساسها الاستعمال اللغوي، له أهمية قصوى في عرض شمولية اللغة بهيمنتها على الطرق اللغوية ذات الاستعمال اليومي التي ترتبط بالفئات الاجتماعية ذاتها، تلك التي تمارس التدليس في الخطاب اليومي دون التدقيق أو على الأقل، النظر الجيد لماهية تلك الطرق من خلال مطابقتها للغة العامة في عملية تغطية النشاطات التي يقوم بها المجتمع.

وعلى ذلك استمر النص في بيان تلك النقاط المهمة في المسيرة الاجتماعية، إذ قال (...**أو تغتاب عندي أحداً**...)، بمعنى تشخيص الفعل القبيح الذي تأباه الأخلاق الإنسانية فضلاً عن المنظومة القيمية الإسلامية التي تُعنى بترسيخ الفضائل ومكارم الأخلاق.

إن انتقال النص من تشخيص مفهوم الكذب وطبيعة استعماله من المتكلم وما يترتب على ذلك من تسفيه له، إلى اغتياب الآخرين في حضرة الإمام ﷺ، يكاد يحمل إشارة موحية إلى أن الكذب والاغتياب إنما ينهلان من مكان واحد، لعله هو الكذب نفسه؛ لأن طبيعة الكذب تتنازعها فكرتان اثنتان لا غير، هما (الاعتقاد والاقتناع)[٢٤]، بمعنى أن الاعتقاد يشي بمفهوم اعتقادي لدى الكاذب بصحة ما يقول بوصفه معتقداً لديه كونه إيماناً راسخاً، والاقتناع هو

غير الاعتقاد ، بمعنى أن ما يقوله صحيح مقتنعاً بصحته ، وفي هذه الحال فالكاذب ليس كاذباً؛ لأنه سيكون مقتنعاً بصحة ما يقوله بوصفه ناقلاً له لا معتقداً به ، وهنا يكمن التنازع بين الفكرتين في مفهوم الكذب ، ولذلك فإن الإمام الحسن عليه السلام أغلق منافذ القول على هذا المتكلم من خلال استعماله للمفاهيم بطريقة تنم عن وعي عميق بمقتضيات الأشياء وعلاقتها بعضها ببعض من خلال انتسابها إلى منظومة الفكر العالية التي لا يمكن لأي فرد أن يصل إليها ما لم يمر بمجموعة من الرياضات الفكرية التي تجعله في قمة الفعل التفكيري المنتج الذي يسمى الضمير الحي ، حتى وصل النص إلى النتيجة المتوخاة منه وهي :

(...**فقال له الرجل : أتأذن لي في الانصراف ، فقال عليه السلام نعم إذا شئت**...)

انتهى النص إلى نتيجة مستفادة من بدايته ، إلّا أنه أخّرها لحين اكتمال أركانها التي تجعل من الفكرة التربوية محط نظر وتأمل طويلين ، فالنص يبدأ بسؤال (**سأله رجل**...) وينتهي بسؤال (**أتأذن لي في الانصراف**...) ، ويبدو لي من خلال عملية استقرائية للنص ، أن المتكلم كان بطريقته التي بدأت بسؤال وانتهت بسؤال ، كان يحاول التخلص إلى تحرير ذاته من كذب يحاول ممارسته لكنه لا يمتلك الجرأة على الاعتراف به ، والدليل على ذلك ، أنه بمجرد أن أفشل خطته الإمام الحسن عليه السلام وأغلق عليه منافذ القول / الكذب ، كان طلبه بالانصراف مباشراً ، وحينها كان جواب الإمام حاضراً قائلاً له (..**نعم إذا شئت**) ، والنص من بدايته إلى نهايته ، يوضح بشكل جلي العقم الفكري الذي كان ينتاب الرجل في محاورته وسؤاله الإمام الحسن عليه السلام ، في الوقت الذي أبان فيه الإمام عليه السلام إمكانيته الحوارية وعمقه الفكري من خلال الترتيب الفضائلي وترابط تلك الفضائل في ما بينها وعلاقتها بعضها ببعض ؛ لأن الفضائل ترتبط بالصدق كونه يعدّ مرتكزاً أساسياً في العلاقات الاجتماعية والذاتية التي تفرض الابتعاد عن الكذب والتخيلات غير المنضبطة من جهة الفكر ، ما يجعل من الصعوبة التفكير بالتسامح مع الكذب ؛ لأن انتقالة أخرى تفتح الباب واسعاً أمام خلق أشكال جديدة للتعبير عن مفهوم الكذب نفسه .

الهوامش

١- استراتيجية توظيف القوة الناعمة ٥٧-٥٨ ، مسعود بن ظافر عايض القحطاني ، رسالة دكتوراه ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - كلية الدراسات العليا ، الرياض - السعودية ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢- المصدر نفسه ٦٠ .

٣- القوة الناعمة وسيلة النجاح في العلاقات الدولية ٢٠ ، جوزيف س. ناي ، نقله الى العربية د.محمد توفيق البجيرمي ، تقديم د.عبدالعزيز عبدالرحمن الثنيان ، العبيكان - الرياض-السعودية ،ط١ -١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

٤- المصدر نفسه ٢١.

٥- المصدر نفسه ١٢ .

٦- ينظر : المصدر نفسه ؛ إذ إنه وضع لهذا الأساس .

٧- المفاهيم معالم ٦ ، نحو تأويل واقعي ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، ط ٢ - ٢٠١٠ م .

٨- المفاهيم معالم ٦.

٩- نفسه ٨ .

١٠- فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم ج٢ / ٦٨ ، ابراهيم بن محمد الجويني الخراساني ،حققه وعلق عليه وتصدى لنشره محمد باقر المحمودي ، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ، بيروت-لبنان ، ط١-١٤٠٠هـ -١٩٨٠م .

١١- علم اجتماع اللغة ٢٤ ، تأليف توماس لوكمان ، تعريب د. أبوبكر أحمد باقادر ، النادي الأدبي الثقافي ، مطابع دار البلاد ، جدة- السعودية ، ط١ - ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٢- تحف العقول ١٦٠ ، مسند الإمام المجتبى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ٥٤٩ ، جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي ، د. ت .

١٣- تحف العقول ١٦٠ ، ومسند الامام المجتبى ٥٤٩ - ٥٥٠ .

١٤- علم اجتماع اللغة ١٢ .

١٥- المصدر نفسه ١٤ .

١٦- براديغمات البحوث الاسلامية (الابستمولوجيا - الاشكاليات- الاطروحات) ١٧٥ ، أ.د. حسين سعد، دار المنهل اللبناني ، بيروت-لبنان ، ط١- ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م .

الاتصال السلوكي : نقصد به الاتصال القائم على تطبيق المعاني اللغوية سلوكياً في المجتمع لكي يتحول هذا الاتصال الى مدعاة للتمثل والمحاكاة من قبل الآخرين .

١٧- براديغمات البحوث الاسلامية ٦٨ .

١٨- استراتيجيات توظيف القوة الناعمة ٦٧ .

١٩- تحف العقول ١٦٨ ،

٢٠- ينظر : المعنى في لغة الحوار ٨٢ ، تأليف د.جيني توماس ، ترجمة د.نازك ابراهيم عبدالفتاح ، دار الزهراء

، الرياض-السعودية ، ط١- ٢٠١٠م-١٤٣١هـ .
٢١- فصول في سوسيولوجيا الدين ٢١ ، د.جعفر نجم نصر ، دار الرافدين ، بيروت - لبنان/ كندا ، ط١- ٢٠١٦م.
٢٢- من الكفاءة اللغوية إلى الكفاءة الأدبية ٩٥ ، د. محمود العشيري ، بحث منشور .
٢٣- مصطلح اجترحناه للدلالة على أن هناك بعض المفاهيم تتجانس فيما بينها من خلال اقتراض المعنى أو التوافق على معنى معين تشترك فيه .
٢٤- تاريخ الكذب ١٦ ،جاك دريدا ، ترجمة وتقديم رشيد بازي ، المركز الثقافي العربي ، مكتبة الفكر الجديد ، الدار البيضاء-المغرب ، ط١-٢٠١٦م.

المصادر والمراجع

* فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم ، ابراهيم بن محمد الجويني الخراساني ،حققه وعلق عليه وتصدى لنشره محمد باقر المحمودي ، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ، بيروت-لبنان ، ط١-١٤٠٠هـ -١٩٨٠م .
* المفاهيم معالم ، نحو تأويل واقعي ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، ط ٢ - ٢٠١٠ م .
* تحف العقول ، مسند الإمام المجتبى أبي محمد الحسن بن علي ﷺ ٥٤٩ ، جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي ، د. ت .
* علم اجتماع اللغة ، تأليف توماس لوكمان ، تعريب د. أبوبكر أحمد باقادر ، النادي الأدبي الثقافي ، مطابع دار البلاد ، جدة- السعودية ، ط١ - ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
* استراتيجية توظيف القوة الناعمة ، مسعود بن ظافر عايض القحطاني ، رسالة دكتوراه ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - كلية الدراسات العليا ، الرياض - السعودية ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
* براديغمات البحوث الاسلامية (الابستمولوجيا - الاشكاليات- الاطروحات) ، أ.د. حسين سعد، دار المنهل اللبناني ، بيروت-لبنان ، ط١- ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م .
* تاريخ الكذب ، جاك دريدا ، ترجمة وتقديم رشيد بازي ، المركز الثقافي العربي ، مكتبة الفكر الجديد ، الدار البيضاء-المغرب ، ط١-٢٠١٦م.
* فصول في سوسيولوجيا الدين ، د.جعفر نجم نصر ، دار الرافدين ، بيروت - لبنان/ كندا ، ط١-٢٠١٦م.
* القوة الناعمة وسيلة النجاح في العلاقات الدولية ، جوزيف س. ناي ، نقله الى العربية د.محمد توفيق البجيرمي ، تقديم د.عبدالعزيز عبدالرحمن الثنيان ، العبيكان - الرياض-السعودية ،ط١ -١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.
* مسند الامام المجتبى أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ ، جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي ، د. ت .
* المعنى في لغة الحوار ، تأليف د.جيني توماس ، ترجمة د.نازك ابراهيم عبدالفتاح ، دار الزهراء ، الرياض-السعودية ، ط١- ٢٠١٠م-١٤٣١هـ .
* من الكفاءة اللغوية إلى الكفاءة الأدبية ، د. محمود العشيري ، بحث منشور .

القيم التربوية والأخلاقية في المنظور الفكري للإمام الحسن المجتبى عليه السلام

أ.م.د. صادق كاظم الشمري

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية /

قسم العلوم التربوية والنفسية

تمهيد

تمثل القيمة مجموعة من المبادئ التي يؤمن بها أفراد مجتمع معين ، وهي بعيدة عن الغرائز والاهواء اذا كانت مستمدة من القرآن والسنة ، والقيم هي المسؤولة عن تكوين الشخصية الإنسانية ، لا سيما القيم الإسلامية ، إذ ان الفكر والتربية الإسلامية تقوم على منظومة متكاملة من القيم الروحية والاخلاقية والفكرية والمادية المتكاملة لكون الإنسان هو من أسمى الموجودات على الأرض .

والقيم الإسلامية هي قيم تطبيقية عملية وليست خيالية يمكن ترجمتها إلى واقع حي عن طريق وضع الخطط وتحديد الاهداف والاجراءات الكفيلة بتحقيقها ، وهي متطورة قادرة على التفاعل مع مختلف البيئات الاجتماعية وقابلة للتطبيق في كل العصور لأنها استمدت اسسها من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، لذا كان لابد من تسليط الضوء عليها عن طريق منظور هذه القيم في فكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام .

واستهدف البحث الحالي التعرف على القيم التربوية والقيم الفلسفية للإمام الحسن المجتبى عليه السلام .

مقدمة

الحديث عن التاريخ المشرق الوهاج للأئمة الأطهار عليهم السلام من أجمل ألوان الحديث وان السيرة العطرة المضخمة بالاريج هي من اعذب السير وإن كلماتهم أجمل وأحلى الكلمات حيث كلامهم نور وامرهم رشد ووصيتهم التقوى وفعلهم الخير وعادتهم الاحسان وسجيتهم الكرم كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة المنسوبة للإمام الهادي عليه السلام .

فهم القادة العظام وابواب علم النبوة وخزان كنوز الوحي ، وحاملو اسرار التنزيل فهم الاسلام الاصيل ، والعالم اليوم يجب ان ينظر إلى القيم والفكر والعقيدة الاسلامية من نافذة هذا البيت المقدس المطهر وهذه البيوت المقدسة رفعها الله تعالى وعظم شأنها وقد قال تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال) سورة النور ٢٦.

في هذه البيوت ولد الإمام الثاني كريم أهل البيت الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام.

وفي الحديث عن أحد الأئمة والأنوار الإلهية التي تجلت في العترة الهادية عليهم آلاف التحية

والثناء نحاول ان نقتبس من نوره قبسات كي نسير على أثر مسيرته ونهتدي بهداه.

ولد الإمام الحسن عليه السلام في الخامس عشر من شهر رمضان في السنة الثالثة للهجرة على رواية الشيخ المفيد طاب ثراه.

هذا الامام العظيم المظلوم عاش في كنف النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وورث صفاته الخلقية والخلقية ، وجميع الإمكانيات الروحية وكان اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقا وخلقا ومنطقا وسؤددا وهديا روى انس بن مالك (لم يكن احد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليه السلام) كما روي ان السيدة فاطمة الزهراء كانت اذا رقصت الحسن قالت:

أنت شبيهٌ بأبي * * * لست شبيها بعلي

نشأ في ظل الاسرة النبوية، وتغذى بطباعها وأخلاقها .

ومن الأمور التي ظفر بها الإمام الحسن عليه السلام:

أولا: التربية النبوية: كان للنبي صلى الله عليه وآله الأثر الكبير والاهتمام به وبأخيه الإمام الحسين عليه السلام، وكانا الأنشودة التي يرددها في كل مناسبة الحسن والحسين إمامان ان قاما، وان قعدا وهما ريحانتاي من الدنيا، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملها ووضعهما بين يديه، هذا ما ذكره الترمذي في سننه.

نعم شخصية الخاتم صلى الله عليه وآله تجسدت في شخص الإمام الحسن عليه السلام، بجميع مقاماتها ماعدا النبوة.

ثانيا: التربية العلوية: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي وضع لولده الحسن قواعد الأدب، والخُلق الكريم، وأصول التربية، وغذاه بالحكمة، ورسم له مكارم الأخلاق.

ثالثا: التربية الفاطمية: ولا ننسى أن الأم هي المدرسة الأولى فقد غمرته بالعطاء والحنان وغذته بالآداب فهي تفاحة الفردوس والوجود، وجوهرة القدس. (الموسوي ، ١٩٩٩: ١٥-١٦)

اسمه ونسبه.

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، القرشي الهاشمي المدني الشهيد ، ريحانة رسول الله ﷺ، وسبطه وسيد شباب أهل الجنة ، والسيد الإمام في الدنيا ، لقبه النبي ﷺ بالسيد فقال ((ابني هذا سيد ، لعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين)) شبيه النبي عليه الصلاة والسلام وحبيبه ، سليل الهدى وحليف اهل التقوى ،ورابع أهل الكساء ، وابن سيدة النساء عليها السلام .

كان مولده عليه في شعبان سنة ثلاث من الهجرة وقيل : في نصف من رمضانها ،وعق عنه النبي ﷺ بكبشاً يوم سابعه ، وحلق راسه وأمر ان يتصدق بزنة شعره فضة وسماه جده ﷺ الحسن قال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام :

لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ وسماه (حسن).

شخصية الإمام الحسن المجتبى :

أشبهت خلقي وخلقي – صورة عن النبي ﷺ الذي كان ((فخماً مفخماً يتلألأ)) وجهه تلؤلؤ القمر ليلة البدر عرف معاصروه ذلك فوصفوه بما استطاعوا ولكن لم يعرفوا حقه قال عنه واصل بن عطاء : كان الحسن بن علي عليه السلام سيماء الملوك وهيبة الأنبياء ،وفي صحيح البخاري ومسلم والترمذي والنسائي جملة من فضائله ، وجاء في الاستيعاب كان حليما ورعا فاضلاً وكان عليه السلام سيدا كريما حليما ذا سكينة ووقار وحشمة جوادا ممدوحاً.

وقيل له : فيك عظمة ، قال في عزه(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وكان عليه السلام ابيض مشرباً بحمرة ، ادعج العينين ، سهل الخدين ،كان عنقه ابريق فضة ، بعيد مابين المنكبين ، ربعة ليس بالطويل ولا القصير ، من احسن الناس وجها يخضب بالسواد ، كان جعد الشعر، حسن البدن . (مقلد ،٢٠٠٢، ٢١-٢٢)

المكونات التربوية:

أثبتت الدراسات التربوية والاجتماعية المستفيضة الأثر الواضح للوراثة والمحيط الاجتماعي في تكوين شخصية الإنسان التي تم تعريفها من العالمين(اوجبورن ونيمكوف) على إنها (التكامل النفسي والاجتماعي للسلوك عند الإنسان، وتعبر عادات الفعل والشعور والاتجاهات والآراء عن هذا التكامل) إذ ينعكس هذا الأثر على جوانبها الجسدية والنفسية والروحية جميعها، فأغلب الصفات تنتقل من الوالدين والأجداد إلى الأبناء ، إما بالوراثة المباشرة أو بخلق الاستعداد والقابلية للاتصاف بهذ ه الصفة أو تلك، ثم يأتي أثر المحيط التربوي ليقرر النتيجةالنهائية للشخصية . ولمسألة الأثر النسبي لكل من الوراثة والمحيط في النمو البشري مكان أساس في كل فلسفة تربوية وذلك لكون أن موضوع الوراثة والمحيط على صلة وثيقة بالتربية والعملية التربوية. ولقد توافرت في الإمام الحسن عليه السلا م العناصر التربوية الفذة جميعها التي لم يظفر بها غيره فأخذ بجوهرها ولبابها وقد أعدته لقيادة الأمة، ولحمل رسالة الإسلام بجميع أبعادها ومكوناتها ، كما امدته بقوى روحية لا حد لها من الإيمان العميق بالله، والخلود إلى الصبر على ما انتابه من المحن، ولقد ظفر الإمام الحسن بمكونات تربوية عملت على تقويمه وبنائه وتزويده بأضخم الثروات الفكرية والقيمية وهي:

أولا: الوراثة

لقد قسمت الوراثة من لدن العلماء على نوعين هما الوراثة البايولوجية التي تعني انتقال الخصائص الشخصية والا جتماعية من جيل إلى جيل أو من فئة إلى فئة أو من شخص إلى شخص والوراثة الحضارية إذ كما تنتقل بالوراثة الخصائص الحياتية والعضوية من جيل إلى آخر كذلك تنتقل الخصائص الحضارية والثقافية من جيل إلى آخر ومن فئة اجتماعية إلى فئة وقد حددت الوراثة بأنها مشابهة الفرع لأصله ، ولا تقتصر هذه المشابهة في المظاهر الشكلية وانما تشمل الخواص الذاتية ، والمقومات الطبيعية، كما نص على ذلك علماء الوراثة وقالوا: إن ذلك أمرٌ بينٌ في الكائنات الحية جميعها، فبذور الفاصوليا تخرج الفاصوليا، وبذور القطن تخرج القطن وتاسيساً على ذلك فأن الأبناء يرثون الوالدين في خصائصهم وصفا تهم الجسمية والعقلية

والنفسية، وكذلك يرثون أجدادهم في بعضها وفي هذا الصد د يقول فاخر عاقل : (إن وراثة المولود لا يحددها ابواه المباشران فقط بل هو يرث من جدوده وأباء جدوده وجدود جدوده وهكذا)فإن الحسين عليه السلام قد ورث من جده الرسول صلى الله عليه وآله صفاته الخلقية والنفسية ، ومكوناته الروحية التي انماز بها من سائر الأنبياء ، وقد حددت كثير من الروايات مدى ما ورثه الإمام الحسن وأخوه الحسين عليهما السلام من الصفات الجسمية من جدهما محمد صلى الله عليه وآله (السعدي ، ٢٠١٢: ٥٠-٥٣).

ثانيا : الاسرة

الأسرة هي المحيط التربوي الأساس المسؤول عن إعداد الطفل للدخول في الحياة الاجتماعية

وتشترك كل من الوراثة والمحيط في بناء الإنسان تربوياً إذ لا يمكن فصل بعضهما عن بعض، لأنهما متكاملان متكاتفان، إذ تخلق الوراثة القابلية والاستعداد للاتصاف بهذه الصفة أو تلك إن وجدت المحيط التربوي المناسب ، وتشترك الوراثة مع المحيط في خلق الشخصية بما في ذلك الجوانب العقائدية والقيم. وتعد الأسرة نقطة البدء التي يتم من خلالها إنشاء وتنشأة العنصر الإنساني ،وتؤثر في كل مراحل حياته سلباً أو ايجابا، إذ تساهم في تشكيل شخصية الطفلمساهمة فعالة وذلك من خلال إكسابه العادات والقيم التي تبقى ملازمة له طوال حياته، فهي البذرة الأولى في تكوين النمو الفردي والسلوك الاجتماعي ، وهي أكثر فعالية في إيجاد التوازن في سلوك الشخص من سائر العوامل التربوية الأخرى، فمنها يتعلم الطفل اللغة، ويكتسب القيم والتقاليد والعادات الاجتماعية. ولقد حظي الإمام الحسن عليه السلام بأسرة ما لها نظير ، إليها تنتهي كل مكرمة وفضيلة في الإسلام فما أظلت السماء أسرة أسمى ولا أزكى من أسرة آل الرسول صلى الله عليه وآله، فقد نشأ الإمام الحسن عليه السلام في ظل هذه الآسرة وتغذى بطباعها واخلاقها ، فكانت النشأة الأولى في أحضان الرسول صلى الله عليه وآله فقام بعمله بتربية ريحانته فأفاض عليه بمكرماته ومثله وغذاه بقيمه ومكونا ته ليكون صورة عنه وبعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله استمرت التربية الحسنية على النهج الرباني وذلك على يد الإمام علي عليه السلام الذي يعد المربي الأول بعد الرسول صلى الله عليه وآله فهو واضع أصول التربية ، ومناهج السلوك ، وقواعد الآداب،

فقد غذى الإمام الحسن عليه السلام بالحكمة والعفة والنزاهة ، ورسم له مكارم الأخلاق والآداب ، وغرس في نفسه معنوياته المتدفقة فجعله يتطلع إلى الفضائل من حق وخير (السعدي ، ٢٠١٢: ٥٣- ٥٥).

أخلاق الإمام الحسن المجتبى :

من مقومات الحياة عامل الاخلاق ، وقد ادت الأخلاق وما زالت أثراً مهما في تقدم الأمم وديمومتها ، ويُعد عامل الأخلاق صمام امان لكل مرافق الدولة فهو الضابط المكين الذي يضبط النشاط الاقتصادي والسياسي والثقافي .

وقد اهتمت الامم باخلاقها ووضعت الضوابط الاساسية لحفظ القيم الاخلاقية ، ويُعد الدين الإلهي أحد أهم الروافد الأساسية للأخلاق ، فهو يمدها بالروح والحيوية عن طريق ربط الإنسان بالله تعالى وبالاخرة فالله عز وجل هو مصدر الأخلاق وكما هو ثابت فان القيم الاخلاقية مصدرها الدين المنزل من قبل الله عز وجل . وتظل الأخلاق فوق الزمان والمكان فلا تحد بمكان كما لاتخضع لزمان، فصفتا الصدق والعدل فوق الزمان والمكان ولاتخضعان لاي من الاعتبارات فتجريان كما تجري الشمس والقمر .

ومن هنا فان الأنبياء والأوصياء (صلوات الله عليهم اجمعين) جاؤوا بطاقة خلاقة لتطبيق القيم الأخلاقية مما سهل استيعابه وتطبيقها قال تعالى ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله الكمال في أخلاقه وقد ذكرت مرارا ان تغيير الأمم انما يتم عبر أخلاقها فهي القوة الوحيدة التي تغير فكر الانسان وتصوراته مهما تكلست في دماغه ، ان التصورات التي كانت تجول في اذهان الجاهليين كانت ضاربة في عمق عقولهم، ولو انك اتيت بكل آية ما تبعوا قبلة الإسلام ولكن الرسول محمد صلى الله عليه واله استطاع بأخلاقه الفذة اجتثاث التصورات والافكار التى اتى عليها حين من الدهر وهذه تُعد معجزة باهرة لرسول الله محمد ولقد استطاع الرسول الأكرم صلى الله عليه في مدة قياسية تكوين عقل خلاق ،وقلب رقيق، ونفس كبيرة ، وقد احدثت اخلاق رسول الله نقلة نوعية في مسار البشرية بحيث تسلقت بمدة قياسية قمة الفضائل ، والخلق الرفيع وقد خلقت اخلاق رسول الله

محمد قناعة لدى الكثير بواقعية القيم الإلهية وحيويتها . (الحائري ، ٢٠١٣ : ١٤٣-١٤٥)

التكافل الاجتماعي :

أولاً: إن الإمام الحسن ﷺ كان ينطق بعطائه السخي من فهمه العميق للمعاني العظيمة التي يتضمنها العطاء ، فهو من الصفات التي تقرب الإنسان إلى الله عز وجل، فقد ورد في الحديث (السخي قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ،والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار.

ثانياً: إن الإمام الحسن ﷺ قد اكتنز الصورة الحقيقية للآخرة فهي أقرب ما تكون إليه، لذلك استحقر الدنيا وزينتها وزخرفها ،فهي متاع ليس إلا .

ثالثا: ان عطاء الأئمة ﷺ كان يمثل سموا للإنسان وتكريماً ، وليس استحقارا واستصغارا لشانه.

رابعاً :إن مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام قائم على قطع جذور الفقر وكل أشكال الاستجداء، فالدولة الإسلامية التي كانت قائمة بقيادة امير المؤمنين ﷺ طبقت مبدأ التكافل الاجتماعي بشكل رائع، فقد اقدم الامام على خطوات اجتثت اصول الفقر ،وذلك عندما وفر العطاء لكل فرد من افراد المجتمع الإسلامي .

خامسا: قضى على الطبقية التي احدثها عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان .

سادسا: وفر فرص العمل لجميع طبقات المجتمع بما فيهم الاقليات الدينية .

سابعا: فإن الإمام أمير المؤمنين ﷺ حتى يثبت اعمدة التكافل الاجتماعي ساوى نفسه مع اضعف الناس .

ثامنا : اعطى الأمام أمير المؤمنين ﷺ المعنى الحقيقي للتكافل الاجتماعي وذلك عندما شن حملة واسعة ضد الولاة المفسدين الذين تلاعبوا بأموال الدولة وكان يشرف بنفسه على تطبيق مفردات التكافل الاجتماعي ، فوضع (العيون) لتفقد الولاة .(الحائري ، ٢٠١٣ :١٦٣-١٦٤)

حسن الاستماع وحسن الاستجابة :

جاء في الروايات ان الامام الحسن عليه السلام سار في طرقات المدينة المنورة ، وقد لبس حلة فاخرة ، وركب بغلة فارهة ، ووجهه الشريف يشرق حسنا وجمالا ، وقد حفت به خدمه وحاشيته ، فرآه يهودي فبادر إليه وقال له: يابن رسول الله عندي سؤال، فقال عليه السلام: ما هو؟ قال ان جدك رسول الله يقول ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وانت مؤمن وانا كافر ،فما ارى الدنيا إلّا جنة تتنعم بها وتستلذ بها وما اراها إلّا سجنا لي قد اهلكني ضرها واتلفني فقرها .

فأجاب الإمام عليه السلام: (لو نظرت الى ما أعد الله لي وللمؤمنين في الدار الآخرة مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ،لعلمت أني قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجن ضنك ولو نظرت الى ما أعد الله لكل كافر في الدار الاخرة من سعير نار جهنم ونكال العذاب الأليم المقيم لرايت انك قبل مصيرك إليه الآن في جنة واسعة ونعمة جامعة) ان السياسة الإسلامية مبنية على احتواء الآخرين بطرق سليمة واعطاء هامش للحوارات وللدبلوماسية وهذا ما حدث في جميع خطوات الرسول محمد صلى الله عليه وآله ويعد الحوار وتهيئة الاجواء للطرق السليمة من الثوابت المهمة في السياسة الإسلامية ،قال تعالى ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾، أما إذا كان بعض الحكام يلتجى الى الطرق العنيفة وشن الحروب فهذه السياسة ليست من الاسلام في شي .

فالاسلام يتوسل الحلول السليمة ويعدها الحل الامثل في فض النزاعات بين الأمم وهو يعالج الازمات بأساليب حضارية بعيدة عن التهور ونزعة الهيمنة .(الحائري ، ٢٠١٣ :١٦٥-١٦٩)

علم الإمام الحسن المجتبى :

يشكل العلم أحد أهم الركائز في المجتمعات ، ويدخل في صميم البنى التحتية ، وهو أيضا المفصل الحيوي في بناء الانسان فهناك جوهرة في الإنسان لا تصقل إلّا بالعلم (العقل) وطالما العقل يتغذى بالعلم ، فانه يفيض افكارا وروى ،وقد جعل الله العلم غذاء للعقل ،والايمان للقلب ، والصفات الطيبة للنفس ، والعقل يحتاج إلى العلم في كل حين نظرا لأثره الخطير، قال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ فالاية مطلقة والعقل هو امام الجسد ، فإذا تشبع بالعلم والمعرفة

والحكمة بامكانه ان يحكم ويزن ويستقرى النتائج ، اما اذا كان خاويا فان الإنسان يصغر وتغيم الافاق امامه ،فلا يمكن ان يستنتج ويزن الاحداث بميزان دقيق وهذا ما يؤكده الواقع.

ان العمليات العقلية من اهم العمليات الحياتية ، فهي تنتج قوانين ذات اهمية خاصة في بناء الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،وهذه الجوانب تشكل مرتكزات الحياة بعد الايمان بالله عز وجل وطالما يتغذى العقل بالعلم فان العمليات تتطور وتتقدم وتشهد طفرات نوعية في استشراف المستقبل.

ومما يؤسف له ان الدول العربية هي الأولى في دراسة الظواهر الحياتية بشكل سطحي مما يؤثر أثرا سلبيا على الخطط المستقبلية، فالكثير من البلدان العربية والإسلامية تغير خططها من حين لاخر ، فهي تحدد عمرا قصيرا لخططها ومع قصر المدة فانها تفشل في تطبيقها ،ويعود السبب الرئيس لهذا التخلف المرير إلى الحكام الذين يرومون السيطرة على مقدرات الشعب فيستغفلونهم قال تعالى ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ جاء في كتاب (اخطار الغزو الفكري على العالم الاسلامي) فصل محاضر الماسونية :

المحضر الاول :اليهودية التي لا تقهر غفلة الجماهير واستغلالها بواسطة تعدد الاحزاب المتعطشة إلى السلطة تشجع الادمان والفساد ، لتتلبد الاذهان ويصاب الشباب بالعته.

المحضر الثاني : علينا ان نبذل الجهد حتى لا تأتي الحروب بتغيرات اقليمية ، بتوسع أحد الطرفين المتحاربين ، وبذلك ترتكز الحرب على قاعدة الاقتصاد وبالتالي تكون السيطرة لنا وحدنا ويصبح الفريقان المتحاربان تحت رحمتنا.(الحائري ،٢٠١٣: ١٩٤ -١٩٦)

صور من علمه :

جاء في كتاب (المناقب): عن إسماعيل بن أبان، بإسناده عن الحسن بن علي أنه مر في مسجد رسول الله ﷺ بحلقة فيها قوم من بني أمية، فتغامزوا به، وذلك عندما تغلّب معاوية على ظاهر أمره، فرآهم وتغامزهم به، فصلى ركعتين، فقال: قد رأيت تغامزكم، أما والله لا تملكون يوماً إلا ملكنا يومين، ولا شهرًا إلا ملكنا شهرين، ولا سنة إلا ملكنا سنتين، وإنا لنأكل في سلطانكم ، ونشرب ونلبس ونركب ، وأنتم لا تركبون في سلطاننا ، ولا تشربون ولا تأكلون

إن الإمام الحسن المجتبى يشير في كلامه المبارك إلى دولة الإمام المهدي ، حيث يحكم فيها الإسلام، ويبسط جرانه على كافة الأمم ، فينعمون بالعدل والحرية والمساواة الحقيقية، ومن ثم يجدون الفارق الكبير بين تطبيقات الإمام الحجة عجل الله فرجه لهذه الخصائص الحياتية المهمة، وتطبيقات الأنظمة الوضيعة التي أنهكت الحياة البشرية بمدعياتها الفارغة. إن دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه بات ينتظرها الجميع ، وعلى أحر من الجمر ، لأن الظلم والجبن والجور أخذ يطبق ،ويضيق عليهم أقطار الأرض وآفاق السماء ، مما سلب الأمن والإرادة في تغيير واقعهم السيىء.

وجاء في علم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: كتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى الإمام الحسن رسالة، قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد: فإنكم معشر بني هاشم، الفلك الجارية واللجج الغامرة، والأعلام النيرة الشاهرة، أو كسفينة نوح التي نزلها المؤمنون، ونجا فيها المسلمون كتبتُ إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر، وحيرتنا في الاستطاعة، فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك ، فإنه من علم الله علمكم، وأنتم شهداء على الناس، والله الشاهد عليكم، فرد عليه الإمام برسالة، قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل إلي كتابك، ولولا ما ذكرت من حيرتك وحيرة من مضى قبلك، إذًا ما أخبرتك. أمّا بعد: فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشر أن الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إن الله لم يطع مكرهاً، ولم يعصَ مغلوباً ، ولم يهمل العباد سدى من الممكن، بل هو المالك لما ملكهم، والقادر عليما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخييراً، ونهاهم تحذيراً، فإن ائتمروا بالطاعة لم يجبروا عنها صاداً، وإن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمن عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً، ولا ألزموها كرهاً، بل من عليهم بأن بصّرهم وعرفهم وحذّرهم، وأمرهم ونهاهم، لا جبلاً لهم على ما أمرهم به، فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه.(الشيرازي ،٢٠١٢، ٧٩).

نظرة في العقوبة :

لقد كثرت التساؤلات، وحامت الشبهات حول العقوبات الإلهية ، ولو أمعن الإنسان في العقوبات الإلهية وأبعادها الاجتماعية والأخلاقية لغير قناعاته إزاء العقوبات، ولخرج بنتيجة منطقية تؤيد العقوبات، بل تعدّها من اللوازم لبقاء الحياة الإنسانية ،هل يتعارض

القصاص مع العقل جاء في (التفسير الأمثل) تحت عنوان والعواطف الإنسانية ثمة فئة يحلو لها أن توجه إلى الإسلام دون تفكير اعتراضات وكثير شبهات، خاصة بالنسبة إلى مسألة القصاص، تقول:

١- الجريمة لا تزيد على قتل إنسان واحد، والقصاص يؤدي إلى تكرار هذا العمل الشنيع.

٢- القصاص ينم عن روح الانتقام والتشفّي والقسوة، ويجب إزالة هذه الروح عن طريق التربية، بينما يعمق القصاص هذه الروح.

٣- القتل لا يصدر عن إنسان سليم، لابد أن يكون القاتل مصاباً بمرض نفسي ويجب علاجه، والقصاص ليس بعلاج.

٤- قوانين النظام الاجتماعي يجب أن تتطور مع تطور المجتمع، ولا يمكن لقانون سن قبل أربعة عشر قرناً أن يطبق اليوم.

٥- من الأفضل الاستفادة من القاتل بتشغيله في معسكرات العمل الإجباري، وبذلك نستفيد من طاقاته، ونصون المجتمع من شروره.

فالحياة الاجتماعية لا يمكن أن تطوي مسيرتها الحياتية التكاملية، دون اقتلاع العوامل المضرة الهدامة فيها، ولما كان القصاص في هذه المواضع يضمن استمرار الحياة والبقاء، فإن الشعور بضرورة القصاص أودع على شكل غريزة في وجود الإنسان، فأنظمة الطب والزراعة والرعي قائمة على أساس هذا الأصل العقلي، وهو إزالة الموجودات المضرة الخطرة، فنرى الطب يجيز قطع العضو الفاسد إذا شكّل خطورة على بقية أعضاء الجسد، وتقتلع النباتات والأغصان المضرة من أجل استمرار نمو النباتات المفيدة بشكل صحيح، إن العقوبات في الإسلام رادعة وليست انتقامية ، بدليل أن القصاص من القاتل قد يستبدل بالدية العاقلة ، وقد يعفو من بيده سلطان القصاص، ويبقى الحق العام، وهذا يقدره الحاكم الشرعي أو القاضي. وهناك ملاحظة مهمة، صحيح أن القصاص يطال المتّهم، ولكنه ينقذ الآلاف بل الملايين، فإن العقوبة الرادعة بالذات القصاص تردع من تسول نفسه الاستهانة بحياة الآخرين.

ثم من العدل أن يقتصَّ من القاتل، وإلا كيف نعرف العدل إذا لم يكن هناك قصاص، لذلك وضع الإسلام قواعد مهمةً في تطبيق العقوبة، منها تطبيق العدالة وإشاعتها بين المجتمع، فالعقاب يكون لخدمة القانون الأخلاقي ، وهكذا، فالعقاب في المفهوم الإسلامي يستهدف نفس المجرم ، الذي ارتكب الجرم المشهود وقامت الأدلة الكافية على جرمه. ويؤكّد الإسلام على توفير الأدلة الواضحة والقاطعة على تلبس المجرم بجريمته، عند ذلك يقام الحد، ومنها الاعتراف وهو سيد الأدلة كما نصّ عليه الفقه الإسلامي، وهذا ما حكم به الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

ثم إن هناك ضوابطَ للعقوبات في الإسلام فريدة من نوعها فهي تضمن إقامة القصاص بشكل عادل بحيث لا يحيد عن قواعد الحق أنملة واحدة ، ومن الضّوابط المهمة:

١- لا يجوز القصاص قبل الجناية (أي على النية).

٢- المتهم بريء حتى تثبت إدانته.

٣- قال أمير المؤمنين عليه السلام (ادرؤوا الحدود بالشبهات)

٤- إقامة الشهود أو توافر الشهود عند الحادثة.

٥- القرائن الحالية: حيث يمضي القاضي في دراسة القضية الجنائية من خلال القرائن المتوافرة عند الجريمة ويزنها بميزان الشرع.(الحائري ،٢٠١٣ : ٢٣٩-٢٤٩) .

حكم الإمام الحسن المجتبى :

وقد ساهمت النفس الملهمة للإمام الحسن المجتبى في رفد عقله الكبير، وقد شكلت النفس الملهمة لدى الإمام رافداً مهماً في هذا الإطار. لذلك جاءت حكم الإمام نافذة، وثاقبة، وهكذا هي حكم الإمام عليه السلام، تضم أسمى المعاني، وأرفع صور البلاغة والبيان والبديع. ومن كلامه (لا أدب لمن لا عقل له، ولا مروة لمن لا همة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً)وسئل عليه السلام عن الصمت فقال (هو ستر العمى، وزين العرض، وفاعله في راحة وجليسه امن) وقال عليه السلام(حسن السؤال نصف العلم) ،وقال عليه السلام (من بدا بالكلام قبل

السلام فلا تجيبوه) وهكذا يفيض عقل الإمام ﷺ حكمة ومعرفة، إن حكم الإمام الحسن المجتبى ﷺ تكشف عن الواقع المعرفي المتين الذي أرسى أسسه رسول الله ﷺ، وعمقه الإمام أمير المؤمنين والزهراء ﷺ.

إن هذه الحكم والمواعظ السامية تنبض بالحياة، ويتحرك في عروقها دم القيم المثلى، فالإمام الحسن ﷺ يحصر الهيبة والعزة في طاعة الله. فالإنسان وهذه قاعدة ثابتة إذا قوى علاقته بالله وهو مكمن القوة ومنبع الكرامة يستطيع أن يستمد منهما أسباب القوة والكرامة، ويظلّ قوياً وشامخاً كلّما كان قريباً إلى الله عزّ وجلّ، وهذه العلاقة تقوده إلى السلوك الأمثل الذي يتّسم بالصلابة والاستقامة.

حكم الإمام الحسن المجتبى في تعلم العلم :

قال الإمام الحسن ﷺ :

"تعلموا العلم ، فانكم صغار القوم ، وكبارهم غداً ، ومن لم يحفظ منكم فليكتب "

"وعن الإمام ﷺ انه دعا بنيه وبني اخيه فقال :

"انكم صغار قوم ،ويوشك ان تكونوا كبار قوم اخرين ، فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم ان يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته" (.(الحائري ، ٢٠١٣ :٢٩١)

أهمية التفكر :

قال ﷺ "من عرف الله احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل ، فاذا تفكر حزن "وقال "عجب لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله فيجنب بطنه ما يؤذيه ويودع صدره ما يرديه " ان حكم الإمام المجتبى ﷺ تفيض حكمة ومعرفة ، فهو من الراسخين في العلم ، ومن اهل الذكر الذين امر الله عز وجل ان نسالهم .قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فبعض الناس تراه يطيل النظر ويقلب طرفيه بحرارة في حاجة بسيطة ، وانني أأسى على قوم صار اكبر همهم اشباع البطون دون العقل فصغرت العقول واصبحت قاحلة لا تحتضن بذور المعرفة ومن المعلوم ان البطن لا تاخذ القليل .

ومما يحز في النفس ان بعض الضعفاء يلتفت بحرارة إلى ما يضره وأما ما ينفعه فانه يشيح بوجهه عنه .

إن حكمة الإمام المجتبى عليه السلام تشير إلى معاني عظيمة ، ان بعض العوائل تهتم كثيرا في مأكول الاولاد دون المعقول فبعض الامهات يصرفن الاموال الطائلة في مجال اللعب والثياب والحلويات ولكنهن يقبضن ايديهن في شراء كراس الصلاة والرسم والخط وما شابه اننا كرماء في مجال الترف والتلف ، ولكننا بخلاء في إثراء العقول بالعلم والمعرفة .(**الحائري ، ٢٠١٣: ٢٨٥ -٢٨٩**)

المصادر والمراجع

* الحائري الشيخ حسن الشمري (٢٠١٣) : قبس من نور الإمام الحسن المجتبى ،
* ط١،كربلاء المقدسة ،العتبة الحسينية المقدسة .
* حفيشة ،عبد المؤمن ابي العينين (٢٠٠٧) : الغصن الندي في سيرة الإمام الحسن بن علي ،ط٢ ، مكتبة الكويت الوطنية .
* السعدي ،حاتم جاسم عزيز(٢٠١٢): القيم التربوية في فكر الإمام الحسن عليه السلام ،دراسة تحليلية ،كربلاء ، العتبة الحسينة المقدسة.
* الشيرازي ،السيد محمد الحسيني(٢٠١٢): من حياة الإمام الحسن عليه السلام ،ط١ ،كربلاء المقدسة.
* مقلد ، فاطمة محمود (٢٠٠٢) : في حياة الإمام الحسن بن علي ،ط١ دار الهادي ، مكتبة الروضة الحسينة المقدسة .
* الموسوي ، السيد محمد (١٩٩٩) : السياسة الملتزمة في نهج الإمام الحسن ، ط١ ، دار الحجة البيضاء ، بيرت – لبنان .

الإمام الحسن عليه السلام ومنهجه التَّربوي

د. عبد الجبار ثامر الشَّاطي

د. إقبال وافي نجم

جامعة بابل / كلية الدراسات القرآنية

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على خير خلق الله محمّد وآله الطاهرين ، وبعد :

فإن لإهل البيت عليهم السلام أثر مهم في قيادة الأُمة وتربيتها وإرشادها ، فهم الثّقل الأصغر بعد القرآن الكريم الَّذي حثَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على التَّمسُّك بهما معاً ، وإنهما لن يفترقا الى يوم القيامة .

وقد مارس كل واحدٍ من الأئمَّة المعصومين عليهم السلام عملا في عصره وزمانه ، فكانوا مناراً وهُدىً من الضلالات وحصناً للأُمة مِن الشُّبهات والأباطيل لحفظ العقيدة الإسلاميّة الصَّحيحة من جانب ، ووضعوا منهجاً واضحاً لذلك ، يضاف الى ذلك عملهم في التربية والتعليم والإرشاد لما فيه الصَّلاح .

والإمام الحسن عليه السلام أحد المؤسسين لهذا المنهج ، تجلَّى ذلك من خلال مواقفه عند قيادته للأُمة بعد أمير المؤمنين عليه السلام سواءٌ أكانت على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الأخلاقي أو غيره .

وهذا البحث يتناول جانباً من الجوانب التي تُبرز رعاية الإمام عليه السلام للأُمة في الجانب التربوي ، وتأكيده على بناء الانسان أخلاقياً وتربوياً لأن بناء الأُمة يبدأ ببناء أفرادها .

اشتمل البحث على فصلين تناول الأول منهما جانباً من سيرة الإمام الحسن عليه السلام وتضمن مباحث متعددة ركزت على أهم المحاور من ترجمته وذكره ، أما الفصل الثاني فبحثت بعض الجوانب التربوية وعبر فقر ومباحث تناولت بعض رواياته عليه السلام مسلطين الضوء على هذا الجانب ، متناولين إياها بشيءٍ من التحليل ، وختم البحث بقائمة من المصادر والمراجع .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

لمحة مِن سيرة الإمام عليه السلام

١ ـ ولادته وتسميته :

اختلفت المصادر حول ولادة الإمام عليه السلام اختلافاً بسيطاً فيما بينها ، على أنَّ أصحَّ ما قيل في ذلك وأكثر ما اعتُمِدت فيه أنَّه عليه السلام وُلِدَ في النِّصف مِن شهر شعبان المُعظَّم سنة ثلاث مِن الهجرة النَّبويَّة الشَّريفة .

فهو عليه السلام أوَّلُ ثمرةٍ مِن زواج الطُّهر البتول عليها السلام من عليّ المرتضى عليه السلام وسمَّاه جدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله بأمرٍ مِن الله تعالى بالحسن .

ورُوي عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، أنَّه قال : لَمَّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسن عليه السلام فولَدَت، كان النَّبيِّ صلى الله عليه وآله قد أمرهم أن يلفُّوه في خِرقةٍ بيضاء ، فلفُوه بصفراء ، وقالت فاطمة عليها السلام : يا علي سمِّه ، فقال عليه السلام : ما كنتُ لأسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذه صلى الله عليه وآله وقبَّله وأدخل لسانه في فمه، فجعل الحسن عليه السلام يمصَّه .

ثُمَّ قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : ألم أتقدَّم إليكم أن لا تلفُّوه في خرقةٍ صفراء ، فدعا بخرقة بيضاء فلفَّه فيها ورمى الصَّفراء ، وأذَّن في أُذنه اليُمنى وأقام في اليسرى ، ثُمَّ قال لعليّ عليه السلام : ما سَميته ؟ قال : ما كنتُ لأسبقك باسمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما كنتُ لأسبق ربِّي باسمه .

قال : فأوحى الله عزَّ ذِكره الى جبرئيل عليه السلام أنَّه قد وُلِدَ لمحمَّد ابنٌ ، فاهبط إليه فاقرأه السَّلام ، وهنِّئه مِني ومنك ، وقل له : إنَ عليَّاً منك بمنزلة هارون من موسى ، فسمِّه باسم ابن هارون، فهبط جبرئيل على النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وهنَّأه مِن الله عزَّ وجلَّ ومنه ، ثُمَّ قال له : إنَ الله عزَّ وجلَّ يأمرك أن تُسمِّيه باسم ابن هارون ،قال : وما كان اسمه ؟ قال : شبر ، قال : لساني عربيٍّ، قال : سمِّه الحسن ، فسمَّاه الحسن [1] .

وعنه أيضاً ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله : أنَّه سمَى الحسن حسناً ؛ لأنَّ بإحسان الله قامت السَّماوات والأرضين [2] .

وبعد ولادته عليه السلام عقَّ عنه جدّه صلى الله عليه وآله بكبشٍ ، وأعطى قابلته شيئاً منها ، وأهدى ما تبقَّى مِن

الشَّاة إلى جيرانهم ، ثُمَّ حلق رأسه الشَّريف وتصدَّق بوزنه فضةً [٣] .

وأرضعته أُم الفضل زوج العبَّاس عمِ رسول الله ﷺ بعد أن جاءت إليه وأخبرته عن رؤياً رأتها ، وهي : كأنَّ عُضواً مِن أعضاء رسول الله ﷺ سقط في حجرها ، فتأوله بالخير قائلاً لها : خيراً إن شاء الله ، تَلِد فاطمة غُلاماً تتكفَّلينه ، فولَدت فاطمة عليها السلام الحسن عليه السلام فدفعه رسول الله ﷺ لها لتُرضعه بلبن القثم بن العبَّاس [٤] .

٢ ـ كُنيته وألقابه :

كنيته عليه السلام أبو محمّد ، وألقابه كثيرة ، فمنها : الزَّكيّ ، السيّد ، السِّبط ، التّقي ، الطيّب ، الوليّ، فإذا ما أُطلقت هذه الألقاب فإنَّها تعنيه وحده لا أحد غيره ، وأكثرها شُهرةً التَقي.

وورد في الأثر الصَّحيح عن جدِّه المصطفى ﷺ قوله : أن ابني هذا سيِد [٥] فتكون بذلك أعلى وأولَى ألقابه ، فهو لقبٌ خصَّه به جدَّه .

٣ ـ صِفته :

وُصِفَ الإمام الحسن عليه السلام بأنَّه : أبيضُ مُشرَّباً بالحُمرة ، أدعجُ العينين [٦] سهلُ الخدَّين ، دقيقُ المسربة [٧] كثُّ اللِّحية ذو وفرة ، كأنَّ عنقه إبريق فضَّة ، عظيمُ الكراديس [٨] بعيدٌ ما بين المنكبين ، رِبعَةٌ ليس بالطَّويل ولا القصير ، مليحاً ، مِن أحسن النَّاس وجهاً ، وكان يُخضِّب بالسَّواد ، وكان جعدُ الشَّعر ، حَسَنُ البدن [٩].

ورُوي أنَّه عليه السلام كان أشبهُ النَّاس بجدِّه رسول الله ﷺ وعن أنس بن مالك ، أنَّه قال : لم يكن أحدٌ أشبه برسول الله ﷺ مِن الحسن بن عليّ عليه السلام [١٠] .

وعن جُحيفة ، أنَه قال : رأيتُ رسول الله ﷺ وكان الحسن بن عليَّ يشبهه [١١] .

٤ ـ سجاياه :

اتسم الإمام الحسن عليه السلام بسجايا مُتعددة مثَّلت المزايا الشَّخصيّة له ، لتترك أثرها على المسلمين بصورةٍ عامَّة وأصحابه بصورةٍ خاصَّة ، ومِن أهمِّ هذه المزايا والسِّجايا التي اتصف بها الإمام عليه السلام هو عبادته لله عزَّ وجلَّ وطريقته في ذلك ، حتَّى وَصَف حفيده الإمام جعفر بن محمّد الصَّادق عليه السلام عبادته ، فقال :

(إنَ الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، كان أعبد النَّاس في زمانه ، وأزهدهم وأفضلهم ، وكان إذا حجَ حجَ ماشياً ، وربما مشى حافياً ، وكان إذا ذَكر الموت بكى ، وإذا ذَكر القبر بكى ، وإذا ذكر البعث والنُّشور بكى ، وإذا ذَكر الممر على السِّراط بكى ، وإذا ذَكر العرض على الله ـ تعالى ذِكره ـ شهق شهقةً يُغشى عليه منها ، وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربِّه عزَّ وجلَ ، وكان إذا ذَكر الجنَّة والنَار اضطرب اضطراب السَّليم وسأل الله الجنَّة وتعوَّذ به مِن النَّار ، وكان لا يقرأ مِن كتاب الله عزَ وجلَّ ﴿ يا أيُّها الَذين آمنوا ﴾ إلَّا قال : لبيك اللهُمَّ لبيك ، ولم يُرَ في شيءٍ مِن أحواله إلَّا ذَاكِراً لله سبحانه ...) [١٢] .

وكان عليه السلام إذا أقبل على صلاته وتوضَّأ فإنَّ فرائصه ترتعد ويصفرُ لونه ، فقيل له في ذلك ، فأجاب عليه السلام : حقَّ على كُلِّ مَن وقف بين يدي ربِّ العرش أن يصفرَّ لونه وترتعد فرائضه.

وعن حفيده محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام إنَّه قال : (إنَّ الحسن قال : إنِّي لأستحي مِن ربِّي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته ، فمشى عشرين مرةً مِن المدينة على رجليه) [١٣] .

وعُرِفَ الإمام الحسن عليه السلام وشُهِرَ به عظيم عفوه وحلمه ، وحَمَلت المصادر التي ترجمت له كثيراً مِن الأدلة على ذلك ، فمنها :

ما رُوي أنَّ رجلاً مِن أهل الشَّام رآه راكباً ، فجعل يسبَّه ويلعنه ، والإمام يسمعه ولا يردَّ عليه ، حتَّى فرغ الشَّامي مِن سبِّه ، فأقبل الإمام عليه عليه السلام عليه بابتسامةٍ ملؤها العفو والصَّفح والشَّفقة عليه ، مُلتمِساً له العذر في ذلك ، لعلَّه شُبِه عليه في أمره .

فقال له عليه السلام : أيُّها الشَيخ ، أظنُّك غريباً ، ولعلَّك شبهت ، فلو استعتبتنا أعتبناك ، ولو سألتنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا حملناك ، وإن كنتَ جائعاً أشبعناك ، وإن كنتَ عرياناً كسوناك ، وإن كنتَ محتاجاً أغنيناك ، وإن كنت طريداً آويناك ، وإن كان لك حاجة قضيناها لك ، فلو حرَّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا لوقت ارتحالك كان أعودَ عليك ، لأنَّ لنا موضعاً رحباً ، وجاهاً عريضاً ، ومالاً كثيراً) .

فلمَّا سَمِعَ الشَامي كلام الإمام عليه السلام بكى ، وقال : أشهدُ أنَّك خليفة الله في أرضه ، واللهُ أعلم حيثُ يجعل رسالته ، وكنتَ أنت أبغض خَلقِ الله إليَّ ، والآن أنت أحبُّ خلقِ اللهِ إليَّ [١٤] .

ورُوي أيضاً : أنَّ غلاماً له أذنب ذنباً يستوجب العقوبة عليه ، فأمر الإمام ﷺ أن يُضرَب، فقال الغلام : يا مولاي ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ قال ﷺ : عفوتُ عنك ، فقال الغلام : يا مولاي ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١٥] فقال ﷺ : أنت حرٌ لوجه الله ، ولك ضِعفُ ما كنتُ أُعطيك[١٦] .

ونُقِلَ مِن حلمه وعفوه أيضاً : أنَّ مروان بن الحكم ، أقذع بالشَّتم له مُحاولاً الانتقاص منه، فتركه الإمام ﷺ حتَّى يفرغ مِن ذلك ، فأجابه بقوله : (إنِّي والله لا أمحو عنك شيئاً ، ولكن مهّدك الله ، فلئن كنتَ صادقاً فجزاك اللهُ بصدقك ، ولئن كنتَ كاذباً ، فجزاك الله بكذبك ، والله أشدُّ نقمةً منِّي) [١٧] .

أمَّا سخاؤه ، فهو الكرمُ الحقيقي ، وبذل الخير في سبيل القُربة لله تعالى ، وتجلَّت هذه الصِّفة والسِّمة بأسمى صُورها ومعانيها في شخصه الكريم ﷺ حتَّى كان مِن ألقابه المعروفة : كريمُ أهل البيت ﷺ حتَّى قيل له : لا نَراك تردُّ سائلاً .

فأجاب ﷺ : إنِّي لله سائلٌ وفيه راغِب ، وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأردّ سائلاً، وأنَّ الله عوَّدني عادةً أن يُفيض نِعَمَه عليَّ ، وعوَّدته أن أُفيض نِعَمَه على النَّاس ، فأخشى إن قطعتُ العادة أن يمنعني العادة[١٨] .

ورُوي : أنَّ واحدةً مِن جواريه حيَّته بطاقةٍ مِن ورد الرَّيحان فأعتقها ﷺ لوجه الله تعالى ، فلامه النَّاس على ذلك ، فأجابهم ﷺ : أدَّبنا الله فقال : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾[١٩] وكان أحسن منها إعتاقها[٢٠] .

واجتاز ﷺ في أحد أيامه على عبدٍ أسود يأكل مِن رغيفِ خبزٍ بين يديه ، ويُلقِم كلباً كان عنده مِن طعامه ، فهو يتقاسم رغيفه مع هذا الحيوان ، فقال له ﷺ : ما حَملَك على ذلك ؟ فقال : إنِّي لأستحي أن آكل ولا أُطعمه .

وكأن الإمام ﷺ التمس فيه خصلةً مِن مكارم الأخلاق ، فأراد أن يُجازيه على فعله هذا لتنمو تلك الخصلة الجميلة ، فأمره أن لا يبرح مكانه ، حتَّى ذهب إلى سيِّده فاشتراه منه وأعتقه في سبيل الله تعالى ، ولم يكتفِ بذلك فقط بل اشترى البستان الَّذي كان يعمل به وملَّكه إيَّاه[٢١] .

أما تواضعه وزهده : فهُما مِن أعلى خصال كمال النَّفس وسمُّوها ورفعتها ، لأنَّ التَّواضع

لا يزيد صاحبه إلَّا رفعةً وعلوَّاً ، والَّذي يريد أن يستدلَّ على ذلك في شخص الإمام عليه السلام فإنَّه سيجد ذلك وهو مُتجلٍ بأبهى صوره في حياة الإمام ، ومما نقلته المصادر في ذلك :

أنَّه عليه السلام كان بصُحبة أخيه الإمام الحسين عليه السلام ويُرافقهما ابن عبَّاس في أحد بساتينه ، فطافوا بتلك البستان حتَّى جلسوا على بعض ضفاف سواقيه ، فقال عليه السلام لمُدرك ـ وهو مَن روى هذه الرِّواية ـ : يا مُدرك هل عِندَك غداء ؟ فقلت له : نعم ، ثُمَّ انطلقت فجئته بخبزٍ وشيءٍ مِن الملح مع طاستين مِن بقلٍ ، فأكل منه ، وقال : يا مُدرك ، ما أطيب هذا.

وجيء بطعامٍ في مُنتهى الحُسن والجودة ، فقال عليه السلام لمُدرك بعد أن أمره بأن يجمع له الغلمان العاملين في هذا البستان ليُقدِّم لهم الطَّعام الجيِّد الَّذي جُلِبَ لهم ، فأكلوا منه حتَّى شبعوا ، ولم يمدَّ الإمام عليه السلام يده لذلك الطَّعام ، فاستفهم منه مُدرك عن ذلك ؟ فقال عليه السلام : إن ذلك الطَّعام أحبُّ عِندي [٢٢] .

ومنها : ما رُوي عنه عليه السلام أنَّه كان يوماً مِن الأيَّام مُجتازاً في أحد الطُّرق ، فرأى فيه مجموعةً مِن الفقراء والمساكين قد وضعوا كُسيرات مِن الخبز يأكلونها، فدعوا الإمام عليه السلام لتناول الطَّعام معهم ، فلبَّى دعوتهم وجلس بينهم وأكل مِن كسرات خبزهم ، ودعاهم عليه السلام لضيافته، فأطعمهم وكساهم [٢٣].

ومرَّة أُخرى مرَّ على صبيان في المدينة ، فرآهم يتناولون مِن طعامٍ لهم فدعوه لمشاركتهم ، فلبَّى تلك الدَّعوة ، وبعد ذلك دعاهم كلَّهم إلى منزله لينالوا مِن برِّه وصلاته ، وكان يقول : اليد لهم لأنَّهم لم يجدوا غير ما أطعموني ، ونحن نجد ما أعطيناهم [٢٤] .

وبذلك فقد رفض الإمام عليه السلام مباهج الدُّنيا وزخارفها ، وملاذها ومباهجها ، طلباً لمرضاة الله تعالى ، والتزاماً بوصاياه ، وتطبيقاً لأوامره جلَّ وعلا .

٥ ـ فضائله ومناقبه :

تنوعت فضائل الإمام الحسن عليه السلام وتعددت مناقبه ، فهي بين آيةٍ قرآنية ، وروايةٍ نبويَّة شريفة ، وقولٍ لعُلماء وحُكماء الأُمَّة ، كلُّها تُظهر مدى ما له مِن مناقب وفضائل ، ووردت في المصادر المتنوعة كثيرٌ منها ، فمنها على سبيل المثال :

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [٢٥] .

اتفق جُمهور العُلماء مِن الفريقين على أنَّ هذه الآية ، وتُسمَّى آية المباهلة ، قد نزلت في رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأنَّ المقصود بالأبناء هم الحَسَنَان عليهما السلام فقصَّة الآية لها دلالة واضحة على مكانة أهل البيت عليهم السلام وسمُّوهم ورفعتهم وأفضليتهم ، وأنَّهم كانوا أحبّ الخَلق وأقربهم إلى الله ورسوله ، فلا يُدانيهم أحدٌ في هذه الفضيلة مِن غيرهم [٢٦] .

وكذا آيةُ التَّطهير النَّازلة بحقِّهم عليهم السلام حيثُ كانت موضع اتفاق العلماء والمفسِّرين ، وأنَّها خاصَّةٌ بهم ، رُغم بعض الخلافات حولها ، ودخول نساء النَّبيِّ ﷺ بينهم ، إلَّا أنَّ اتفاقهم كان حول شمولها لآل البيت ، واختلافهم في شمولها لنسائه ﷺ [٢٧] .

وروى جمهور المفسِّرين للقرآن الكريم في سورة الدَّهر أو الإنسان ، أنَّها نزلت في حقِّ أهل البيت بعد مرض الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام فنذر الإمام والصدِّيقة الزَّهراء عليهما السلام صيام ثلاثة أيام شُكراً لله تعالى إن شُفيا ، فبرئا مِن مرضهما ، فوفى أهل البيت عليهم السلام بهذا النَّذر ، وفيه أروع الصُّور في الإيثار.

فكانوا عليهم السلام كلَّما جلسوا للإفطار طرَقَ بابهم طارقٌ يسأل الله منهم أن يُطعموه مما رزقهم الله منه ، فيتناولونه كلَّ طعامهم ذلك اليوم ، فيطوون ذلك اليوم جياعاً ، حتَّى استمر ذلك لأيام ثلاثة ، فشكر الله لهم ذلك ، وواعدهم جزيل الثَّواب ، فأنزل الله فيهم قوله : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [٢٨] .

وغيرها مِن الآيات القرآنية النَّاصَّة على فضلهم وتقدّمهم سلام الله عليهم .

وورد عن جدِّهم المصطفى ﷺ روايات تنصّ على فضلهم وشمائلهم الكريمة لبيان منزلتهم ، وما ورد في شأن الإمام الحسن عليه السلام منها :

١ ـ الحسن والحسين ريحانتاي مِن هذه الدُّنيا [٢٩] .

٢ ـ هُما سيِدا شباب أهل الجنَّة [٣٠] .

٣ ـ النُّجوم أمانٌ لأهل الأرض مِن الغرق ، وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض مِن الاختلاف [٣١] .

٤ ـ اللهُمَّ إنَّك تعلم أنِّي أُحبهما ، وأُحبُّ مَن يُحبُهما [٣٢] .

٥ ـ وعن سلمان المحمَّدي ، عنه ﷺ : الحسن والحسين ابناي ، مَن أحبَّهما أحبني ، ومَن

أحبني أحبَّه الله ، ومَن أحبَّه الله أدخله الجنَّة ، ومَن أبغضهما أبغضني ، ومَن أبغضني أبغضه الله، ومَن أبغضه الله أدخله النَّار [٣٣] .

وخيرُ الفضل ما شَهِدَت به الأعداء ، فقد رُوي عن معاوية بن أبي سفيان ، أنَّه سأل جُلساءه عن أكرم النَّاس أباً وأماً ، وجدَّة وجدَّاً ، وعمَّاً وعمَّةً ، وخالاً وخالة ؟ فأجابوا : أن أمير المؤمنين أعلم بذلك .

فأخذ بيد الإمام الحسن عليه السلام وقال : هذا ؛ أبوه عليّ بن أبي طالب وأُمَّه فاطمة بنت محمّد ، وجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وجدَّته خديجة ، وعمَّه جعفر وعمَّته هالة بنت أبي طالب ، وخاله القاسم بن محمّد وخالته زينب بنت محمّد [٣٤] .

وفي رُواية أُخرى : أنَّ مروان بن الحكم الأمويّ ، ألد أعداء أهل البيت عليهم السلام قد شارك في حَملِ نعشه عليه السلام بعد وفاته ، فاستغرب مِن ذلك الإمام الحسين عليه السلام فسأله : أتحمل جثمانه وكنتَ تُجرِّعه الغصص ؟ فقال مروان : كنتُ أفعل ذلك بمَن كان يوازي حلمه الجبال [٣٥] .

وعن عبد الله بن الزُّبير ، أنَّه قال : واللهِ ما قامت النِّساء عن مثل الحسن بن عليّ في هيبته وسموِّ منزلته [٣٦] .

ولو حاولنا استقصاء فضائله عليه السلام ومناقبه ، لما وسعتنا كتب ومجلَّدات ، ولكن اكتفينا بذكر بعضها لشهرتها وانتشارها .

٦ ـ عصره :

عاصرَ الإمام الحسن عليه السلام عصر الرِّسالة المحمَّدية الخالدة ، رسالة جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله ورأى بأُمِّ عينيه ما عاناه جدّه في سبيل نشرها ، وكيف كان يهتم بإقامة الدَّولة الإسلاميَّة ونشر دعوتها ، وكان عليه السلام موضع اهتمام جدِّه البالغ هو وأخوه الحسين عليه السلام وبذا فقد مرَّ الإمام بكلِّ مراحل الرِّسالة الاسلاميَّة .

ثُمَّ شاهد كيف حُرِّفت تلك الرِّسالة عن مسارها منذ يوم السَّقيفة والبيعة لغير أبيه عليه السلام بالخِلافة ، خصوصاً بعد ما أوصى له جدَّه رسول الله صلى الله عليه وآله بالخلافة ، وبيعة النَّاس له عليها .

ثُمَ عاصر الخلفاء الثلاثة الأُول ، وكيفية تعامل أبيه معهم ، ودفاعه عن الإسلام ومحافظته على بيضة الدِين ، وخوفه الشَّديد على هذه الأمة التي كانت في بداية تكوينها ، وانشغاله

بالتَّبليغ ونشر الثقافة الاسلاميّة حتَّى استُخلِف ، ودفع ثمن هذا الجهد بأن قُتِلَ غَدراً في محرابه وهو قائمٌ يُصلِّي مِن قِبَل أشقى الأوَّلين والآخرين ، فتسنَّم الخلافة مِن بعده بالوصيَّة .

كلُ ذلك لا بدَّ مِن أن يترك أثره البالغ في نفس الإمام ﷺ وكلُّ مرحلةٍ عاشها تحتاج إلى وقفةٍ طويلة ، إلَّا أنَّ مِن أهمِّ ما مرَّ به الإمام ﷺ هو خلافته بعد شهادة أبيه المرتضى ﷺ فهو مِن أهمِّ المحاور التي يجب الوقوف عندها في عصر الإمام الحسن ﷺ فهناك مواقف تاريخية مفصلية في عمر البشرية بحيث أنَّها تُغيِّر مجرى التاريخ ، وتترك أثرها البالغ فيه ، وهو ما يجب الوقوف عنده .

وتنازل الإمام الحسن ﷺ عن الخلافة كان مِن أخطر المواقف وأهمّ المُعضلات في التاريخ الإسلامي .

بعد استشهاد المرتضى ﷺ خطب ولده الإمام الحسن ﷺ خطبةً بليغة بيَّن فيها فضائل أبيه ، مُتحدِثاً عنه شارحاً لمواقفه ، ولَّما أنهى الإمام تلك الخطبة بادر النَّاس إليه فبايعوه مُنثالين عليه هاتفين بالطَّاعة له والإنقياد ، فتمَّت بيعته في يوم الجمعة الحادي والعشرين مِن شهر رمضان المبارك سنة (٤٠) للهجرة النبويَّة [٣٧] .

وكان مِن أهمِ الأُمور عندهم مواصلة درب أبيه المرتضى في جهاد أعداء الدِّين والرِّسالة وقتال النَّاكثين والقاسطين والمارقين ، ومعاوية الَّذي يُظهر الشرَّ لهم ويُطالب بالخلافة والإمرة يتربصُّ بالمسلمين ريب المنون ، فوقف الإمام ﷺ موقف الحازم لمواصلة جهاده ودفعه عمَّا يُريد، فكانت بينهما مراسلات ومكاتبات اتسمت بإقامة الحجَّة البالغة مِن قِبل الإمام لردعه عمَّا يطلبه ، فهو ليس مِن حقِّه ولا لغيره .

فجيَّشَ الإمام ﷺ الجيوش لقتاله ودفعه ، بالمقابل فقد أخذ معاوية بالتَّحشيد لقتال الإمام ﷺ مُستعملاً شتَّى السُّبل في محاربته ، ومِن هذه الأساليب التي شُهِرَ بها هي شراء ذمم الرِّجال بالأموال والأُعطيات ، مُستميلاً أصحابه ﷺ لينقلبوا عليه ، فنجح في بعضها وفشل في أخرى .

وهذه المسألة تفشَّت في جيش الإمام ﷺ بل وأثَّرت حتَّى في أقرب النَّاس منه ابناء عمومته، فانحاز قسمٌ منهم إلى صفِّ معاوية ، فكان جيش الإمام ﷺ بين فئةٍ مالأت الحكم الأموي رغبةً في الدُّنيا ، يملؤهم الحقد على خلافة الإمام ، فكانوا يتحينون الفرصة للانقلاب عليه وها هي أتت إليهم فأرجفوا بجيشه ﷺ .

وفئة تأرجحت في موقفها ولم تحدد لنفسها مساراً تتبعه ، وكانت تطمع إلى السَّلامة ودفع الخطر والقتل عنهم ، فاكتفت بالترقُّب لما ستنجلي عنه المواقف ليروا رأيهم .

وفئة أثارتها العصبيَّة القبلية والإقليمية ، وبقيَّةٌ باقية هم غوغاء لا رأي لهم .

وثبتت مع الإمام عليه السلام فئةٌ قليلة مُخلصة خيِّرة خَفَت رأيها بين هذه الفئات المُتناحرة ، وهذا الأمر أثَّر بشكل رئيس في جيشه ، حتَّى وصل الأمر إلى محاولة اغتياله والخلاص منه .

هذه الأمور وغيرها هي التي جعلت الإمام يُوافق على الصُّلح ، وهو مِن أهمِّ ما يجب الوقوف عليه في عصره عليه السلام فهي وغيرها لم تجعل للإمام سبيلاً غير الصُّلح ليترك الحكم إلى معاوية برهةً مِن الزَّمن ، لذا فقد شرِط عليه شروطاً متعددة حاول فيها أن لا يترك أمراً إلَّا واحتاط فيه ، فشرط على معاوية شروطاً أفاض فيها الباحثون وحللوها ووقفوا عندها .

٧ ـ وفاته :

اتفقت النُّصوص التاريخية وبمختلف مشاربها أنَّه عليه السلام استشهد مسموماً بمؤامرةٍ مِن معاوية أطرافها مروان بن الحكم وزوجته جعدة بنت الأشعث ، فسُقي السمَّ بشربة مِن عسل، فعانى عليه السلام مِن ذلك أشدَّ المعاناة ، وقاسى أشدَّ الألم ، حتَّى لفظ مِن ذلك كبده الشَّريف، فبدأ يُوصي بوصاياه حتَّى استشهد[٣٨] .

الفصل الثاني

١ ـ لمحة في تراث الإمام الحسن عليه السلام :

تتجلَّى الهداية البشريَّة في تطبيق ما أنزَل الله مِن تشريعاتٍ وأحكامٍ على الأمة الإسلاميَّة ، وكذا في حماية وصيانة هذه النُّصوص الإلهية المقدَّسة مِن أيِّ دسٍّ وتحريف وكلَّ ما يقوم به الضالُّون .

لذا تجد أنَّ الأئمَّة عليهم السلام تركَّز دورهم في تربية وتنشئة هذه الأمة العظيمة ، وتثقيفها على مفاهيم الرِّسالة المحمَّدية الغرَّاء ، فهم عليهم السلام يرون أنَّ أُولى مهامهم هو الإرشاد والتربية ، مُنطلقين مِن النُّصوص القرآنية الصَّريحة التي بيَّنت أهداف الرِّسالة والمُرسَل ، والإمام المعصوم عليه السلام هو امتدادٌ طبيعي للرَّسول صلى الله عليه وآله ومُمارسة ما مارسه الرَّسول صلى الله عليه وآله .

ومِن أجل القيام بهذا الواجب العظيم فقد غضَّ الإمام الحسن ﷺ الطَّرف عن الخلافة السَّياسيِّة ، وتنازل عنها لأسبابٍ دينيَّة ومبدئية ، فتصدَّى للتثقيف والتَّوعية الدّينية والعلمية والتربوية ، فهو كجدِّه ﷺ وأبيه ﷺ قائد مبدئي مهمته القيادة التوعوية .

ترك الإمام الحسن ﷺ تراثاً ثرّاً للأمة الإسلامية مِن خلال نصوصٍ تعددت أشكالها وتنوعت مضامينها، فهي بين خطبةٍ أو وصيَّة ، واحتجاج أو رسائل وأحاديث ، وحِكَم ومواعظ ، وفي شتَّى مجالات المعرفة ، وهذا الأمر يكشف لنا مدى التنوع في اهتمامات الإمام ﷺ كونه على رأس السّلطة الدينية للأُمة .

وإذا ما لحظنا العصر الَّذي عاش فيه الإمام الحسن ﷺ وخطورة الوضع السياسي والاقتصادي والفكري بل في كلِّ محاوره ، ومِن فتنٍ ودواهٍ دهت هذه الأمة وتسلُّط الطُّغاة على أمورها ، فهمنا ما تحتاجه هذه الأمة مِن جُهدٍ جهيد في سبيل إحلالها ، حتَّى وصل هذا الجهد للتضحية بالدِّماء والأنفس وهو ما فعله الإمام الحسين ﷺ .

هذا الأمر استدعى مِن الإمام الحسن ﷺ أن يتصدَّى لهذا التصدُّع والفتن ، فأخذ على عاتقه الاصلاح الفكري والتربوي ، وتجلَّت خطوات الإمام ﷺ الاصلاحية ، ومِن خلال التَّتبع لكلِّ ما تركه مِن تراثٍ، وفي مواقف شتَّى عبَّر عنها الإمام ﷺ مِن خلال كلماته ، فأرشد الأمة الإسلامية إلى طريق الصَّواب بالإضافة إلى مواقف عمليَّة أرشد فيها أصحابه لجادَّة الصَّواب، فكانت منهجاً تربوياً عظيماً حاول الإمام ﷺ حمل الأمة الاسلامية عليه لِما فيه مِن خيرٍ وصلاحٍ كبيرين تنفعهم في الدُّنيا وتُنجيهم في الآخرة .

ولا يُمكن لنا أن نُحصي أقوال وأفعال الإمام الحسن ﷺ في هذه الجوانب ، ولكننا سنورد بعضاً منها وتحت عنوانات تربوية مختلفة لتسليط الضَّوء على ما تحمله مِن معاني تربوية سامية، وما تحمله مِن قيمٍ علمية عالية .

٢ ـ الحثُّ على طلب العلم والمعرفة :

إنَّ مِن أهمِّ مقومات التربية الإسلامية والعلمية الصَّحيحة هي في الحثِّ على طلب العلم والتعلم المعرفي بشتَّى صنوفها ، فمقياس التقدم الحضاري للأُمم هو في تقدمها العلمي والمعرفي والاستفادة مِن ذلك في سبيل خدمة البشرية .

ولم تغفل كلمات الإمام الحسن عليه السلام هذا الأثر لِما فيه مِن خطورةٍ وأهميةٍ تترك أثرها، على المجتمع ، لذا فقد حثَّ عليه السلام على طلب العلم والتعلم ، والتعقل والتدبر في كلماتٍ متعددة في ذلك ، وهي وإن كانت قليلة ومختصرة جداً فقد تعودنا ذلك في أساليب الأئمَّة المعصومين عليهم السلام فخيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ ، وهي مِن طبيعة القيادة التي يتّصفون بها ، فكلماتهم مختصرة ذات مضامين عميقة ودلالات كبيرة ومفاهيم واسعة .

ومما أُثر عنه عليه السلام في ذلك قوله :

أ ـ (أُوصِيكُم بتقوى الله ، وإدامة التفكر ، فإن التفكر أبو كلّ خير وأمة) [٣٩] .

فهو عليه السلام بعد التوصية بالتقوى التي هي أساسُ كلُّ عملٍ يقوم به الإنسان ، وهي ميزان التَّفاضل بين النَّاس عِندَ الله عزَّ وجلَ ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٤٠] وها هو الإمام عليه السلام يحثُّ على ذلك ، ويُعدَّه باباً لكلِّ ما يقوم به الإنسان مِن الأعمال .

ونراه عليه السلام بعد الوصيَّة بالتقوى يحثُّ على التفكر والتدبر ، وهو بابٌ واسع ، حتَّى عدَّه عليه السلام أباً للخير كله ، فالتفكير الصَّحيح والتدبر السَّليم يوصلان صاحبه إلى الطريق القويم والمنهج الصَّحيح شاء أم أبى ، فهو إذن أصل الخير كله .

ب ـ قال عليه السلام :

(تعلَّموا العلم ، فإنَّكم صغار في القوم ، وكبارهم غداً ، ومَن لم يحفظ منكم فليكتب) [٤١] .

رسمت هذه الكلمات للإمام عليه السلام خطَّةً ومنهجاً واضحين في طلب العلم ، فهو حثٌّ على تعلُّمه منذ الصِّغر ونعومة الأظفار ، وقد حفلت كلمات الأئمَّة عليهم السلام وكذا حكماء الإنسانية الحثّ على طلب المعرفة وتعلُّمها منذ الصِّغر فهو كالنَّقش على الحجر .

وإن هذه الكلمات حملت النَّظرة المستقبلية بعيدة المدى ، وبيَّنت الغرض مِن التعلم والأثر الَّذي يؤديه العلم والمعرفة بين البشر ، فله الريادة والقيادة الكبرى والأثر الأعظم في ترتيب شؤون الحياة ، لذا ترى الإمام عليه السلام قد حثَّ على طلب العلم منذ الصِّغر ، فإذا ما كبر الإنسان وهو مواكبٌ منذ صغره وعاكف على طلب العلم فإن ذلك سوف يُوصله إلى الرقي والدَّرجات العليا في قيادة المجتمعات البشرية .

وليس ذلك فقط ، بل إنَّ الامام ﷺ بيَّن بعض طرق التعلم وهو في حثِّه على كتابته ، فأمر مَن لم يتمكن مِن الحفظ ولأي سببٍ كان بتقييد وكتابة ما يتعلَّمه مِن أساتذته وشيوخه فلا تفوته شاردة ولا واردة ، وإذا ما احتاجه فيما بعد سيرجع إلى ما كتبه فيُساعده ذلك على التذكُّر وعدم النِّسيان ، ولا يخفى على ذي بالٍ ما للكتابة مِن أثر مهمٍّ وعظيم في نشر العلم وتعلمه وكذا في تذكره .

وركَّز الإمام ﷺ في كلمته المختصرة هذه على محاور أساسية في رسم طريق طلب العلم ، فهي تمثَّلت في طلبه منذ الصِّغر أولاً ، وإن هذا التعلم في هذه المرحلة إذا خلُص سيوصله إلى القيادة والريادة فيه ثانياً ، وثالثاً أنَّ على المتعلم أن يستعين بالكتابة خوفاً من النِّسيان أو ضياع ما تعلمه .

ت ـ قال ﷺ :

(علِّم النَّاس وتعلَّم علم غيرك ، فتكون قد أتقنت علمك وعلِمتَ ما لم تعلم) (٤٢) .

يرسم الإمام ﷺ في هذه الكلمات أهمية وأثر العلم والتعلم ، فالإنسان إذا ما تعلَّم علماً مُعيناً فعليه أن يدفع ضريبة هذا التعلم ، وهذه الضَّريبة تتمثل في تعليم ما تعلمه للغير ، فلا فائدة تُذكر مِن علمٍ لا ينتفع به النَّاس ، لهذا فقد أوجب الإمام ﷺ لِمن تعلَّم شيئا مِن العلم أن يُعلِّمه لغيره لعميم الفائدة في ذلك .

ولم يكتفِ الإمام ﷺ بذلك ، فقد حثَّ أيضاً على تعلم علوم غيرنا مهما كانت هذه العلوم بل واتقانها أيضاً لأنَّ هذا العلم هو اللُّغة التي يتفاهم بها العقلاء مِن كلِّ الأقوام مهما تعددت أديانهم وقومياتهم ومشاربهم ، ولِما في ذلك مِن خيرٍ وصلاحٍ للأمم .

رَّكز الإمام ﷺ في ذلك على ضرورة التلاقح الفكري والحضاري ، وكأنه يحثُّ المسلمين على الانفتاح على بقيَّة الأُمم والحضارات مِن خلال التبادل العلمي والمعرفي فيما بينهم فعسى أن يجدوا فيما نعلمه خيراً لهم والعكس صحيح أيضاً ، ولا يخفى ما في هذا التلاقح مِن رقيٍ فكري يخدم جميع الأطراف لإعلاء شأن الإنسانية جميعها فهي الرابط الأكبر بين جميع البشر .

ث ـ قال ﷺ :

(لا أدب لِمن لا عقل له ، ولا مودَّة لِمن لا همَة له ، ولا حياء لِمن لا دين له ، ورأسُ العقل مُعاشرة النَّاس بالجميل ، وبالعقل تُدرك سعادة الدَّارين ، ومَن حُرِم العقل حرمهما جميعاً) (٤٣) .

كلمات قصيرة ذات أبعاد خطيرة ومعاني عميقة في رسم منهجٍ تربوي وعقلي ، وخطوات مترتبة تتكئ إحداها على الأُخرى ، ركزت أولاها على اقتران الأدب بالعقل ، فهما يسيران مسيرة واحدة للوصول بالبشر إلى خير الدُّنيا والآخرة .

فهذه مراحل متعددة في كلمة الإمام عليه السلام يقترن فيها العقل بالأدب لسعادة الدَّارين ، فالأدب يؤدي إلى المودَّة وهي إلى الحياء ، والحياء فيه حُسن معاشرة الناس والتَّعايش فيما بينهم ، مما يؤدي إلى السَّعادة في الدُّنيا التي هي طريق الآخرة .

والعقل الَّذي يؤدي إلى الهمَّة في الأمور والقصد في أدائها ، فيؤدي إلى الالتزام بالدِين الصَّحيح والقويم مِن خلال ما يصل إليه العقل الصَّحيح مِن نتائج تؤدي بالتالي إلى حُسن المُعاشرة بين النَّاس وبالتالي إلى السَّعادة في الدَّارين .

فالأدب والعقل يسيران جنباً إلى جنب ومع بعضهما لتحصيل السَّعادة في الدُّنيا والمقام الأسنى في الآخرة ، ومؤدَّى كلِّ ذلك هو العقل .

لذا نجد أنَّ الإمام عليه السلام يركِّز على أنَّ مَن حُرِم هذا العقل والتدبر والتفكر فإنَّ مصيره الخسران في الدَارين معاً .

هذه بعضٌ مِن كلمات الإمام الحسن عليه السلام في الحثِّ على التعقل والتدبر والتفكر كونه أساساً ومفتاحاً لكلِّ شيءٍ ، ولا يسعنا المقام هنا أن نذكر جميع كلمات الإمام الحسن عليه السلام خشية الإطالة وإلَّا فإنَّ لكلِّ كلمةٍ مِن كلماته مايحتاج إلى وقفةٍ طويلة .

٣ ـ تدبر القرآن الكريم :

القرآن الكريم كتابُ هداية وتشريع ، وهو الأساس المُعتمد في كلِّ شيءٍ لذا نجد أنَّ الأئمَّة عليهم السلام حثُّوا على تعلمه وتدبره والتفكر في آياته ، والبحث عمَّا تعنيه آياته الكريمة مِن تفسيرٍ وبيان ، وهم عليهم السلام عِدلُ القرآن الكريم وخَزَنَة علمه ، ومِن خلال كلماتهم عليهم السلام نجدهم مرَّةً يحثُّوا على تلاوته تبركاً به ، فمجرد النَّظر إلى رسمه وكتابته يحصل المؤمن مِن خلالها على ثوابٍ عظيم وأجرٍ كبير .

أمَّا التدبر فيه فهو غاية ما يحثُّ عليه الأئمَّة عليهم السلام وهو أحد أبواب العقل السَّليم والتفكر الصَّحيح، وكذا في تفسيره ، فقد وردت عنهم عليهم السلام روايات كثيرة في تفسيره ، فهم العالمون به على وجه الحقيقة .

والنَّظر والتفكر والبحث في تفسير الآيات القرآنية الكريمة هو منهجٌ تربوي للمسلم المؤمن ينطلق أساساً مِن خلال آيات القرآن الكريم الحاثَّة على التدبر والتفكر.

تنوعت كلمات الإمام الحسن ﷺ حول القرآن الكريم ، فهي بين ما تصفه وتوضح عظمته ، وتبيِّن مكانته ، وبين ما تحثُّ على التدبر والتعمق فيه لِما فيه خير الدَّارين ، فمِن كلماته ﷺ في ذلك :

أ ـ قوله ﷺ :

(... كتابُ الله فيه تفصيل كلّ شيء ، لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه ، والمعوَّلُ عليه في كلِّ شيءٍ ، لا يخطؤنا تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا ، فإطاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرَّسول وأولي الأمر مقرونة ...) (٤٤) .

ابتدأ الإمام ﷺ في هذه الكلمات القصار ، فذكر فضل القرآن الكريم وهو الدستور الأمثل للإنسانية جمعاء ، ففيه كلّ ما يبتغي الإنسان عالماً كان أم جاهلاً ، فيه تفصيل كلّ ما يحتاجه ليتكئ عليه في بناء حياته وصولاً إلى السَّلامة في الآخرة ، وهو أيضاً غير قابل للتحريف والتبديل .

فكانت كلماته ﷺ بياناً وتأييداً لِما في القرآن الكريم مِن آياتٍ تُثبت عدم امكانية تحريفه وتبديله عبر التَّعهد الإلهي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٤٥) وغيرها من آيات .

ثُمَّ يشرع ﷺ ببيان مكانة الكتاب المنزل على رسوله ﷺ فهذا الكتاب الكريم هو المعوَّل عليه والموئل إليه وهو المرجِع والمُعتمد عليه في كلِّ شيءٍ وبما لا مزيد عليه .

ثُمَّ يُعرِّج الإمام ﷺ على ذكر أثر الأئمَّة ﷺ كونهم عِدل القرآن وصنوه وهم ﷺ خير مَن يُبيِّن ويُوضِّح تفاصيله وما تحتاجه آياته مِن شرحٍ وتفصيل واستنباطٍ لأحكامه ، هو المعنى الحقيقي لِما ينطق به القرآن الكريم ومُراد الله سبحانه وتعالى .

فطاعة الأئمَّة ﷺ هي طاعةٌ للقرآن الكريم ، واتباعهم هو اتباع لِما نطقت به آياته الكريمة، وبالتالي فهي طاعةٌ لله جلَّ وعلا .

ب ـ ومِن أقواله ﷺ في القرآن الكريم قوله :

(ما بَقي مِن هذه الدُّنيا بقيَّةٌ غير هذا القرآن فاتخذوه إماماً ، وإنَّ أحقّ النّاس بالقرآن مَن عَمَل به وإن لم يحفظه ، وأبعدهُم عنه مَن لم يعمل به وإن كان يقرؤه) (٤٦) .

كلمات عظيمة له عليه السلام تُبيِّن مكانة القرآن الحقيقية ، كونه إماماً في كلِّ شيءٍ ، والإمام هو ما يجب الرُّجوع إليه في كلِّ المهمَّات والملمَّات ، حيث ركز سلام الله عليه في عباراته هذه على خلود القرآن الكريم الأبدي ، فهو باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها ، أضف إلى ما ذكره في كلمته عليه السلام السَّابقة من أنَّ القرآن الكريم لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه وبحسب التَّعهد الإلهي بذلك ، فما كان كذلك مِن علوٍّ مكانةٍ وعدم امكانية التحريف والتبديل فلا بدَّ مِن أن يكون إماماً يُرجَع إليه ، لذا فقد أوصى عليه السلام باتخاذ القرآن الكريم مرجِعاً يرجع إليه الإنسان في كلِّ ما يريده .

ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بذلك فقط ، بل بيَن أنَّ الَّذي يتبع الكتاب الكريم والَّذي يتخذه إماماً ومرجِعاً له هو مَن يعمل به فلا يكتفي بمجرد تلاوته وقراءته وحفظه ، رغم ما في ذلك مِن ثواب وعطاء جليل مِن الله تعالى لقارئه وحافظه وتاليه ، ولكن الغرض الأساس منه هو اتباع ما في آياته الكريمة والأئتمار بأوامره والابتعاد عن نواهيه والعمل بآياته .

ثُمَّ يُعرِّج الإمام عليه السلام على حقيقة أُخرى وهي : أنَّ الإنسان وإن كان قارئاً وتالياً للكتاب الكريم فإنه إن لم يعمل بآياته ولم يلتزم بأحكامه فلا قيمة لذلك ، فصاحب القرآن والمؤمن حقاً به هو مَن يعمل به ويلتزم بما جاء به مِن أوامر ونواهٍ ، والابتعاد عن ذلك هو الترك الحقيقي للقرآن الكريم ، فقيمته الحقيقية هي الالتزام بما جاء به .

ت ـ وعنه عليه السلام في هذا السِّياق قوله :

(إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النُّور ، وشفاء الصُّدور ، فليَجُل جالٍ بضوئه وليلجم الصِّفة قلبه ، فإنَّ التفكير حياة القلب البصير ، كما يمشي المُستنير في الظُّلمات بالنُّور) (٤٧) .

واتباعه لكتاب الله تعالى والعمل بما فيه ، فهو عليه السلام يصف القرآن الكريم بالنُّور العظيم ، وكلماته وآياته بالمصابيح المكوِّنة لهذا النُّور ، وليس ذلك فحسب بل فيه شفاء لِما يعتلج في صدور المؤمنين مِن آهاتٍ ، ويُبعِد ما في صدور النَّاس مِن الأفكار السَّيئة ، فالتدبر في آياته

الكريمة تُبعد الشُّكوك والأوهام فتُشفي الصُّدور بما تحمله مِن نور الحقيقة ، فقراءته ومعرفة حقائقه تجلو النّفوس وتُطيِّب الصُّدور مما علق بها .

والإمام ﷺ بيَّن هنا أيضاً أن التفكر والتدبر في آيات الذِّكر الحكيم يجلو الجهل والظُّلمة عن قلب مَن يتفكر ويتدبر في آياته كالذي يستنير بالضَّوء في الظُّلمات فيهتدي لسعادة الدَّارين .

٤ ـ مكارم الأخلاق :

إنَّ مِن أعظم ما تتقوَّم به التربية الإسلامية والتَّنشئة الصَّحيحة هي الأخلاق ، لذا تجد أنَّ الرَّسول الأعظم ﷺ قرن رسالته العظيمة بمكارم الأخلاق ، فقال ﷺ : (إنَما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق) (٤٨) فقد حصر ﷺ رسالته الكبيرة وما تحمله في سبيل نشرها وما قام به مِن أعمال مِن أجل ثبيتها ، وما أعطاها مِن تضحيات جسيمة ، وما تحمَّل مِن أجلها مِن أذىً وضرر فهو إنَّما بُعث ليُتمم مكارم الأخلاق .

وهذا الأمر في واقعه يعكس ما عليه الخُلق الكريم في بناء الشَّعوب وتنشئة الأجيال وتربية الإنسان ، فالشعوب التي لا أخلاق لها لا قيمة تذكر منها أبداً ، بل إنَّ الترقي الحقيقي والإنسانية الصَّحيحة لا تتم إلَّا بالالتزام بالخُلق الكريم .

ومِن هذا المنطلق واستكمالاً لرسالة جدِّهم ﷺ فقد ركز أئمة أهل البيت ﷺ في جُملةٍ مِن أحاديثهم ومروياتهم المنيفة في هذا المضمار مبيِّنين أهمية الأخلاق وما تؤديه مِن أثر عظيمٍ في تربية الأجيال الفاضلة.

وحملت كلمات الإمام الحسن ﷺ ومواعظه رغم قلَّة ما وصل إلينا منها هذه المعاني السَّامية في الحثِّ على مكارم الأخلاق واتباع أحسنها وتحمُّل أعبائها وما قد تجرُّه مِن مشاكل للعامل بها ، ومِن كلماته ﷺ :

أ ـ (مكارم الأخلاق عشرة : صِدق اللِّسان ، وصِدق البأس ، وإعطاء السَّائل ، وحُسن الخُلق ، والمُكافأة بالصنائع ، وصلَّة الرَّحِم ، والتَّذمم على الجار ، ومعرفة الحقِّ لصاحبه ، وقِرى الضَّيف ، ورأسهنَّ الحياء) (٤٩) .

رسم الإمام ﷺ مِن خلال هذه الجمل البليغة الخطوط العريضة لمكارم الأخلاق ، فمفهوم

الأخلاق مفهوم واسع بعيد الغور ، تندرج تحته تطبيقات لا تُعدُّ ولا تُحصى ، فميدانها هو الحياة العامَّة والتَّعامل مع الآخرين ، لذا فقد اهتم الإمام عليه السلام بدأً بقواعد عامَّة في الأخلاق تتضمَن كلَّ واحدة منها عدداً مِن المصاديق .

فبيَّن عليه السلام أن مكارم ومحاسِن الأخلاق في عشرة أمور ، إذا التزم الانسان بها فقد ملك قياده ، ومِن هذه المكارم :

١ ـ الصِّدق :

حيثُ ركزت الشَّريعة الغرَّاء على أهمية الصِّدق في كلِّ شيءٍ ففيه النَّجاة في الدُّنيا والآخرة ، ونيل الحظوة فيهما جميعاً ، وقد مدح القرآن الكريم الصَّادقين في جملةٍ مِن آياته الكريمة .

٢ ـ صِدق البأس :

وهي تعني الجدية في تناول الأُمور بمختلف أشكالها ، وصِدق البأس يحتاج إلى عزمٍ وجدٍّ وصبرٍ على البلاء ، وهما لا يحتملهما إلَّا مَن صدَق مع نفسه وعوَّدها الصَّبر على تحمُّل الأذى في سبيل الله وأعباء الطَّريق .

٣ ـ إعطاء السَّائل :

وهو الكرم الحقيقي للإنسان حيث يُوصي الإمام عليه السلام بإعطاء السَّائل ما يحتاجه مِن وسائل الحياة الكريمة لتُعينه على تحمُّل مشاقِّها فلا ينحرف عن مؤدَّاها ، فالسَّائل إذا ما منع ولم يُعطَ فقد يؤدي ذلك إلى أُمور لا تُحمَد عُقباها مِن انحراف عن القصد وكفران النِّعم وضلال الطَّريق الحقّ .

وكان الإمام الحسن عليه السلام المصداق الفعلي والعملي لهذا الأمر حتَّى لُقِّب بكريم أهل البيت عليهم السلام وما ذلك إلَّا لكثرة عطائه للسائلين والمحرومين ، فهو عليه السلام قاسم أمواله الله تعالى مراراً وتكراراً، فيُعطي نصفها للسائلين والمحرومين والمعوزين .

٤ ـ حُسن الخُلق :

وهو مِن أعظم مكارم الأخلاق ، فحثَّ الإمام عليه السلام عليها ، فهي الباب الجامع لمحاسنها ، بها يتعامل النَّاس وبها يتفاضل الخلق ، وبالخُلق الكريم تحلُّ المجتمعات مشكلاتها ، فعلى العبد

أن يلتزم بحُسن الخُلق ليتسنى له التَّعايش مع الغير ، وهذا امتدادٌ لِما أوصى به جدّه ﷺ فيما سبقَ ذِكره فقرن رسالته السَّماوية به .

٥ ـ المُكافأة بالصَّنائع :

التَّعامل بين النَّاس في المجتمعات البشرية يقتضي أن يُكافأ المُحسِن فيها على صنيعه ، وإلَّا ضاع عمل المعروف بينهم ، وهذه قاعدة عامة تشمل جميع طبقات البشر ، وهو أحد الأُسس التي قام عليها الإسلام ، فهو حثَّ على عمل المعروف وإن كان في غير أهله ، بل والعمل الصَّحيح في كافة مجالات الحياة ، والمُكافأة على الصَّنيع الحَسن تبعث صاحبه على تكرار هذا العمل فيُصبح جبلةً فيه وأساساً في خُلقه .

٦ ـ صِلة الرَّحم :

أكد القرآن الكريم والأحاديث الشَّريفة على أهمية صِلة الرَّحم لِما في ذلك مِن شفقة وتواصل مع الغير ، فقد ورد عنهم ﷺ كثيرٌ مِن الأحاديث تحثُّ على صِلة الأرحام وعظيم ثوابها وما يلقى العامل به ، ومقولة الإمام ﷺ هذه هي امتداد لِما قاله جده ﷺ وأبوه ﷺ في هذا الشَّأن العظيم ، فعدُّوها واحدة مِن مكارم الأخلاق وركن أساس لها .

٧ ـ التذمم على الجار :

التذمم يعني حماية الجار ومداراته ومراعاته ، والنَّظر في حاجاته ، وأخذه تحت جناح الرَّحمة ، فالجار الَّذي يُجاورك مُدَّةً مِن العمر له حقوق عليك ولك حقوق عليه ، ولو راعى كلّ انسان هذه الحقوق لِما فيها مِن ثواب عظيم ، فهذه الخصلة هي واحدة مِن الأُسس الاجتماعية التي يجب أن يتعامل بها النَّاس لِما تجرُّه مِن منافع اجتماعية وأخلاقية .

٨ ـ معرفة الحقِّ للصاحب :

ترتكز الرِّسالة الإسلامية بشكل كبير على معرفة الحقّ ثُمَّ ردُّه إلى صاحبه ، وقد أوصى أئمَّة أهل البيت ﷺ وعلى امتداد تاريخهم بالأقوال والأفعال وحثُّوا على معرفة الحقِّ وردِّه إلى صاحبه والاعتراف به ، ومعرفته لا تقتضي فهمه فقط أو اتباعه بل عليه أن يُتمَّ هذه المعرفة فيعترف به لصاحبه أنَّه صاحب هذا الحقّ وفاعله ، وهي خصلة قلَّما نجد مَن يعمل بها ويتبعها في وقتنا الحالي .

٩ ـ قِرى الضَّيف :

التَّعارف والتداخل في المجتمعات البشرية يقتضي التزاور والاحتفاء احدهما بالآخر ، وللضيف كرامة على الإنسان وفي مداراته ثواب عظيم وخصوصاً إذا ما تباعدت به أطراف السَّفر وتقطَّعت به السُّبل ، فقضاء حاجاته مِن أهمَّ ما تسمو به الرُّوح البشرية ، وهي خصلة أساسية في الارتقاء بالأخلاق عالياً ، ولم تخلُ أحاديث الرَّسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام مِن الحثِّ على الالتزام بهذه الخصلة الكريمة .

١٠ ـ ورأسهنَّ الحياء :

انظر كيف يُرجِع الإمام عليه السلام مكارم الأخلاق المتقدمة كلّها إلى أساسٍ واحدٍ ألا وهو الحياء ، فلا حياة لِمَن لا حياء له ، وكلمته عليه السلام هذه تكشف لنا عن مدى أهمية الحياء والتعامل به بين النَّاس ، فكلُّ ما تقدَّم مِن مكارم الأخلاق أساسه الحياء ، فهي مفتاح كلّ خير وقاعدة كلّ فضيلة .

إنَّ المتتبع لكلمات الإمام الحسن عليه السلام في هذا الجانب لا يجد ذلك فقط ، بل إنَّه عليه السلام بين تفريعات هذه المكارم العشرة مِن خلال كلماته الموزَّعة على مصادر عدَّة ، فهو عليه السلام بيَّن كثيراً مِن القضايا الاخلاقية وما يجب أن يتسم به الإنسان الملتزم المؤمن بدينه وبالطَّريقة التي أمر الله باتباعها لِما يتركه الالتزام بالأخلاق الفاضلة مِن أثرٍ بالغٍ في المجتمعات .

لذا تجد الإمام عليه السلام قد بيّن كثيراً مِن هذه الصِّفات وعرَّفها بكلمات قصيرة ، فيها مضامين عميقة يحتاج الواقف عليها إلى إعمال الفكر والتدبر في معانيها ، ومِن ضمن ذلك قوله عليه السلام :

١ ـ (الإخاء : الوفاء في الشدَّة والرَّخاء) .

٢ ـ (الحُلم : كظم الغيظ ، ومُلك النَّفس) .

٣ ـ الغنيمة : الرَّغبة في التقوى ، والزَّهادة في الدُّنيا).

٤ ـ (السَّداد : دفع المنكر بالمعروف) .

٥ ـ (السَّماحة : البذل في العُسر واليُسر) .

٦ ـ (الصَّمت : ستر العيب ، وزين العرض ، وفاعله في راحة ، وجليسه آمن) .

٧ ـ (المجد : أن تُعطي في الغرم ، وأن تعفو عن الجرم) .

٨ ـ (الثَّناء : إتيان الجميل ، وترك القبيح) .

٩ ـ (الكرم : العطيَّة قبل السُّؤال ، والتبرع بالمعروف ، والإطعام في المحلّ) [٥٠] .

وفي الجانب المقابل فكما أنَّ الإمام الحسن ﷺ قد بيّن مكارم الأخلاق وسمّو النَّفس بالخُلق الكريم ، ثُمَّ عرَّف بعض الخصال والتفريعات لها، نجده ﷺ قد أشار إلى مساوئ الأخلاق كذلك وحذر أيضاً مِن ارتكابها وأمر بالابتعاد عنها بكلمات قصيرة ذات دلالات ومضامين عميقة ، يحتاج الإنسان أن يقف عندها متدبراً لمعانيها ، ليزن نفسه بميزانها ومقياسها ويعمل بها ليكتشف حقيقة نفسه وما عليه ومدى اتباعه للشَريعة الغرَّاء .

ومِن هذه الأمور التي ذكرها الإمام ﷺ وحذَّر منها :

١ – (الشُّح : أن ترى ما في يديك شرفاً ، وما أنفقته تلفاً) .

٢ – (اللَّؤم : إحتراز المرء نفسه ، وبذله عرسه) .

٣ –(الدَنيئة : النَّظر في اليسير ، ومنع الحقير) .

٤ – (الفقر : شره النَّفس في كلّ شيء) .

٥ –(الجبن : الجرأة على الصَّديق ، والنُّكول عن العدو) .

٦ – (الكلفة : كلامك فيما لا يعنيك) .

٧ – (السَّفه : اتباع الدُّناة ، ومُصاحبة الغواة) .

٨ – (هلاك النَّاس في ثلاث : الكبر ، الحرص ، الحسد) .

٩ –(أشدُّ مِن المصيبة سوء الخُلق) [٥١] .

وإلى غيرها مِن الكلمات التي تُبيِّن مساوئ الأخلاق .

الهوامش

١- ظ : معاني الأخبار ، الصدوق : ٥٧ ، علل الشرائع ، الصدوق : ١٣٨ ، عنهما بحار الأنوار ، المجلسي : ٤٣/ ٤٢٠ ح ٨ .
٢- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب : ٣/ ١٦٦ .
٣- ظ : الكافي ، الكليني : ٦/ ٣٣ ، عيون أخبار الرضا ، الصدوق : ٢/ ٤٥ .
٤- ظ : كشف الغمة ، الأردبيلي : ١/ ٥٢٣ ، عنه بحار الأنوار ، المجلسي : ٤٣/ ٢١٢ .
٥- الغيبة ، النعماني : ٢٢٢ .
٦- وهو شدَّة السَّواد مع سعتها ، لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (دعج) .
٧- وهو شعر الصَّدر الى البطن ، لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (سرب) .
٨- وهي رؤوس المفاصل ، لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (كردس) .
٩- كشف الغمة ، الأردبيلي : ١/ ٥٢٥ .
١٠- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب : ٣/ ١٦٥ .
١١- كشف الغمة ، الأردبيلي : ١/ ٥٢٢ .
١٢- الأمالي ، الصدوق : ١٥٠ عنه بحار الأنوار ، المجلسي : ٤٣/ ٣٣١ .
١٣- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب : ٣/ ١٨٠ .
١٤- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب : ٣/ ١٨٤ .
١٥- آل عمران : ١٣٤ .
١٦- بحار الأنوار ، المجلسي : ٤٣/ ٣٥٢ .
١٧- م . ن .
١٨- أنساب الأشراف ، البلاذري : ١/ ٣١٩ ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : ١/ ٢٣ .
١٩- النساء : ٨٦ .
٢٠- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب : ٢/ ٢٣ .
٢١- ظ : البداية والنهاية ، ابن كثير : ٨/ ٣٨ .
٢٢- ظ : تاريخ دمشق ، ابن عساكر : ٧/ ٢١ .
٢٣- ظ : مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب : ٣/ ١٨٧ .
٢٤- ظ : نور الأبصار ، الشبلنجي : ١٩٦ .
٢٥- آل عمران : ٦١ .
٢٦- ظ : مسند أحمد بن حنبل : ١/ ٨٥ ، السنن ، الترمذي : ٢/ ١٦٦ ، السنن ، البيهقي : ٧/ ٦٣ .
٢٧- ظ : صحيح مسلم : ٢/ ٣٣ ، المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري : ٢/ ٤١٦ .
٢٨- الانسان : ٩ ـ ١٢ .
٢٩- الإرشاد ، الشيخ المفيد : ٢/ ٢٨ .

٣٠- قرب الإسناد ، الحميري : ١١١ .
٣١- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري : ٣/ ١٤٩ .
٣٢- المصنَّف ، ابن أبي شيبة : ٧/ ٥١٢ .
٣٣- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري : ٣/ ١٦٦ .
٣٤- العقد الفريد ، ابن عبد ربة : ٣/ ٢٨٣ .
٣٥- تهذيب التهذيب ، ابن حجر : ٢/ ٢٩٨ .
٣٦- البداية والنهاية ، ابن كثير : ٨/ ٣٧ .
٣٧- ظ : الإرشاد ، المفيد : ٢/ ١٥ .
٣٨- ظ : تذكرة الخواص ، ابن الجوزي : ٢٢٢ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٤/ ١٧ .
٣٩- ربيع الأبرار ، الزمخشري : ٣/ ٣٠٤ .
٤٠- الحجرات : ١٣ .
٤١- الفصول المهمة ، ابن الصباغ : ١٤٣ .
٤٢- حكم ووصايا رسول الله وأهل بيته ، الحلواني : ٤٦ .
٤٣- كشف الغمة ، الأردبيلي : ٢/ ١٩٤ .
٤٤- الأمالي ، الشيخ المفيد : ٣٤٩ .
٤٥- الحجر : ٩ .
٤٦- إرشاد القلوب ، الديلمي : ١/ ٧٩ .
٤٧- كشف الغمة ، الأردبيلي : ٢/ ١٩٥ .
٤٨- مكارم الأخلاق ، الطبرسي : ٨ .
٤٩- الكافي ، الكليني : ٢/ ٥٥ ، ونسبت هذه الرواية الى الإمام الحسين .
٥٠- تاريخ دمشق ، ابن عساكر : ١٣/ ٢٥٤ ، كنز العمال ، المتقي الهندي : ١٦/ ٢١٥ .
٥١- م.ن .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، محمد بن محمد بن النعمان ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) تح : مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث ، قم ـ إيران ، ط ٢، ١٩٩٣ م .
* إرشاد القلوب ، الحسن بن محمد الديلمي
* الأمالي ، محمد بن علي بن الحسين ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) تح : مؤسسة البعثة ، قم ـ إيران ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
* الأمالي ، محمد بن محمد بن النعمان ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) تح : علي أكبر الغفاري ، جماعة المدرسين ، قم ـ إيران ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
* أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى البلاذري ، تح : محمد حميد الله ، دار المعارف ، مصر ـ القاهرة ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ .
* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ) مؤسسة الوفاء ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٣ م .
* البداية والنهاية ، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) تح : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .
* تاريخ مدينة دمشق ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) تح : علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
* تذكرة الخواص ، سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) مكتبة نينوى الحديثة ، قم ـ إيران .
* تهذيب التهذيب ، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت ٥٢٨ هـ) دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
* حكم ووصايا رسول الله وأهل بيته ، الحلواني ، دار المرتضى ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .
* ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تح : عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ط ١ ، ١٩٩٢ م .
* سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح ، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) تح : عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م .
* السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط ٣، ٢٠٠٤ م .
* شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) تح : محمد أبو الفضل إبراهيم دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ـ مصر ، ط١ ، ١٩٥٩ م .
* صحيح مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٥٦ هـ) دار إحياء التراث ، بيروت ـ لبنان ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ م .
* الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٨م .
* العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨٩ م .
* عيون أخبار الرَّضا ، محمد بن علي بن الحسين ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) تح : حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
* الغيبة ، محمد بن ابن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بـ (ابن أبي زينب النعماني) (ت ٣٦٠ هـ) تح : فارس حسون كريم ، أنوار الهدى ، قم ـ إيران ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .

* الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي المكي (ت ٨٥٥ هـ) تح : سامي الغريري ، دار الحديث ، قم ـ إيران ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
* قرب الإسناد ، الشيخ أبو العباس عبد الله الحميري (ق ٣ هـ) تح ونشر : مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ، قم ـ إيران ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
* الكافي ، ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨ هـ) الانتشارات العلمية الاسلامية، قم ـ إيران ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م .
* كشف الغمة في معرفة الأئمة ، أبى الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣ هـ) دار الأضواء ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٥ م .
* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ) تح : الشيخ بكري حياني ، الشيخ صفوة السفا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
* لسان العرب ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، ابن منظور (ت ٧١١ هـ) الناشر : نشر أدب الحوزة ، قم ـ إيران ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
* المستدرك على الصحيحين ، الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) تح : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢، ٢٠٠٥ م .
* مسند أحمد بن حنبل (٢٠٤ هـ) دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٨٧٨ م .
* المصنف في الأحاديث والآثار ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) تح : سعيد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان .
* معاني الأخبار ، محمد بن علي بن الحسين ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) تح : علي أكبر الغفاري ، إنتشارات إسلامي ، قم ـ إيران ، ط ١ ، ١٣٦١ هـ .
* مكارم الأخلاق ، رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (ت ق ٦) ط ٦ ، ١٩٧٢ م .

المضامين التربوية في فكر الإمام الحسن السبطّ عليه السلام

د. وسن عباس جاسم

كلية التربية / الجامعة المستنصرية

د. صبا حامد حسين

كلية التربية -ابن رشد- / جامعة بغداد

تمهيد

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على المضامين التربوية في فكر الإمام الحسن السبطّ عليه السلام والتي جاءت من أجل تحقيق هدف الإسلام في تنشئة ابنائه على عقيدته ، ومبادئه ، وقيمه، ومثله ، وفي التسامي بفطرهم على الغاية التي رسمها لهم الدين الإسلامي الذي سار على نهجه أهل البيت عليهم السلام.

لقد حث الإمام الحسن عليه السلام على أهمية التربية والتعليم ، وجعل ذلك حقاً على المربين وهم مسؤولون عن رعايتهم ؛ فإن الله تعالى فيما رزقهم من العلم والحكمة قد جعلهم خزنة عليها فإن بذلوه إلى المتعلمين فقد قاموا بواجبهم وأدوا رسالاتهم ، وقد ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله بحق الإمام الحسن عليه السلام إنه الإمام القدوة الذي ينبغي الاقتداء بأقواله ، وأفعاله ؛ لأنّه العارف بأسس وقواعد المنهج الإسلامي بجميع أبعاده ومجالاته والمعصوم الذي لا يميل مع الهوى ولا يتأثّر بالمؤثّرات الضيّقة كالمودّة والشنآن والعصبية ؛ فهو على ضوء ذلك يمثل المرجعية الحقّة التي يُرجع إليها في حال اختلاف المعايير واضطراب الموازين الدينية والتربوية .

وقد أولت التربية نقطة البدء المؤثّرة في جميع مراحل الحياة إيجاباً وسلباً ؛ وفي مقامنا هذا نجد الإمام الحسن السبطّ عليه السلام قد أدّى مسؤوليّته في أسرته ومجتمعه ؛ فقد ربّى هذه الأسرة الكريمة على أساس مفاهيم وقيم القرآن ، وقد أبدى عناية تربوية وتعليمية استثنائية وعظيمة لعظم الشخصّيات المراد تربيتها وتعليمها ، وكان تأثير التربية واضحاً على أفراد هذه الأسرة الكريمة لدوام ارتباطهم برسول الله صلى الله عليه وآله ودوام تلقّيهم لتوجيهاته وإرشاداته وتعاليمه ، وكان اهتمام أهل البيت عليهم السلام في علمهم اهتماماً كبيراً بالجوانب التربوية ، والقيم والمبادئ الخلقية ، إذ جعل من أهدافهم الرئيسة العناية بالجوانب التربوية والخلقية ، وتنميتها بشكل صحيح ، لتصبح جزءاً من شخصية الإنسان العربي وقد يكون هذا من أهم العوامل التي حفظت الامة العربية من التدهور والانحلال الخلقي والتربوي الذي تعاني منه المجتمعات والحضارات المتقدمة المعاصرة ، ومباحث هذا البحث ترجمة صادقة وأمينة لتحقيق هذا الهدف ، محاولين أن نوضح نهجاً تربوياً صادقاً سار على خطاه الإمام الحسن عليه السلام لكي نربي أبناءنا على نهجه القويم

بالارتـواء مـن منابعـه ، وهـي إسـهامه في سـبيل تعزيـز التنميـة الخلقيـة ، وترسـيخ هـذه المضامـين التي تعـد خزيناً علمياً ثـرّاً مـن التطلعـات المعلوماتيـة ؛ لـذا يتنـاول بحثنـا الحـالي في المبحـث الأول : الإمـام الحسـن السـبطّ عليه السلام مولـده ، نشـأته ، شـخصيته وصفاتـه ، هيبتـه وحلمه ، الجوانب العسـكرية والسياسـية في حيـاة الإمـام الحسـن عليه السلام .

أما المبحث الثاني : المضامين التربوية في فكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

المبحث الأول

الإمام الحسن السبطّ عليه السلام

ولادة الإمام الحسن عليه السلام :

ولـد الإمـام الحسـن السبطّ في الخامـس عشر مـن شـهر رمضـان سـنة ثـلاث بعـد الهجـرة ، وهـو قـول أكثـر العلـماء ،وفي أصـول الـكافي : أنـه ولـد في السـنة الثانيـة للهجـرة.

وروى الشـيخ الصـدوق في علـل الشرائـع والأمـالي بأسـانيده عـن زيـد بـن عـلي عـن أبيـه عـلي بـن الحسـين عليهما السلام قـال : " لمـا ولـدت فاطمـة عليها السلام الحسـن قالـت لعـلي عليه السلام سـمّه ".

فقال : ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله .

فجـاءه رسـول الله صلى الله عليه وآله فأخـرج إليـه في خرقة صفراء فقال : " ألم أمنعكـم أن تلفّوه في خرقة صفراء . ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفّه فيها ثم قال لعلي عليه السلام : هل سمّيته؟

فقـال : ((مـا كنـت لأسـبقك باسـمه))، فقـال صلى الله عليه وآله : ((ومـا كنـت لأسـبق باسـمه ربّي عـزّ وجل)) ، فأوحـى الله تبـارك وتعـالى إلى جبرائيـل : ((إنـه قـد ولـد لمحمـد صلى الله عليه وآله ابـن فاهبـط فاقـرأه السـلام وهنـه، وقـل لـه : إن عليـا منـك بمنزلـة هـارون مـن موسـى فسـمه باسـم ابـن هارون)):فهبـط جبرائيـل فهنأه مـن الله عـز وجـل ثـم قـال: ((إن الله تبـارك وتعـالى يأمـرك أن تسـميه باسـم ابـن هـارون .

قال: ((وما كان اسمه ؟)). قال: شبّر" قال صلى الله عليه وآله": ((لساني عربي))، قال: " سمه حسن " .

نشأته :

نشـأ الإمـام الحسـن عليه السلام في أجـواء خاصـة تملؤهـا المحبـة والحنـان والرعايـة الفائقـة مـن لـدن جـده المصطفـى صلى الله عليه وآله.

ناهيك عن الاهتمام الكبير الذي بذله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء عليهما السلام في تنشئته ورعايته.

وهذا كله من سابق لطف الله وحكمته في اصطفاء أوليائه وحججه على خلقه. إلا أن الناظر إلى هذه الأجواء الخاصة يرى بوضوح العلاقة التي ربطت رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمام الحسن عليه السلام ابتداءً من ولادته فقد تلقاه صلى الله عليه وآله بيديه المباركتين وسماه وأذّن بأذنه اليمنى وأقام بأذنه اليسرى وحلق رأسه وتصدق بوزنه.

وعق عنه بكبشين أملحين فما أن ترعرع الإمام الحسن وأخذت قدماه تدبان على الأرض حتى وجد من صدر رسول الله صلى الله عليه وآله الحب الذي لم يلقه مولود من قبل فكان يلاعبه ويعلن عن حبه ومنزلته للأمة.

فعن ابن عباس قال: إن النبي صلى الله عليه وآله كان حاملاً الحسن بن علي على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ونعم الراكب هو.

وأخرج ابن سعد في طبقاته قائلاً: جاء الحسن يشتد فوقع في حجره صلى الله عليه وآله ثم أدخل يده في لحيته، ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يكفح (يفتح) فمه فيدخل فاه في فيه، ثم يقول: "اللهم إني أحبه فأحبه، وأحبب من يحبه".

شخصيته وصفاته:

خير ما يمكن أن نتعرف عن شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ويرى صفته هو أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه.

فمن حيث الشخصية فقد قال صلى الله عليه وآله له: أشبهت خَلقي وخُلقي.

ومن كان خلقه خلق المصطفى صلى الله عليه وآله؛ فكيف بالقلوب لا تحن إليه والنفوس لا تأنس بجواره حتى من خالفه وانصرف عنه إلى غيره.

فقد عرف معاصروه ذلك فوصفوه بما استطاعوا ولكن لم يعرفوا حقه.

قال عنه واصل بن عطاء (مؤسس مذهب الاعتزال وهو مذهب كلامي في أصول الدين): كان الحسن بن علي عليهما السلام عليه سيماء الملوك وهيبة الأنبياء.

وقال محمد بن إسحاق : ما تكلم عندي أحد كان أحب إليّ ، إن تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي عليهما السلام .

وقال الحافظ الذهبي : كان عليه السلام حليما ، ورعا ، فاضلاً ، وكان عليه السلام سيداً ، كريماً ، ذا سكينة ووقار وحشمة ، جوادا ممدوحاً .(حسين ، ب.د،ص ٣٣٣)

وقيل له عليه السلام : (فيك عظمة) ، قال: (في عزّة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).

وكان الإمام الحسن عليه السلام عظيم الأخلاق حسن السجايا يذكر الناس بأخلاق الرسول صلى الله عليه وآله فكان يعامل أشد أعدائه بالرفق واللين ويقابل إساءتهم بالإحسان مما يؤدي إلى هداية الكثير منهم ويقال :

إن شاميا رآه راكبا فجعل يلعنه ، والحسن عليه السلام لا يرد ، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام عليه فسلم عليه وضحك وقال ايها الشيخ اظنك غريبا ولعلك شبهت فلو استعتبتنا اعتبناك ، ولو سألتنا اعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك وإن كنت جائعا اشبعناك وان كنت عريانا كسوناك وان كنت محتاجا اغنيناك وان كنت طريدا آويناك وان كانت لك حاجة قضيناها لك.(المجلسي ، ب.د، ص ٣٣٣).

فلو حركت رحلك الينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك لأن لنا موضعا رحبا وجاها عريضا ومالا كبيرا .فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال اشهد انك خليفة الله في ارضه ، الله اعلم حيث يجعل رسالاته وكنت أنت وأبوك ابغض خلق الله الي والآن أنت احب خلق الله إليّ وحول رحله إليه وكان ضيفه إلى ان ارتحل وصار معتقدا لمحبتهم .

هيبته وحلمه :

قالت فاطمة عليها السلام : (يا رسول الله هذان ابناك فأنحلهما) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : (أما الحسن فنحلته هيبتي وسؤددي ، وأما الحسين فنحلته سخائي وشجاعتي)، وهذه الهيبة كانت تدخل على نفس القريب والبعيد ممن عرفوا الإمام الحسن عليه السلام.

قال عبد الله بن عروة بن الزبير: رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي عليهما السلام في غداة من الشتاء باردة ، قال : فو الله ما قام حتى تفسخ جبينه عرقاً فغاضني ذلك فقمت إليه فقلت

يا عم ، قال ما تشاء ؟

قال ، فقلت : رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي فأقمت حتى تفسخ جبينك عرقاً !؟. قال : يا بن أخي إنه ابن فاطمة ﷺ لا والله ما قامت النساء عن مثله.

وقال رجل من أهل الشام : دخلت المدينة فرأيت رجلاً راكباً على بغلة ، لم أر أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ، ولا دابة منه فمال قلبي إليه ، فسألت عنه ، فقيل هذا الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، فامتلأ قلبي له بغضاً وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله ، فصرت إليه وقلت : فعل بك وبأبيك أسبها !!، فلما انقضى كلامي قال لي : أحسبك غريبا؟ .

قلت : أجل ، قال :مر بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آسيناك ، أو إلى حاجة عاوناك .

قال: فانصرفت عنه ما على الأرض منه أحب إليّ منه وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي.

الجوانب العسكرية والسياسية في حياة الإمام الحسن ﷺ:

لقد انماز الإمام الحسن ﷺ بشجاعته وجرأته وحسن خطابه السياسي وقيادته العسكرية وعلمه وخلقه العالي ، والحديث عن الإمام الحسن ﷺ هو حديث عن النور الرابع من الأنوار الأربعة عشر، نور كل من محمد وفاطمة وعلي ثم الحسن ومن ثم بقية الأنوار العشرة وهي كل من نور الحسين والأنوار التسعة من سلسلة ذريته الطاهرة نور علي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن وآخرهم المهدي المنتظر محمد بن الحسن ﷺ عجل الله تعالى فرجه الشريف . (اعلام الهداية ، ٢٠٠٩،ص٢٩٧م).

إذن فلا بد لنا من الحديث عن هذا النور المقدس وإيراد النصوص على إمامته ، كما لابد أن نتوقف على محطة مهمة من محطات حياته الشريفة التي تخص جانباً مهما منها بخصوص حياته العسكرية وشجاعته إذ حاول بعض إما متعمداً أو متوهماً أو جاهلاً أن ينتقص من حقيقة تلك الميزات التي كان يتمتع بها الإمام الحسن المجتبى.. فهؤلاء لم يطلعوا على حقيقة قيادته العسكرية الميدانية ، ولم يتفرسوا في تلك الحقائق جيداً، ولو علموا الحقيقة لما تجرؤا على مثل

هـذه الإدعـاءات.

وفي هـذا الموضـوع سنبّين بعـض مواقفـه العسـكرية والسياسـية وسـنتحدث عـن بعـض جوانـب شـجاعته ، ومـا يتميـز بـه مـن العلـم والفضـل ومقدرتـه عـلى فهـم مواقـف الأنبيـاء والأوصيـاء والخطـوط الإلهيـة التـي تدفعـه إلى اتخـاذ مواقـف تبـدو للبعـض ضعيفـة ومَثَـلُ رؤيتهـم تلـك كمَثَـل الـذي ينظـر إلى السـراب فيحسـبه مـاءاً ومـا ذلـك إلاّ لضعـف جوانـب الإحسـاس لـدى الإنسـان ، أو كالـذي لا يـرى الشـمس بعـد مغيبهـا ظنـاً منـه أنهـا نامـت وهـي لا تـزال تـشرق في أماكِـنَ أخـرى .

لقـد خـاض الإمـام الحسـن عليه السلام عـدة معـارك شـارك فيهـا تحـت لـواء أبيـه الإمـام عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام ، ويعنـي ذلـك أن لـه خـبرة مهمـة في القتـال إذ شـارك في معـارك الجمـل وصفـين والنهـروان ، وان المطلـع عـلى طبيعـة هـذه الحـروب يعلـم كـم هـو مقـدار ضراوتهـا ومـن المعلـوم عنـد أهـل العقـل والمنطـق أن الموقـع العسـكري للمقاتـل يختلـف باختـلاف مؤهـلات كل مـن الجنـدي والقائـد ، فالقائـد لابـد أن يكـون متمتعـاً بصفـات تؤهلـه لهـذه القيـادة ، كأن يكـون متميزاً بالشـجاعة وروح المبـادرة والقابليـة عـلى الإعـداد والتخطيـط والقـدرة عـلى العمـل الجماعـي فكيـف إذا كان اختيـار شـخص الإمـام الحسـن عليه السلام قـد تـم عـلى يـد أبيـه سـيد المتقـين وأكـبر علـماء الأمـة عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام، فلـولا أن الإمـام الحسـن عليه السلام كان يتمتـع بالصفـات التـي تليـق بالقيـادة وتؤهلـه لهـذا العمـل لـه لمـا اختـاره الإمـام عـلي عليه السلام، ولاعـترض الجيـش عـلى ذلـك الاختيـار ، لكـن الـذي ظهـر في الإمـام الحسـن عليه السلام مـن العقـل والقـدرة عـلى الحركـة وروح المبـادرة أثنـاء قيـادة ميمنـة الجيـش وتمكُّنَـه مـن كـسرِ شـوكة العـدو ، ومـن الإجـراءات السياسـية التـي اتخـذه الإمـام عـلي عليه السلام هـي اختيـاره للإمـام الحسـن عليه السلام مـن القيـام بعمـل التبليـغ في عـزل أبي موسـى الأشـعري وذلـك ممـا يؤكـد عـلى لياقـة الإمـام الحسـن عليه السلام، ومقدرتـه وقابليتـه عـلى اتخـاذ مواقـف تعتمـد عـلى الجـرأة والشـجاعة أمـام الرجـال ، وهـو مصـداق مهـم مـن مصاديـق الهيبـة التـي كان يتمتـع بهـا في نفـوس المقاتلـين والـولاة (أبـو جعفـر ، ٢٢٤هـ ، ص١١٣)

المبحث الثاني

المضامين التربوية في فكر الإمام الحسن السبطّ عليه السلام

التربية والتعليم من المسؤوليّات العظيمة التي تساهم في إعداد الإنسان للدخول في الحياة الاجتماعية؛ ليكون عنصراً فعّالاً في إصلاحها وبنائها ، والأسرة هي نقطة البدء التي تتبنّى إنشاء وتنشئة الشخصية بجميع مقوّماتها : الفكرية والعاطفية والسلوكية ، وهي نقطة البدء المؤثّرة في جميع مراحل الحياة إيجاباً وسلباً ؛ وفي مقامنا هذا نجد إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أدّى مسؤوليّته في أسرته ومجتمعه؛ فقد ربّى هذه الأسرة الكريمة على أساس مفاهيم وقيم القرآن ، وقد أبدى عناية تربوية وتعليمية استثنائية وعظيمة لعظم الشخصّيات المراد تربيتها وتعليمها لأنّها عدل للقرآن الكريم ولأنّها القرآن الناطق ، ومنها الإمام الحسن عليه السلام، فقد كان يصطحبه إلى المسجد وإلى المواقع المتعدّدة التي يتواجد فيها صلى الله عليه وآله ، ومن يتتبع الروايات وأخبار المؤرّخين يجد أنّ أسرة علي وفاطمة عليهما السلام أقرب الأسر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من حيث اللقاءات والزيارات ، ولا نبالغ إذا قلنا إنّ لقاءاته مع هذه الأسرة الكريمة تكاد تكون أكثر من لقاءاته مع زوجاته ؛ فالإمام علي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام كانوا يصحبونه إلى المسجد أو يلتقون به في المسجد ، إضافة إلى اللقاءات المستمرّة في دارهم تارة وفي دار رسول الله صلى الله عليه وآله تارة أخرى ؛ ولهذا كانت الصحبة أدوم وأكثر نوعاً وكمّاً ، وكان تأثير التربية واضحاً على أفراد هذه الأسرة الكريمة لدوام ارتباطهم برسول الله صلى الله عليه وآله ودوام تلقّيهم لتوجيهاته وإرشاداته وتعاليمه.

فقد ورد عن أبي الحوراء ، قال : " قلت للحسن بن علي عليه السلام : مثل من كنت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وما عقلت عنه ؟ قال : عقلت عنه أنّي سمعته يقول : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنّ الشرّ ريبة ، والخير طمأنينة ، وعقلت عنه الصلوات الخمس ، وكلمات أقولهنّ عند انقضائهنّ قال : اللهمّ اهدني ... " ، وقال عليه السلام: " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نلبس أجود ما نجد ، وأن نتطيّب بأجود ما نجد ، وأن نضحّي بأسمن ما نجد ، البقرة عن سبعة ، والجزور عن عشرة ، وأن نظهر التكبير ، وعلينا السكينة والوقار " .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتدخّل أحياناً ليعلّم الحسن عليه السلام بعض الأحكام التربوية عن طريق الموقف العملي ، فقد ورد عن ربيعة بن شيبان قال : " قلت للحسن بن علي عليه السلام : ما تعقل عن

رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : صعدت معه غرفة الصدقة ، فأخذت تمرة فلكتها ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : القها فإنّا لا تحلّ لنا الصدقة " .

وفي مجال الثواب والتعويض يوم القيامة ، قال الأصبغ بن نباتة : " دخلت مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى الحسن بن علي نعوده ، فقال له عليّ عليه السلام : كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: أصبحت بحمد الله بارئاً ، قال : كذلك إن شاء الله ، ثمّ قال الحسن عليه السلام : أسندوني، فأسنده علي عليه السلام إلى صدره ، فقال : سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنّ في الجنّة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة ، فلا يرفع لهم ديوان ، ولا ينصب لهم ميزان، يُصبّ عليهم الأجر صبّا " ، وكان الحسن عليه السلام يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمّه فيلقي إليها ما حفظه .(علي ، ١٩٩٨، ص٤٥)

الفضائل التربوية للإمام الحسن عليه السلام وإمامته :

أولاً ـ من القرآن الكريم :

أهل البيت عليهم السلام عنوان مضيء في حياة الإنسانية وحركة التاريخ والمسيرة الإسلامية ، أراد الله تعالى لهم أن يكونوا أعلام الهدى وقدوة المتّقين ومأوى أفئدة المسلمين ، وروّاد الحركة الإصلاحية والتغييرية في المسيرة الإنسانية ؛ ولهذا أبدى القرآن الكريم عناية فائقة بذكر أثرهم وفضائلهم الدينية والتربوية ، وسموّ مكانتهم ، وفيما يلي نستعرّض جملة من آيات القرآن الكريم التي تطرّقت إلى ذلك لكونها شاملة للإمام الحسن عليه السلام كواحد من أهل البيت عليهم السلام.

١ ـ آية التطهير : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾:

تضافرت التفاسير والروايات إلى أنّ المقصود بأهل البيت عليهم السلام هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهم: رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام فقد روي عن أمّ سلمة وبطرق عديدة أنّها قالت : " لمّا نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّا وفاطمة وحسناً وحسيناً فجلّل عليهم كساءً خيبرياً ، فقال : اللهمّ هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. قالت أمّ سلمه : ألست منهم ؟ فقال : أنت إلى خير " .

وهذه الآية الكريمة تدلّ على عصمة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الحسن عليه السلام كما ورد في

تفسيرها عن رسول الله ﷺ حيث قال : " أنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب "، وقال الإمام الحسن عليه السلام في بعض خطبه : " وأنا من أهل البيت الذي كان جبرائيل ينزل إلينا ، ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً " ، وآية التطهير تؤكّد العناية والرعاية الإلهيّة الخاصّة والاستثنائية وذلك بإبعادهم عن الزلل والخطأ والانحراف وهكذا أصبح أهل البيت عليهم السلام الميزان الثابت الذي توزن به الأفكار والعواطف والممارسات ، وتقوّم من خلاله الأشخاص والكيانات ، فهم القدوة الحسنة التي يجب علينا اتباعها والاقتداء بنهجهم التربوي ، والديني الصادق ، لأنهم المرجع العلمي ، والتربوي ، والسياسي ، والاجتماعي للناس جميعاً.

٢ ـ آية المودّة : ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق ابن جبير عن ابن عباس، قال: " لمّا نزلت هذه الآية ... قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت مودّتهم ؟ قال : علي وفاطمة وولدها " ، وفي رواية أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قالوا : " يا رسول الله من هؤلاء الذين نودّهم ؟ قال : علي وفاطمة وأبناؤهما ، وعلّق القرطبي على ذلك قائلاً : " وكفى قبحاً بقول من يقول : إنّ التقرّب إلى الله بطاعته ومودّة نبيّه (ﷺ وأهل بيته) منسوخ ، وقال : قال النبي ﷺ : من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً ، ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه يأس اليوم من رحمة الله ، ومن مات على بغض آل محمد لم يرَ رائحة الجنّة ، ومن مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي " ، وهذا يوجّه العقول والقلوب نحو أهل البيت عليهم السلام ويشدّها لهم ، ويؤكّد على أنّ أجر الرسالة هو محبّتهم الحقيقية ، وهي دعوة للارتباط بهم فكرياً وعاطفياً وسلوكياً ، وهذا يعد من أهم مضامين التربية الصحيحة في الإسلام التي سار على طريقها الإمام الحسن عليه السلام.(أعلام الهداية، ٢٠٠٩،ص٣٤٤)

٣ ـ آية الصلاة : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ :أخرج النسائي وغيره عن أبي العباس ، أنّهم سألوا رسول الله ﷺ: كيف نصلّي

عليك ؟ قال : " قولوا اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صلّيت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم " والصلاة بتلك الكيفية جعلت أهل البيت عليهم السلام مناراً وقدوة للأمّة ، فمنهم يتلقّى المسلمون مفاهيم العقيدة وقيم السلوك وموازين القيم التربوية الصحيحة ، وهذا التلقّي هو مصداقٌ واقعي للصلاة عليهم ؛ لأنّ الصلاة واجبة كما ورد في آراء الكثير من العلماء .

٤ـ سورة الإنسان وآيتا الإطعام : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما : " أنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه ، فقالوا : يا أبا الحسن ، لو نذرت على ولدك ، فنذر عليّ وفاطمة وفضّة جارية لهما إن برئا ممّا بهما : أن يصوموا ثلاثة أيّام ، فشفيا وما معهم شيء ، فاستقرض عليّ من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير ، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم ، فوضعوا بين أيديهم ليفطروا ، فوقف عليهم سائل ، فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد ، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة ، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء، وأصبحوا صياماً ؛ فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ، ووقف عليهم أسير في الثالثة ، ففعلوا مثل ذلك ؛ فلمّا أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع ، قال : ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم ، وقام فانطلق معهم ، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها ، فساءه ذلك ، فنزل جبرائيل وقال : خذها يا محمد هنّأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة .

٥ ـ آية أهل الذكر : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ :

يقول الحارث : " سألت عليّاً عن هذه الآية ، فقال : والله إنّا لنحن أهل الذكر ، نحن أهل الذكر ، نحن أهل العلم ، ونحن معدن التأويل والتنزيل " ، وهذا خير دليل على منزلة الإمام الحسن عليه السلام وأثره في الحفاظ على سيرة ونهج القرآن الكريم بشكل واضح وصحيح.

٦ ـ آية الراسخون في العلم : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ :

قال الإمام علي عليه السلام: " أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى وسيتجلى العمى "، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الأخرى التي لا مجال إلى تفصيلها ...

إن ما تقدم منها يبيّن لنا أثر الإمام الحسن عليه السلام ومقامه السامي في إمامة وقيادة الإنسانية، فهو الطاهر المطهّر المعصوم كما ورد في آية التطهير ، وهو من الذين أمر الله تعالى بحبّهم وطاعتهم وموالاتهم كما في آية المودّة ، ومن المشمولين بالصلاة عليهم وتعظيمهم وتبجيلهم ، وهو من أهل الذكر ، والراسخين في العلم والتربية المبنية على أسس وقواعد تربوية وإسلامية بحته .(الطوسي ، ٣٨٥م، ص ٢٢٤)

وإذا انضمّ هذا إلى ما تقدم عن رسول الله صلى الله عليه وآله بحق الحسن عليه السلام علم أنه الإمام القدوة الذي ينبغي الاقتداء بأقواله وأفعاله لأنّه العارف بأسس وقواعد المنهج الإسلامي بجميع أبعاده ومجالاته ، والمعصوم الذي لا يميل مع الهوى ولا يتأثّر بالمؤثّرات الضيّقة كالمودّة والشنآن والعصبية ، لذلك فإن للتربية أثر أساس وفعال في المجتمع الاسلامي والتي سعى إلى بنائها بشكل صحيح أهل البيت عليهم السلام والتي تعد العمل الذي يساعد الكائن الحي على ان ينمي استعداداته الجسمية والفكرية ومشاعره الاجتماعية ، والجمالية والأخلاقية ، من اجل انجاز مهمته الإنسانية ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وقد أكّد بعض أن (التربية في جوهرها عملية قيمية) سواء عبرت عن نفسها في صورة واضحة أو ضمنية .

لقد اهتم الإمام الحسن عليه السلام اهتماماً كبيراً بالأخلاق والقيم التربوية ، التي تربى عليها تحت ظل الرسول صلى الله عليه وآله ، ولقد سعت التربية الإسلامية إلى ذلك من خلال تربية الذات الإنسانية التي تعد محور نشاط هذه التربية وبها تتشكل ذات الإنسان المسلم عن طريق عملية تنمية وتغذية لمواهب الإنسان بصورة متزنة ، وهي لهذا تتعهد بناء الإيمان والعلم والخلق ، والعمل الصالح بصورة متلاحمة منسجمة .(المجلسي ، ب.د، ص٣٢١)

كما تؤكد التربية الإسلامية أهمية التمسك بالقيم الروحية والخلقية فضلاً عن حرية الفكر والانفتاح على المصادر المختلفة للثقافة وأن تنمي في الفرد قدرات ومهارات واتجاهات معينة مثل العمل بروح الفريق وتغليب المصلحة المشتركة وكذلك أهمية العمل..

وهنا حقيقة من الضروري التوقف عندها ، وهي أن الكثير من الجهود الفكرية في المجالات التربوية وغيرها، لم تتجاوز مرحلة التأرجح والمراوحة بين الكلام عن القيم التربوية الإسلامية وعطائها الحضاري والتاريخي ، مع العجز عن تطوير وسائلها ورؤيتها وأدواتها المعاصرة ، وبين القيم التربوية الغربية ومحاولة دفع الافتتان بها ، سواء كانت هذه الجهود في مجال المقارنة . وبيان التميز في النظرية والإنتاج ، أو كانت هذه الجهود في مجال المقاربة ومحاولة التفتيش عن المواقع المشتركة ، لعل ذلك يعطي القيم التربوية الإسلامية بعض الثقة عند الآخر أو عند تلامذته في الواقع الإسلامي.(أبو جعفر ، ١٤١٣هـ ، ص١٦٥)

ففي تراثنا التربوي نظام شامل للتربية والإعداد للحياة وتوجيه الشباب التوجيه التربوي الصحيح وتقويم سلوكهم الذي يرتكز على اسس تعليمية وتربوية سليمة نابعة من تعاليم الدين الاسلامي الحنيف الذي جاء وافياً بمطالب الحياة كلها : وإنه لحري بكل مرب مخلص ان يستبصر بجوانب الفكر التربوي الاسلامي وابراز ايجابيته وما يزخر به من آداب وفضائل. وذلك من خلال العودة إلى تراثنا وتأصيل قيمنا التربوية لدى أبنائنا من خلال القدوة الحسنة والمتمثلة برجالات الاسلام الفذة الذين يمثلون قيمها بأعلى مستوياتها من خلال ربطهم النظرية بالتطبيق الفعلي ، وعلى رأس تلك الرجالات الحسن عليه السلام ، إذ انه يعد في دنيا الإسلام قمة من قمم الرجال الذين صنعوا العظمة في تاريخ الإسلام والإنسانية هو وأخوه الإمام الحسين عليه السلام وسكبوا النور في دروب البشرية .(عبد القادر ، ٢٠٠٥، ص ١٢٠)

ومن خلال عطائه الفكري و التربوي الفذ والمتمثل بالمئات من الوصايا والحكم والخطب والأشعار والأدعية التي ملأت كتب التاريخ، فضلاً عن الرسائل والخطب ، والوصايا ، والمحاورات الصادرة عن الحسن عليه السلام نجد السلوك والممارسة العملية في حياته الشخصية التي

توضح لنا جانباً من الفكر والتشريع وتجسد الصيغة التطبيقية ، التي من خلالها يمكن ان نبني منهجاً تربوياً اسلامياً يحفظ لنا هويتنا العربية الإسلامية ويرسخ قيمنا التربوية الخاصة بنا. لذا جاءت هذه الدراسة لكي تسلط الضوء على إنسان فذ كبير وعلى وجود هائل من التألق، والإشراق وعلى حياة زاهرة بالفيض والعطاء من اجل التعرف على القيم التي نادت بها وسعت إلى تحقيقها.(محمد ، ١٩٩٥م، ص٤٣)

وكثيرة هي الخطب والكلمات التي تضمنها (المضمون التربوي) وهي تدعو إلى طلب العلم وأخذه من أي مصدر كان ، كما وتحث على العمل حتى لا تبقى التربية مجرد نظريات لا فائدة منها في عالم الواقع، لذلك فإن الإمام ﷺ يدعم القول بالعمل وهذا هو الحق الذي يشهد به العمران والتقدم والتطور الحاصل في المجتمعات من ذلك (العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل) ، إذ لا خير في علم بلا عمل ، ولابد للعارف من أن يكون عاملاً حتى لا يكون علمه حجة عليه. ولقد أدرك الإمام ﷺ هذا الأمر وطبقه على سائر مجريات حياته ، يبدو ذلك في حديثه عن العلماء الذين يتعلمون ، برأيه فليس المهم بنظر الإمام ﷺ كثرة العلوم النظرية ، لأنها لا تغني عن السلوك الحسن والسيرة الخيرة ، ولا كثرة العلماء ، ما دام البعض منهم قد اتخذ العلم وسيلة للهد م، أو أداة للرياء والنفاق ، في حين إن البقية الباقية منهم ، ممن آمنوا بربهم وخشعوا له ، قد اتخذوه للعمل الحر.

فالتربية التي تعتمد الكمية في أساليبها ليست مقبولة ما دامت لا تستند إلى الكيفية والنوعية إلا أن هذه النوعية لا فائدة منها إذا لم تقترن بالفاعلية فالعلم لا يراد لذاته ، بل لأجل التغيير والنمو في شخصية الفرد والمجتمع كما يقول ﷺ : (لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكا إلا أن العمل قد يجر الويل على المجتمع ، إذا لم يستند إلى أساس روحي خلقي وما نراه اليوم دليل على ذلك، فالذرة قد تستعمل للبناء وقد تستعمل للفناء والدمار والذي ينحى بها هذا المنحى أو ذاك ، هو الإنسان ذاته الذي اكتشفها، لذلك كانت التربية الروحية الخلقية لابدّ منها في صياغة كيان الفرد وتفكيره وخلقه. ولقد جمع الإسلام بين التربية الدينية والدنيوية بقوله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

هـذه النظريـة للتربيـة التـي اتسـم بهـا الإمـام عليه السلام هـي أكثـر شـمولاً وعمقـاً مـن تلـك التـي أوحـت بهـا التعريفـات السـالفة الذكـر، فبينـما نـرى أن فلاسـفة التربيـة قـد قـصروا نشـاطها عـلى جانـب معـين مـن حيـاة الفـرد (أفلاطـون ـ ارسـطو ـ جولـز سـيمون) يتوسـع الإمـام عليه السلام في هـذا النشـاط ليشـمل جميـع نواحيـه الفكريـة والاجتماعيـة والأخلاقيـة والدينيـة والدنيويـة ، كـما سـار عـلى نهجهـا الإمـام عـلي عليه السلام (أبـو جعفـر ، ١٩٩١م، ص٣٣٢).

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .
* الخطيب ، محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ، النشر : دار الفكر ، بغداد ، ١٩٨١م.
* ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، (٥٠٨-٥٩٧هـ ، ١١٤-١٢٠١م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر ، مراجعة نعيم زرزور ، بيروت ، ١٩٩٥م.
* الشيخ ، حسين سليمان ، العوالم للإمام الحسن عليه السلام ، بيروت .
* اعلام الهداية ، المجمع العالمي لأهل البيت ، ط٦، بيروت ، ٢٠٠٩م.
* المجلسي ، محمد بن باقر محمد بن علي الاصفهاني (١٠٣٧هـ) ، مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول ، تحقيق السيد هاشم الرسولي ، ١٣٩٦هـ .
* المجلسي ، محمد بن باقر محمد بن علي الاصفهاني (١٠٣٧هـ) ، بحار الانوار ، بيروت.
* الراغب ، الاصفهاني ، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (٣٥٩-٤٠٦هـ) نهج البلاغة ، شرح محمد عبد المفتي ، ايران ، ١٤٠٤هـ .
* الشريف ، الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي الحسني ، نهج البلاغة ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨م.
* الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن باوي ، الخصال ، منشورات جماعة المدرسين ، في الحوزة العلمية ، قم ، ١٤٠٤هـ .
* الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن باوي(٩٩١م) من ليحضره الفقهية ، تحقيق علي اكبر الغفاري ، ايران – قم – ١٤٠٤هـ .
* القاسمي ، علي محمد ، مفهوم التربية الامية وطرائق التدريس ، دار المنار للنشر والتوزيع – الامارات ، ١٩٩٨م .
* الكيلاني ، ابراهيم زيد واخرون ، دراسات في الفكر العربي الاسلامي ، دار الفكر – عمان – ١٩٩٨م.
* الطبري ، أبو جعفر محمد بن يزيد (٢٢٤-٣١٠هـ -٨٣٩) تاريخ الامم والملوك (مؤسسة الاعلامية) بيروت ، ١٩٨٣م
* الطبري ، أبو جعفر محمد بن يزيد (٢٢٤-٣١٠هـ -٨٣٩) ، دلالة الإمام ، قم – ١٤١٣هـ .
* الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ، (٣٨٥-٤٦٠هـ) ، الغيبة ، تحقيق عبد الله الطهراني ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، قم ، ١٤١١هـ .

المضامين التربوية في حكم وأقوال الإمام الحسن عليه السلام دراسة في علم النفس القرآني

م.د. انتظار الحمداني

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

المقدمة

جاء في الذكر الحكيم آيات متعددة تدل على مرجعية أهل البيت عليهم السلام وفضلهم وامامتهم وتقدمهم وقدسيتهم فمنها قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾الأحزاب٣٣، وقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾المائدة٥٥، وقوله تعالى : ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾النساء ، ٨٣،وقوله تعالى : ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾الأنبياء،٧.وغيرها كثير، إن تلك الآيات المباركة تدل بما لايقبل الشك على ارتباط النبي محمد صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة بالوحي الإلهي وقد قال عنه عز من قائل : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾القلم(٤) فاذا كان سيدهم بهذا الوصف الإلهي فلاغرابة أن تكون عترته الطاهرة عليهم السلام على المنهج نفسه يؤكد ذلك ماورد من روايات مباركة تدل على هذه المعاني القرآنية منها مروي عن الامام السجاد عليه السلام : ثم قال : أيها الناس أعطينا ستا وفضلنا بسبع : أعطينا العلم ، والحلم ، والسماحة ، والفصاحة ، والشجاعة ، والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمدا ، ومنا الصديق ، ومنا الطيار ، ومنا أسد الله وأسد رسوله ، ومنا سبطا هذه الأمة ، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي[1]، وقد اثر عن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله قوله : وقال أوصيكم بكتاب الله تعالى وأهل بيتي فإني سألت الله تعالى أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض فأعطاني ذلك وقال لا تعلموهم فهم أعلم منكم وقال إنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة ...[2] ، والمتأمل في اسمائهم والقابهم وكناهم عليهم السلام يجد قيما وتراثا خلقيا وتربويا أثر في قلوب اعدائهم قبل محبيهم فهذا (الامين ، والمرتضى ، وزين العابدين ، والنقي ، والتقي، وكريم أهل البيت ، والصادق ووو الخ) من الكنى التي تضمنت خلق وسجايا رسول الله صلى الله عليه وآله والقرآن الكريم وفي هذه العجالة يسلط البحث الضوء على تلك الدرر النورانية التي تفتخر بأنها تجلت عند أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام فجاء العنوان بـ(المضامين التربوية في حكم واقوال الامام الحسن عليه السلام) فانتظم

البحث في مقدمة وثلاثة مباحث ومسرد للخاتمة والنتائج فتضمن المبحث الأول قبسات من سيرة الإمام الحسن عليه السلام والمبحث الثاني استقراء لتلك الحكم والمواعظ مع تحليلها نفسيا وتربويا والمبحث الثالث تضمن واقعة تأريخية تجسدت فيها أنوارهم الخلقية والقرآنية ثم الخاتمة وبيان نتائج البحث ومسرد للمصادر والمراجع .

المبحث الأول : قبسات من سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

أولا : ولادته

ولد الإمام الحسن عليه السلام بحسب رواية الشيخ المفيد والشيخ الاربلي (قده) في المدينة المنورة يوم الثلاثاء في النصف من شهر رمضان المبارك في السنة الثالثة من الهجرة المباركة [٣]، وفي اليوم السابع لولادته الميمونة جاءت به أمه الزهراء عليها السلام إلى أبيها محمد صلى الله عليه وآله فسماه حسنا وعق عنه كبشا [٤].

ثانيا : شمائله المباركة

يوصف الإمام الحسن عليه السلام بأنه أبيض مشربا حمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، دقيق المسربة، كث اللحية ذو وفرة وكأن عنقه ابريق فضة عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ليس بالطويل ولا القصير ، مليحا من أحسن الناس وجها ، وكان يخضب بالسواد وكان جعد الشعر حسن البدن [٥] أو كما قال الشاعر

ما دب في فطن الأوهام من حسنٍ ... إلّا وكان له الحظ الخصوصيُّ

كــأنَّ جبهته من تحت طــرّته ... بدر يتوّجه الليل البهيميُّ

قد جلّ عن طيب أهل الأرض عنبره ... ومسكه فهو الطيب السماويُّ[٦]

وأثر عنه عليه السلام في معرض حديثه عن قوله تعالى : (في أي صورة ما شاء ركبك) قال : صور الله عز وجل علياً بن أبي طالب في ظهر أبي طالب على صورة محمد ، فكان علي بن أبي طالب أشبه الناس برسول الله ، وكان الحسين بن علي أشبه الناس بفاطمة ، وكنت أنا أشبه الناس بخديجة الكبرى[٧] .ونقل العلامة الطريحي عن عروة البارقي أنه قال : حججت في بعض السنين فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدت رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا وحوله غلامان يافعان

وهو يقبل هذا مرة وهذا أخرى فإذا رآه الناس يفعل ذلك امسكوا عن كلامه حتى يقضي وطره منهما وما يعرفون لأي

سبب حبه إياهما . فجئته وهو يفعل ذلك بهما فقلت : يا رسول الله هذان ابناك . فقال : انهما ابنا ابنتي وابنا أخي وابن عمي وأحب الرجال إلي ومن [هو] سمعي وبصري ومن نفسه نفسي [ونفسي نفسه] ومن احزن لحزنه ويحزن لحزني . فقلت له : لقد عجبت يا رسول الله من فعلك بهما وحبك لهما . فقال لي : أحدثك أيها الرجل انه لما عرج بي إلى السماء ودخلت الجنة انتهيت إلى شجرة في رياض الجنة فعجبت من طيب رائحتها . فقال لي جبرائيل : يا محمد لا تعجب من هذه الشجرة فثمرها أطيب من ريحها فجعل [جبرئيل عليه السلام] يتحفني من ثمرها ويطعمني من فاكهتها وانا لا أمل منها ، ثم مررنا بشجرة أخرى (من شجر الجنة) فقال لي جبرائيل : يا محمد كل من هذه الشجرة فإنها تشبه الشجرة التي اكلت منها الثمر فإنها أطيب طعما وأزكى رائحة . قال : فجعل جبرائيل عليه السلام يتحفني بثمرها ويشمني من رائحتها وانا لا أمل منها فقلت : يا أخي جبرائيل ما رأيت في الأشجار أطيب ولا أحسن من هاتين الشجرتين . فقال [لي] : يا محمد أتدري ما اسم هاتين الشجرتين ؟ فقلت : لا أدري . فقال : إحداهما الحسن (والأخرى) الحسين ، فإذا هبطت يا محمد إلى الأرض من فورك فات زوجتك خديجة وواقعها من وقتك وساعتك فإنه يخرج منك طيب رائحة الثمر الذي اكلته من هاتين الشجرتين فتلد لك فاطمة الزهراء ، ثم زوجها أخاك عليا فتلد له ابنين فسم أحدهما الحسن والآخر الحسين . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ففعلت ما امرني به أخي جبرائيل فكان الامر كما كان فنزل إلي جبرائيل بعد ما ولد الحسن والحسين عليهما السلام فقلت له : يا جبرائيل ما أشوقني إلى تينك الشجرتين . فقال لي : يا محمد إذا اشتقت إلى الاكل من ثمر تينك الشجرتين فشم الحسن والحسين عليهما السلام . قال : فجعل النبي صلى الله عليه وآله كلما اشتاق إلى الشجرتين يشم الحسن والحسين ويلثمهما وهو يقول : صدق أخي جبرائيل ثم يقبل الحسن والحسين ويقول : يا أصحابي إني أود أني أقاسمهما حياتي لحبي لهما فهما ريحانتي من الدنيا . فتعجب الرجل من وصف النبي صلى الله عليه وآله الحسن والحسين فكيف [لو شاهد النبي] من سفك دماءهم

وقتل رجالهم وذبح أطفالهم ونهب أموالهم وسبي حريمهم فالويل لهم من عذاب يوم القيامة وبئس المصير[٨] . و النصوص على إمامة الحسن عليه السلام كثيرة وقد صرح بإمامته رسول الله صلى الله عليه وآله في العديد من المواقف منها يوم الغدير حيث نصب الإمام عليا عليه السلام خليفة من بعده ثم ذكر اسماء أوصيائه واحدا بعد واحد الى الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه[٩] وفي حديث اللوح الذي نزل به جبريل عليه السلام المروي عن جابر الانصاري : (ان جابرا رضوان الله عليه رأى في يدي الزهراء عليها السلام لوحا أخضر فقال لها : بأبي وأمي يابنت رسول الله ماهذا اللوح ؟ فقالت : هذا لوح أهداه الله الى رسول الله صلى الله عليه وآله فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابنّي واسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك) وفيه :...إنّي لم أبعث نبياً فأكملت أيّامه وانقضت مدّته إلاّ جعلت له وصيّاً وإنّي فضّلتك على الأنبياء وفضّلت وصيّك على الأوصياء وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين ، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبيه.. أولئك أوليائي حقا ، بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والاغلال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون[١٠] .وقد نص على إمامته امير المؤمنين عليه السلام وكذلك الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وقد روى الشيخ الجليل أبو القاسم علي بن محمد الخزار القمي (قده) باسناده عن سهل بن سعد الانصاري قال سألت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأئمة عليهم السلام فقالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام : ياعلي أنت الإمام والخليفة بعدي وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم فاذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ..) وفي تتمة كلامه (قده) : (أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول : علي خير من أخلفه فيكم ، وهو الإمام والخليفة بعدي، وسبطي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار ، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين ، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة [١١].

وفي دلالة إمامته روى العلامة الطبرسي (قده) باسناده عن حبابة الوالبية قالت : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس، ثم ساقت الحديث إلى أن قالت : فلم أزل أقفو اثره حتى قعد في رحبة المسجد فقلت له : يا أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة رحمك الله ؟ قالت : فقال : (إئتيني بتلك الحصاة) وأشار بيده إلى حصاة ، فأتيته بها

فطبع لي فيها بخاتمه ثم قال لي : (يا حبابة ، إذا ادعى مدع الإمامة فقدر أن يطبع كما رأيت فاعلمي أنه إمام مفترض الطاعة ، والإمام لا يعزب عنه شيء يريده) . قالت : ثم انصرفت حتى قبض أمير المؤمنين ﷺ فجئت إلى الحسن ، وهو في مجلس أمير المؤمنين والناس يسألونه فقال لي : (يا حبابة الوالبية) . فقلت : نعم يا مولاي . قال : (هاتي ما معك) . قالت : فأعطيته الحصاة ، فطبع لي فيها ، كما طبع أمير المؤمنين ﷺ . قالت : ثم أتيت الحسين ﷺ وهو في مسجد الرسول فقرب ورحب ، ثم قال لي : (أتريدين دلالة الإمامة ؟) . فقلت : نعم يا سيدي . قال : (هاتي ما معك) فناولته الحصاة فطبع لي فيها . قالت : ثم أتيت علياً بن الحسين ﷺ وقد بلغ بي الكبر إلى أن أعييت ، وأنا أعد يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة ، فرأيته راكعا وساجدا مشغولا بالعبادة ، فيئست من الدلالة ، فأومى إلي بالسبابة فعاد إلي شبابي قالت : فقلت : يا سيدي كم مضى من الدنيا وكم بقي ؟ فقال : (أما ما مضى فنعم ، وأما ما بقي فلا) . قالت : ثم قال لي : (هات ما معك) فأعطيته الحصاة فطبع فيها ، ثم أتيت أبا جعفر ﷺ فطبع لي فيها ، ثم أتيت أبا عبد الله ﷺ فطبع لي فيها ، ثم أتيت أبا الحسن موسى بن جعفر ﷺ فطبع لي فيها ، ثم أتيت الرضا ﷺ فطبع لي فيها. وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر على ما ذكره عبد الله بن هشام [١٢] .

الإمام الحسن في القرآن الكريم

الإمام السبط الاكبر الحسن المجتبى ﷺ هو من أهل البيت الذين أوصى الرسول الأعظم ﷺ باحترامهم ومودتهم ومحبتهم لأن الله عز وجل أمر بهذه المحبة والمودة اذ اتزل في كتابه الكريم مجموعة من الآيات البينات الواضحات فيهم وشملت بذلك السبط الاكبر ﷺ وقد أولى المفسرون المسلمون عناية بهذه الآيات وصرحوا وأكدوا على أنها نزلت في شأنهم ﷺ قال الفقيه الشافعي أحمد بن حجر الهيثمي : الفصل الأول في الآيات الواردة فيهم : الآية الأولى قال الله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ الأحزاب ٣٣، أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير عنكم وما بعده...[١٣]،والآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ الاحزاب

٥٦، صح عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد إلى آخره وفي رواية الحاكم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد إلى آخره[١٤]، والآية الثالثة ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ الصافات، ١٣٠، فقد نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بذلك سلام على آل محمد وكذا قاله الكلبي (...) [١٥]

الإمام الحسن في أحاديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله

لانجانب الصواب عندما نقول ان حالة التشرذم والتشظي التي تعيشها الأمة الإسلامية سببها انها ابتعدت عن حبل الامان ولم تتمسك به على الرغم من حث القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة على التمسك به فالإمام الحسن عليه السلام هو حبل الله المتين الذي انقطع عنه المسلمون واصبحوا في تيه وتخبط عشوائي يقودهم الفسقة والفجرة همهم الحكم والسلطة وهذه بعض الروايات التي وردت من خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله بحق سبطه الأكبر عليه السلام:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس[١٦]، دلالة الحديث واضحة في وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام وشبههم بالنجوم لأنها أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل البيت عليهم السلام أمان لمن يتمسك بهم من الاختلاف والضلال وواقع الحال يشهد بصحة تلك الرواية وامثالها .الحديث الآخر: عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم [١٧]، الحديث الآخر : عن ابن

عباس قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالسا ذات يوم [١٨] وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال : اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس علي ، فاحبب من يحبهم وابغض من يبغضهم ووال من والاهم وعاد من عاداهم وأعن من أعانهم ، واجعلهم مطهرين من كل رجس معصومين من كل ذنب وأيدهم بروح القدس منك [١٩].

المبحث الثاني : المعاني التربوية في روايات الإمام الحسن ﷺ

١ – فضيلة العقل

قال ﷺ : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك سعادة الدارين ومن حرم العقل حرمهما جميعا [٢٠].

يركز الإمام الحسن ﷺ على اهمية العقل في بناء شخصية الانسان ويعده المحور في البنية النفسية له ولاغرابة في ذلك اذ ان القرآن الكريم منح العقل كرامة عليا في تبؤء الانسان المقامات المخلصة والحصول على السعادة في الدارين اذ به يستطيع الانسان ان يسلك الطريق الصحيح والمنجي من الهلاك قال تعالى :﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ الرعد ، ٤،وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم أكثر من ٢٢ مرة وفي ذلك اشارة على أن التركيبة النفسية المستقرة يكون العقل من أهم الاركان فيها .

٢ – فضيلة العلم

وقال ﷺ لبنيه : تعلموا العلم فإنكم صغار القوم وكبارهم غدا ، ومن لم يحفظ منكم فليكتب .وقال ﷺ : علم الناس ، وتعلم علم غيرك ، فتكون قد أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم [٢١] .

لقد اهتم ائمتنا ﷺ بطلب العلم والمعرفة وعدوه من كمالات النفس البشرية لاسيما الإمام الحسن ﷺ اذ نلاحظ من كلامه ﷺ الفضائل الكبرى التي من الممكن الحصول عليها مبواسطة العلم الموصلة لمرتبة الاتقان وهذه من النوازع النفسية التي تكمن في شخصية الانسان ويحاول جاهدا الوصول اليها والإمام ﷺ يعد العلم سبيلا مهما لادراك هذه المسؤولية وقد اشار القرآن الكريم الى فضيلة العلم والعلماء في كثير من الآيات ولايخفى ان طلب العلم والمعرفة يعد تكاملا نفسيا ومعنويا موصلا الى درجة العرفاء قال تعالى :﴿ **وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾البقرة١٢٩ ،وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾الجمعة٢، ويلحظ أن بعض آيات العلم والتعليم قد

اقترنت بمفردة التزكية القائم على قاعدة(التخلي والتحلي) والمقصود بها التخلية من سوء الخلق والتحلية بمحاسن الاخلاق ، وهذا هدف معنوي يركز عليه القرآن الكريم والسنة المعصومية .

٣- قال ﷺ : - وقد سئل عن الصمت - هو ستر العي ، وزين العرض ، وفاعله في راحة، وجليسه في أمن . وقال ﷺ : هلاك الناس في ثلاث : الكبر ، والحرص والحسد ، فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس ، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل ، قال ﷺ : لا تأت رجلا إلا أن ترجو نواله ،أو تخاف يده ، أو تستفيد من علمه ، أو ترجو بركة دعائه ، أو تصل رحما بينك وبينه ، وقال ﷺ : ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم

الناس في عيني وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه كان خارجا ، من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يحل ، ولا يكنز إذا وجد ، وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يمد يدا إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرم ، كان أكثر دهره صامتا ، فإذا قال به القائلين ، كان ضعيفا مستضعفا فإذا جاء

الجد فهو الليث عاديا ، كان إذا جاء مع العلماء على أن يسمع أحرص منه على أن يقول : كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت كان لا يقول ما يفعل ، ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عرض له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحق ، نظر أقربهما من هواه فخالفه ، كان لا يلوم أحدا على ما قد يقع العذر في مثله ، كان لا يقول حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا[٢٢] .

المتتبع لكلام المعصومين ﷺ يجد أنهم مدحوا فضيلة الصمت لما فيها من تعزيز نفسي قادر على أن يرتقي بالانسان الى مراتب كمالية عالية من شأنها أن تخلصه من مهالك ومساوىء فضلا عن الهيبة والوقار وهي من الصفات النفسية المهمة ونجد في كتاب الله الكريم آيات مهمة قد تصل الى عبادة معينة لبعض الاقوام هو الصوم عن الكلام هذه العبادة كان لها مردود نفسي وايماني تجلى في صور متعددة قال تعالى : ﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً** ﴾ مريم٢٦، فالاية المباركة تحمل دلالات نفسية غايتها الطمأنينة والسكون والاستقرار من خلال الكف عن الكلام والصمت تصل الى مرتبة النجاة وهذا ماحصل فعلا للسيدة مريم ﷺ.

٤- مودة آل محمد

قال له رجل : يا ابن رسول الله إني من شيعتكم ! ! ! فقال ﷺ : يا عبد الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعا فقد صدقت ، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها ، لا تقل أنا من شيعتكم ، ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعداءكم وأنت في خير وإلى خير[٢٣] . يفرق الإمام الحسن ﷺ بين الشيعي والموالي بحكم قاعدة ايمانية قرآنية هي قاعدة الاطاعة قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ النساء٥٩، فالآية المباركة بصدد بيان كمال قرآني هو الايمان فمن خلال تلك الطاعة لله ولرسوله وأولي الامر وهم الأئمة ﷺ ستنجو نفس الانسان من أدران الشرك والعصيان ونكون في طاعة الرحمن فنصل الى مرتبة الشيعي بحسب أوصاف الإمام الحسن ﷺ والا فنحن من الموالين ، وتلك ايضا منزلة جيدة لكن ليست كالأولى فشتان بين المنزلتين .

٥- فضيلة قضاء الحوائج

وقال ﷺ : لقضاء حاجة أخ لي في الله ، أحب إلى من اعتكاف شهر .وقال ﷺ : صاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به . وقال ﷺ : والله لا يحبنا عبد أبدا ولو كان أسيرا في الديلم إلا نفعه حبنا ، وإن حبنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر . وقال ﷺ : إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير مذهبه ، وأسمع الأسماع ما وعى التذكير وانتفع به ، أسلم القلوب ما طهر من الشبهات . وقال ﷺ : إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر[٢٤] . ينبه الإمام الحسن ﷺ إلى مسألة مهمة في التكافل الاجتماعي والتعاون هي مسألة السعي في قضاء حوائج الناس والنابعة من شعور نفسي بأن الإنسان هو جزء لايتجزأ من المجتمع وان الإنسان يأنس بأخيه الإنسان قد حثت الشريعة السمحاء على هذا الأمر ، أما أصل استحباب السعي في قضاء حوائج الناس ، فيدل على رجحانه الأدلة الأربعة : فمن الكتاب قوله تعالى :﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾

سورة آل عمران : ١٣٣ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ سورة آل عمران : ١١٤ ، وكذا قوله تعالى : ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ** ﴾ سورة المائدة : ٤٨ ،ومن السنة نصوص متواترة بين الفريقين ، منها : قوله : " الله في عون المؤمن ما دام المؤمن في عون أخيه " (٦)

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله : " الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " (٢) . وقال أبو الحسن موسى عليه السلام " إنّ للهَّ عبادا في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ، ومن أدخل على مؤمن سرورا فرّح الله قلبه يوم القيامة " (٣) ، إلى غير ذلك من الأخبار . ومن الإجماع إجماع المسلمين بل العقلاء . من العقل حكمه القطعيّ بحسنه ورجحانه .

٦- أسئلة متوجهة من الإمام علي عليه السلام إلى الإمام الحسن عليه السلام فأجابها بأوجز بيان وأبلغ أسلوب تتضمن رؤوس الأخلاق الفردية والاجتماعية الإمام أمير المؤمنين : يا بني ما السداد؟ الإمام الحسن : يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف ؟ ما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة . ما المروءة ؟ العفاف وإصلاح المرء ماله . ما الدنيئة ؟ النظر في اليسير ومنع الحقير . ما المنعة ؟ شدة البأس ومقارعة أشد الناس ما الذل ؟ الفزع عند المصدوقية ما الجرأة؟ موافقة الأقران . ما الكلفة ؟ كلامك فيما لا يعنيك . ما المجد ؟ أن تعطي في الغرم وأن تعفو عن الجرم . ما العقل ؟ حفظ القلب كل ما استرعيته . ما الخرق ؟ معاداتك إمامك، ورفعك عليه كلامك ، ما الثناء ؟ إتيان الجميل وترك القبيح .

ما الحزم ؟ طول الأناة ، والرفق بالولاة ، والاحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم . ما الشرف ؟ موافقة الإخوان[٢٥] .

يتبين لنا من خلال هذه الدرر المعصومية وما اثر عن الإمام الحسن عليه السلام من حكم ومواعظ واقوال ان النسق المعرفي المتعلق بترويض وتربية النفس البشرية واحد اذ هما ينطلقان من مصدر واحد وهو الوحي الالهي فتجد أن مقاصد الإمام المعصوم عليه السلام في توجيه النفس وارشادها والرقي بها نحو الكمالات الرحمانية هي دائما تتفق مع مرامي واهداف القرآن المجيد مما يؤكد لنا ما اثر عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله : قوله : " إني تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من

الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض "[٢٦] ولقد وردت مفردة النفس في القرآن الكريم في موارد متعددة اشارة إلى مراتبها وكمالاتها وإن الإنسان السوي لابد وقبل كل شيء ان يبدأ بنفسه لكي يغير ماحوله تغييرا ايجابيا وهو نفس المنطلق المعصومي فتجد أئمتنا ﷺ لاسيما الإمام الحسن فيما تقدم من روايات فأنه ﷺ يؤكد على مضامين تربوية قرآنية الغاية منها بناء مجتمع إنساني قرآني على وفق قاعدة أن الفرد نواة ذلك المجتمع فلابد من البدء بتهذيب الفرد أولا وكثيرا ما كانوا يؤكدون على شيعتهم بالتحلي بمحاسن الأخلاق " كونوا زينا لنا ولا تكونوا شينا علينا "[٢٧] وفي الختام نأخذ بعض التطبيقات التي تظهر سمو أخلاق أئمتنا ﷺ وهي كثيرة متمثلة بشخصية الإمام الحسن ﷺ.

المبحث الثالث : التطبيقات

روى ابن شهر آشوب : عن كتاب " الفنون " عن أحمد بن المؤدّب " ونزهة الأبصار " ، عن ابن مهديّ أنّه مرّ الحسن بن عليّ ﷺ على فقراء وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها فقالوا له : هلمّ يا بن بنت رسول الله إلى الغداء ، قال : فنزل وقال : إنّ الله لا يحبّ المستكبرين ، وجعل يأكل معهم حتّى اكتفوا والزّاد على حاله ببركته ثمّ دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم[٢٨] .

و قال الخوارزميّ : ..... حدّثنا قطريّ الخشّاب ، عن مدرك بن راشد ، قال : كنّا في حيطان لابن عبّاس فجاء الحسن والحسين ﷺ فطافا بالبستان فقال الحسن : أعندك غداء يا مدرك ؟ فقلت له : طعام الغلمان ، فجئته بخبز وملح جريش وطاقات بقل ، فأكل ثمّ جيء بطعامه وكان كثير الطّعام طيّبة فقال : يا مدرك إجمع غلمان البستان فجمعتهم فأكلوا ولم يأكل فقلت له في ذلك فقال : ذاك كان عندي أشهى من هذا ثمّ توضّأ ثمّ جيء له بدابّته فأمسك ابن عبّاس له بالرّكاب وسوّى عليه ثمّ مضى فقلت لابن عبّاس : أنت أسنّ منهما أفتمسك لهما ؟ قال يا لكع أما تدري من هذان ؟ هذان ابنا رسول الله ، أو ليس ممّا أنعم الله عليَّ أن أمسك لهما وأسوي عليهما[٢٩].

الرواية هذه فيها دروس وعبر اخلاقية وتربوية قد طبقها الإمام الحسن ﷺ وهو خير من طبقها فيما يتعلق بالتواضع ومشاركة الفقراء والبسطاء وإكرامهم فإن في ذلك تربية لمن في نفسه ان يغتر بما وهبه الله من قوة أو جاه أو منزلة أو مال فترى الإمام الحسن ﷺ في مشهد مليء بالرحمة والتواضع والبساطة والكرم وعدم التكبر يعطينا دروسا عظيمة في تربية النفس وترويضها واشعارها بضرورة الخضوع لما أمر الله به في كتابه الكريم .

الخاتمة وتحديد النتائج

يتبين من هذا البحث جملة من الأمور

١- هناك توافق بين التوجيه المعصومي للأئمة ﷺ وبين مانطق به التنزيل ليشكل مرجعة واحدة قد تم التأكيد عليها من الجهتين .

٢- جميع مانطق به المعصوم ﷺ يمكن ان يستفاد منه في مجالات شتى لاسيما مجال التربية والتعليم .

٣- لابد لايمان الفرد من بيئة تربوية ونفسية تؤهله لإقامة العبادات والمعاملات فكانت أحاديث الائمة ﷺ ومواعظهم ، ولاسيما الإمام الحسن ﷺ لذا تجد احاديثهم وحكمهم عبارة عن نسائم روحانية تخاطب النفوس والعقول لتؤثر فيها .

٤- انطلقت هذه المواعظ والحكم من قوله تعالى :﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ الرعد ،١١.

٥- لقد اهتم الأئمة ﷺ ببناء شخصية المؤمن النفسية لاسيما الإمام الحسن ﷺ الذي كانت له تجارب حية مع من كانوا يدعون بأنهم أصحابه وجنده وناصروه .

٦- لقد انعكست هذه الجهود الحسنية المباركة باعداد شيعة مخلصين ومقاتلين اشداء كان لهم الأثر الكبير في ملحمة كربلاء .

٧- المتأمل لأقوال ومواعظ الإمام الحسن ﷺ يجد أنها كانت تؤسس لمنظومة تربوية عملاقة في بيئة أخذت تنحدر في الجانب التربوي والمعنوي لذا كانت الهدنة .

٨- كل حركات وسكنات الإمام الحسن ﷺ كانت ذات منهج قرآني فهو القرآن الناطق .

٩- مراعاة الجانب النفسي والتربوي من الإمام الحسن ﷺ كانت من الاولويات سواء على المستوى السلمي أم الحربي .

١٠- الإمام الحسن ﷺ كان ضحية لاصحاب النفس الأمارة بالسوء ولم يكن لهم حظ في تزكية انفسهم وتطهيرها والأيمان بإمام زمانهم فهم مرضى النفوس والقلوب .

الهوامش

١- بحار الانوار ، المجلسي ٤٥/ ١٣٨.
٢-الوافي ،الفيض الكاشاني ،٢/ ٢٧٠.
٣-الارشاد، المفيد ٢/ ٥،كشف الغمة ، الاربلي ، ٢/ ١٣٧.
٤-مناقب آل ابي طالب ﷺ، ابن شهر آشوب ٤/ ٥، العدد القوية ، علي بن يوسف الحلي ، ٢٩، تاج المواليد ، الطبرسي، ٢٥.
٥-بحار الانوار ، المجلسي ، ٤٣/ ٢٥٥و٣٠٣، الذرية الطاهرة ، الدولابي ، ٨٤.
٦-صلح الامام الحسن ، راضي آل ياسين ، ٢٦- ٢٧ .
٧-مناقب ال ابي طالب ﷺابن شهر اشوب ، ٤/ ٥، تفسير نور الثقلين ، العروسي الحويزي، ٥/ ٥٢٢.
٨- منتخب الطريحي : ٣٥٩ - ٣٦٠ . وأخرجه في البحار : ٤٣ / ٣١٤ والعوالم : ١٦ / ١١ ح ١ عن بعض مؤلفات الأصحاب . وأورده المؤلف في الحلية : ٣ / ١٠١ ح ١ . ويأتي أيضا في المعجزة : ٢ من معاجز الإمام الحسين ﷺ .
٩-روضة الواعضين الفتال النيسايوري ،ص٩٩، الاحتجاج الطبرسي، ٨٣.
١٠-الكافي ، الكليني ، ١/ ٥٢٧- ٥٢٨ ، باب فيما جاء في الاثني عشر والنص عليهم ، كتاب الغيبة ،ص ٦٩- ٧٢، باب ٤ح٥، الاختصاص ، المفيد ، ص٢١٠-٢١٢.
١١-كفاية الاثر ، الخزار القمي ، ص١٩٦، باب ماجاء عن فاطمة الزهراء ﷺ من النصوص على الائمة الاثني عشر ﷺ.
١٢-اعلام الورى باعلام الهدى ١/ ٤٠٨- ٤٠٩، فصل في النصوص الدالة على امامته .
١٣-وقد روى ذلك الواحدي النيسابوري في اسباب النزول ، ص٢٣٩، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢/ ١٢٩- ١٣٩ح ٦٤٨ – ٧٧٤، والبغوي في تفسيره ٣/ ٥٣٠، والفخر الرازي في تفسيره ٢٥/ ٢٠٩ ، والعز بن عبد السلام في تفسيره ، ص ٥٧٥، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٩٨- ١٩٩، وقد روى السيوطي ذلك عن كل من ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه والخطيب البغدادي والترمذي وصححه وحسن بعض طرقه ، والحاكم وصححه والبيهقي في سننه وابن ابي شيبة واحمد بن حنبل ومسلم وغيرهم عن جملة من الصحابة منهم : أم سلمة ام المؤمنين وابي سعيد الخدري وواثلة وغيرهم ....وفي كتب الخاصة، الامامة والتبصرة ، ص ٤٧ ح ٢٩، الكافي ١/ ٢٨٧باب نص الله عزوجل ورسوله عن الائمة ﷺ واحدا بعد واحد ح١ الخصال ،ص ١١٣، علل الشرائع ١/ ٢٠٥، ح٢، كفاية الاثر ، ص٦٦. وغيرها .
١٤-متفق عليه ،صحيح البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة الاحزاب وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي ﷺ واخرجه بالفاظ متقاربة اصحاب السنن الاربعة (الترمذي ، وابو داود ، والنسائي، وابن ماجة ، واحمد ، والدارمي) (ظ) : الصواعق المحرقة ، ابن حجر الهيثمي ، ٢/ ٤٢١- ٤٨٨.
١٥-مظلوم التاريخ السبط الاكبر ، عبد الرسول الموسوي الكاظمي ، ص٤٥- ٥٧.
١٦-رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٦٢، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

١٧-رواه الترمذي في سننه ٥/ ٦٩٩، وقال : هذا حديث غريب انما نعرفه في هذا الوجه و(صُبيح مولى ام سلمة ليس بمعروف) ويبدو انه ثقة عند اهل السنة فقد ذكره ابن حبان في الثقات ٤/ ٣٨٢.

١٨-١٨

١٩-بشارة المصطفى ،ص ٢٧٤، ح٨٩.

٢٠-الروائع المختارة من خطب الامام الحسن عليه السلام ، مصطفى الموسوي١١٥ .

٢١-٢٠ م.ن .

٢٢-٢١ م.ن

٢٣-٢٢ م.ن ١١٩.

٢٤-م.ن١٢٣.

٢٥-م.ن١٢١.

٢٦- مسند أحمد بن حنبل ٣ : ١٤ ، ١٧ .

٢٧- الوسائل باب : ١ من أبواب أحكام العشرة حديث : ٨ .

٢٨-المناقب ٤ : ٢٣ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٣٥١ ح ٢٨ ، العوالم ١٦ : ١٢٣ ح ١ .

٢٩-مقتل الحسين عليه السلام ١ : ١٢٨ .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
* الاحتجاج للطبرسي ، مؤسسة الأعلمي ومؤسسة أهل البيت عليهم السّلام طبع (١٤٠١ هـ . ق) .
* الاختصاص للمفيد . ، من منشورات جماعة المدرسين ، قم المشرفة ، طبع (١٣٦٢ هـ . ش) .
* الإرشاد للمفيد ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت . الطبعة الثالثة (١٣٩٩ هـ . ق) .
* أسباب النزول للواحدي ، مكتبة الثقافة ، بيروت (طبع ١٤١٠ هـ . ق) .
* إعلام الورى بأعلام الهدى ، لأمين الإسلام الطبرسي ، مكتبة الحيدرية النجف ، (طبع ١٣٩٠ هـ . ق) .
* المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار المعرفة ، بيروت .
* الإمامة والتبصرة ، علي ابن بابويه القمي (ت ٣٢٩ هـ) ، تحقيق : مدرسة الإمام المهدي ﷺ - قم المقدسة الطبعة : الأولى سنة الطبع : ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش الناشر : مدرسة الإمام المهدي ﷺ - قم المقدسة
* الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن ﷺ ، السيد مصطفى الموسوي ، تحقيق : مراجعة وتعليق : السيد مرتضى الرضوي، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م، الناشر : دار المعلم للطباعة، منشورات مكتبة چهل ستون - المسجد الجامع - طهران
* وسائل الشيعة : للحر العاملي ، ط . المكتبة الإسلامية ، إيران ، طهران ، عام ١٣٩٨ هجـ .
* بحار الأنوار : للعلامة المجلسي (١١١٠ هـ) - المطبعة الإسلامية - ١٣٨٧ هـ .
* بشارة المصطفى . عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري (م - ٥٢٥) ، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني ، قم ، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٠ .
* تاج المواليد ،الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) سنة الطبع : ١٤٠٦ الناشر : مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم
* تفسير البغوي لأبي مسعود الفرّاء البغوي ، دار المعرفة (طبع ١٤٠٧ هـق) .
* التفسير الكبير للرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة .
* تفسير نور الثقلين ، الشيخ الحويزي الوفاة : ١١١٢، تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، الطبعة : الرابعة ، سنة الطبع : ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش ، المطبعة : مؤسسة إسماعيليان ، الناشر : مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم
* منتخب الطريحي ،
* الدر المنثور للسيوطي ، دار الفكر بيروت (طبع ١٤٠٣ هـ . ق) .
* الذرية الطاهرة، الدولابي
* روضة الواعظين للفتّال النيسابوري ، نشر الرضي، قم .
* سنن ابن ماجة ، للحافظ أبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني ، دار إحياء التراث العربي (١٣٩٥ هـ . ق) .
* سنن أبي داود ، لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، دار الجنان ، بيروت .
* سنن الترمذي لمحمّد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الفكر بيروت (طبع ١٤٠٠ هـق) .
* سنن الدارمي لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، دار إحياء السنّة النبوية بيروت .
* السنن الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي

البيهقي ، دار المعرفة ، بيروت .
* سنن النسائي ، لأحمد بن الشعيب ، دار الفكر ، بيروت (طبع ١٣٩٨ هـ . ق) .
* شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت (طبع ١٣٩٣ هـ . ق) .
* صحيح البخاري بشرح الكرماني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠١ هـ . ق) .
* صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، طبع مؤسسة عزّ الدين ، بيروت ، الطبعة الأُولى (١٤٠٧ هـ . ق) .
* صلح الحسن عليه السلام، الشيخ راضي آل ياسين الوفاة : ١٣٧٢
* الصواعق المحرقة لأحمد بن حجر الهيتمي الشافعي ، نشر مكتبة الهدى ، أوفست طهران (طبع ١٣١٢ هـ . ق) .
* العدد القويّة لدفع المخاويف اليوميّه . لأبي منصور الحسن بن يوسف الحلّي (ت٧٢٦ هـ . ق) ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، مكتبة آية الله المرعشي – قم ، الطبعة الأولى١٤٠٨ هـ . ق .
* علل الشرائع للصدوق ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف أوفست مكتبة الداوري ، قم (١٣٨٥ هـ . ق) .
* العوالم عبد الله البحراني ،
* الغيبة لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ، مؤسسة المعارف الإسلامية قم (طبع ١٤١١ هـ . ق) .
* الكافي لثقة الإسلام الكليني ، دار الكتب الإسلاميّة طهران (طبع ١٣٨٨ هـ . ق) . ١٦٢ الكامل في التاريخ لابن الأثير ، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأُولى (١٤٠٧ هـ . ق) .
* كشف الغمّة لعلي بن عيسى الإربلي ، مكتبة بني هاشمي تبريز (طبع ١٣٨١ هـق) .
* مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار الفكر ، بيروت .
* مظلوم التاريخ السبط الاكبر ، عبد الرسول الموسوي الكاظمي
* مقتل الحسين للخوارزمي ، من منشورات مكتبة المفيد ، قم .
* مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ، المطبعة العلميّة ، قم .
* الوافي للفيض الكاشاني ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة ، أصفهان ، الطبعة الأُولى (١٤٠٦ هـ . ق) .

الإشراقات التربوية
في فكر الإمام الحسن عليه السلام

م.د. خمائل شاكر الجماليّ

جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

المبحث الأول :

نشأته التربوية

ومن المسؤوليّات العظيمة التي تساهم في إعداد الإنسان للدخول في الحياة الاجتماعية ؛ ليكون عنصراً فعّالاً في إصلاحها وبنائه الأسرة ، والأسرة هي نقطة البدء التي تتبنّى إنشاء وتنشئة الشخصية بجميع مقوّماتها : الفكرية والعاطفية والسلوكية ، وهي نقطة البدء المؤثّرة في جميع مراحل الحياة إيجاباً وسلباً ؛ وفي مقامنا هذا نجد إنّ رسول الله ﷺ قدّ أدّى مسؤوليّته في أسرته ومجتمعه ؛ فقدّ ربّى هذه الأسرة الكريمة على أساس مفاهيم وقيم القرآن ، وقدّ أبدى عناية تربوية وتعليمية استثنائية وعظيمة لعظم الشخصّيات المراد تربيتها وتعليمها لأنّها عدل للقرآن الكريم ولأنّها القرآن الناطق ، ومنها الإمام الحسن عليه السلام . (١)

ولدّ الإمام الحسن عليه السلام في حياة جدّه رسول الله ﷺ وعاش في ظلّ رعايته وتربيته سبع سنوات وستّة أشهر ، وكانت هذه المدة كافية للسموّ والتكامل والارتقاء إلى أعلى قمم الإيمان والتقوى والصلاح . إذ تلقّى رعاية خاصّة من جدّه رسول الله ﷺ ابتدأت من اللحظات الأولى لولادته . إذ أذّن رسول الله ﷺ في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، ولهذه الممارسة نتائج إيجابية على شخصية الإنسان المستقبلية كما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال : " من ولد له مولود فليؤذن في أذنه اليمنى بأذان الصلاة ، وليقم في اليسرى ؛ فإنّها عصمة من الشيطان الرجيم " .

ومن الطبيعي أن تصل هذه العصمة إلى قمّتها حينما يكون رسول الله ﷺ ؛ هو من يفعل ذلك ، وبمن ؟ بسبطه ابن علي وفاطمة صلوات الله عليهم . وهكذا أحيط الحسن عليه السلام منذ نعومة أظفاره بجميع مقوّمات التربية والتعليم والرعاية النفسية والروحية ؛ فأصبح بهذه المقوّمات ومن قبلها الرعاية الإلهيّة معصوماً بإرادته. (٢)

فقدّ كان النبي ﷺ يصطحب الإمام الحسن عليه السلام إلى المسجد وإلى المواقع المتعدّدة التي يتواجد فيها ﷺ، ومن يتتبع الروايات وأخبار المؤرّخين يجدّ أنّ أسرة علي وفاطمة عليهما السلام أقرب الأسر إلى رسول الله ﷺ من حيث اللقاءات والزيارات ، ولا نبالغ إذا قلنا إنّ لقاءاته مع هذه الأسرة الكريمة تكاد تكون أكثر من لقاءاته مع زوجاته ؛ فالإمام علي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام كان يصحبونه إلى

المسجد أو يلتقون به في المسجد، فضلاً عن اللقاءات المستمرّة في دارهم تارة وفي دار رسول الله صلى الله عليه وآله تارة أخرى ؛ ولهذا كانت الصحبة أدوم وأكثر نوعاً وكمّاً ، وكان تأثير التربية واضحاً على أفراد هذه الأسرة الكريمة لدوام ارتباطهم برسول صلى الله عليه وآله ودوام تلقّيهم لتوجيهاته وإرشاداته وتعاليمه. (٣)

فقد تغذى أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، رسالته، وتعاليم الإسلام ، وأخلاقه ، ويسره ، وسماحته ، وظلّ معه وفي رعايته إلى أن اختاره الله إليه ، حتّى أصبح مفطوراً على أخلاقه وآدابه وتعاليمه . وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وسؤدداً وهدياً ، فعن أنس بن مالك، قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن عليّ عليه السلام . (٤)

وفي الرواية : أتت فاطمة بابنيها الحسن والحسين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه، التي توفي فيها فقالت : "يا رسول الله ، هذان ابناك ورّثهما شيئاً" فقال : "أمّا الحسن فإنّ له هديي وسؤددي ، وأمّا الحسين فإنّ له جودي وشجاعتي".

وجاء عن أنس بن مالك ، أنّه قال : دخل الحسن عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله فأردت أن أميطه عنه ، فقال : "ويحك يا أنس! دع ابني وثمرة فؤادي ، فإنّ من آذى هذا آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله". (٥)

وكان الرسول صلى الله عليه وآله يُقبّل الإمام الحسن عليه السلام في فمه ، ويُقبّل الإمام الحسين عليه السلام في نحره ، وكأنّه يريد إثارة قضيّة مهمّة ترتبط بسبب استشهادهما عليهما السلام وإعلاماً منه عن تعاطفه معهما ، وتأييده لهما في مواقفهما وقضاياهما. (٦)

لقدّ كان الإمام الحسن عليه السلام أحبّ الناس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، بل لقدّ بلغ من حبّه له ولأخيه ، أنّه كان يقطع خطبته في المسجد ، وينزل عن المنبر ليحضنهما.

والكلّ يعلم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لم ينطلق في مواقفه من منطلق الأهواء الشخصيّة، والنزعات والعواطف الذاتيّة ، وإنّما كان ينبّه الأمّة إلى عظمة هذين الإمامين ومقامهما الرفيع. (٧)

وقدّ ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه وحقّ أخيه الحسين عليه السلام الكثير من الروايات ، التي تنصّ على فضلهما ومكانتهما وإمامتهما ، ولهما معه صلى الله عليه وآله الكثير من المواقف المشهودة والمعروفة ، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله ، أنّه قال فيهما: "هما ريحانتاي من الدنيا"، وأنّه كان يقول لعليّ عليه السلام: "سلام عليك أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتيّ من الدنيا خيراً". (٨)

وعن أنس بن مالك ، أنّه قال: سأل رسول الله ﷺ ، أيّ أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: "الحسن والحسين"، وكان يقول لفاطمة عليها السلام : "ادعي ابنيّ ، فيشمّهما ويضمّهما إليه" . (٩)

وعنه ﷺ ، أنّه كان يقول فيهما : "اللّهم إنّي أحبّهما فأحبّهما، وأحبّ من يحبّهما".

وعنه ﷺ : "من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني"، وفي بعض الروايات: "الحسن والحسين ابناي، من أحبّهما أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله ، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النّار" .

واجتمع أهل القِبلة على أنّ ﷺ ، قال: "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا".

وأجمعوا أيضاً أنّه ﷺ قال: "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة".

وعنه ﷺ ، أنه قال في حقّ الإمام الحسن عليه السلام : "هو سيّد شباب أهل الجنّة ، وحجّة الله على الأمّة ، أمره أمري ، وقوله قولي ، من تبعه فإنّه منّي ومن عصاه فإنّه ليس منّي..." . (١٠)

ما ذكر عن الإمام الحسن عليه السلام :

١- روي أنّ شاميا رأى الإمام راكباً فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يردّ ، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك فقال : " أيّها الشّيخ أظنّك غريباً ولعلّك شبّهت ، فلو استعتبتنا أعتبناك ، ولو سألتنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا أحملناك ، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك ، وإن كنت طريداً آويناك ، وإن كان لك حاجة قضيناها لك ، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك ، لانّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً ". فلمّا سمع الرّجل كلامه بكى، ثمّ قال: " أشهد أنّك خليفة الله في أرضه ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ". و لمّا مات الحسن عليه السلام ، بكى مروان بن الحكم في جنازته، فقال له الحسين ، أتبكيه وقدّ كنت تُجرّعه ما تُجرّعه ؟ فقال : إنّي كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا ، وأشار بيده إلى الجبل. (١١)

٢- سمع الإمام الحسن عليه السلام رجلاً إلى جنبه في المسجد الحرام يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف إلى بيته وبعث إليه بعشرة آلاف درهم. (١٢)

٣- وأهدت جارية للحسن عليه السلام بطاقة ريحان ، فقال لها : " أنت حرّة لوجه الله " وما وجدت أحسن من

إعتاقها ، فقيل له في ذلك ، فقال: أدّبنا الله فقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[١٣]

٤- وقدّ قسّم كلّ ما يملكه نصفين ، ثلاث مرّات في حياته ، وحتّى نعله ، ثمّ وزّعه في سبيل الله كما يقول عنه الرّاوي مخاطباً إياه ((وقدّ قاسمت ربّك مالك ثلاث مرّات حتّى النّعل والنّعل)) .

٥- ويذكر أنه في أحد الأيام دخل فقير المسجد يسأل الناس فأرشده رجل إلى الرجال الذين كانوا في ذلك الجانب من المسجد ليسألهم ، وحين توجه إليهم فإذا بهم هم الحسن والحسين ، وعبد الله بن جعفر. فأعطاه الحسن ٥٠ درهما، طاه الحسين ٤٩ درهما ، وأعطاه عبد الله بن جعفر ٤٨ درهما .[١٤]

٦- كان الإمام الحسن عليه السلام إذا صلى الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس فيجلس إليه سادة الناس يسألون عن أمور دينهم و يتحدثون بين يديه ، و كان إذا توضأ تغير لونه ، و إذا ذكر الموت أو البعث أو الصراط يبكي حتى يغشى عليه و إذا ذكر الجنة و النار اضطرب اضطراب السليم و سأل الله الجنة و تعوذ من النار . . و قدّ قاسم الله ماله ثلاث مرات و خرج منه كله مرتين و حج خمساً و عشرين حجة و أن النجائب لتقاد بين يديه و هو ماش على قدميه يقول : ((أستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته)) و إذا رآه الناس ترجلوا احتراماً له و إكراماً ، فإذا أعياهم المشي جاء بعضهم إلى الإمام و طلبوا منه أن يركب أو أن يبتعد عن الطريق لأن الناس لا تجرؤ على الركوب و الإمام عليه السلام يسير فينحرف الإمام بمن معه عن جادة الطريق ليركب الناس رواحلهم .[١٥]

٧- روي أن الإمام الحسن عليه السلام مرّ على جماعة من الفقراء قدّ وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز ، كانوا قدّ التقطوها من الطريق وهم يأكلون منها، فدعوه لمشاركتهم في اكلها ، فأجاب دعوتهم قائلاً: (أن الله لا يحب المتكبرين) . ولما فرغ من مشاركتهم ، دعاهم لضيافته ، فأغدق عليهم المال واطعمهم وكساهم.[١٦]

٨- وروي عنه أن الإمام الحسن عليه السلام مر على صبية يتناولون طعاماً فدعوه لمشاركتهم فأجاب الدعوة ، ثم دعاهم إلى داره واجزل لهم العطاء .[١٧]

٩- وورد أن الإمام الحسن عليه السلام كان جالساً في مكان، وعندما عزم على الانصراف دخل المكان فقير،

فحياه الإمام الحسن ﷺ ولاطفه ثم قال له : (إنك جلست على حين قيام منا، فأتأذن لي بالانصراف؟) فأجاب الرجل : نعم يا ابن رسول الله. والحديث يكشف عن حسن المعاشرة فضلاً عن التواضع.

إحسانه لمن أساء إليه:

أ- روي أنه وجد شاة له قد كسرت رجلها فقال لغلام له :

من فعل هذا؟

-انا -

-لِمَ ذاك؟

-لأجلب لك الهم والغم.

فتبسم الحسن ﷺ وقال له: لأسرك. فأعتقه واجزل له العطاء . (١٨)

المبحث الثاني :

إشراقاته التربوية

تفرغ الإمام الحسن ﷺ لنشر الإسلام و خدمة دين الله و تعليم أحكامه و تعاليمه . فعن السيوطي في تدريب الراوي أنه ((كان بين السلف من الصحابة و التابعين اختلاف كثير في كتابة العلم فكرهها كثير منهم و أباحها طائفة و فعلوها منهم علي و ابنه الحسن)) .

وبفضل جهوده المباركة قامت مدرسة علمية بالمدينة : ذكر المؤرخون بعض أعلامها : و منهم ابنه الحسن المثنى ، و المسيب بن نخبة ، سويد بن غفلة ، و العلاء ابن عبد الرحمن ، و الشعبي ،و هبيرة بن بركم ، و الأصبغ بن نباتة ، و جابر بن خلد ، و أبو الجوزا ، و عيسى بن مأمون ، بن زرارة ، و نفالة بن المأموم ، و أبو يحيى عمير بن سعيد النخعي ،و أبو مريم قيس الثقفي ، و طحرب العجلي ، و إسحاق بن يسار ، والد محمد بن إسحاق ، و عبد الرحمن بن عوف ، و عمرو بن قيس . (١٩)

ومن تراثه التربوي الزاخر قوله ﷺ : أيها الناس إنه من نصح لله واخذ قوله دليلاً هدى للتي هي اقوم . ووفقه الله للرشاد وسدده للحسنى فإن جار الله آمن محفوظ وعدوه خائف مخذول ، فاحترسوا من الله بكثر الذكر ، واخشوا الله بالتقوى وتقربوا إلى الله بالطاعة ، فإنه قريب مجيب ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ... **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا**

﴿ لِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ، فاستجيبوا لله ، وآمنوا به ، فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاظم فإن رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا والذين يعرفون ما جلال الله أن يتذللوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له ، ولا ينكروا انفسهم بعد المعرفة ، ولا يضلوا بعد الهدى ، واعلموا علماً يقينا أنكم لن تعرفوا التقى ، حتى تعرفوا صفة الهدى ولن تمسكوا بميثاق الكتاب ، حتى تعرفوا الذي نبذه ، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله والتحريف ورأيتم كيف يهوى من يهوى ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون التمسوا ذلك عند اهله فإنهم خاصة نور يستضاء بهم وائمة يقتدى بهم ، بهم عيش العلم وموت الجهل وهم الذين اخبركم حلمهم عن جهلهم ، وحكم منطقهم عن صحتهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه وقدّ خلت لهم من الله سنة . ومضى فيهم من الله حكم ، إن في ذلك لذكرى للذاكرين ، واعقلوه إذا سمعتموه ، عقل رعاية ، ولا تعقلوه عقل رواية ، فإن رواة الكتاب كثير، ورعاته قليل والله المستعان. (٢٠)

هذا طرف من الجانب العلمي الذي روته سيرة الإمام الحسن عليه السلام كأمثلة عن غزارة الفكر التربوي للإمام الحسن عليه السلام ، أو اكتمال معرفته، كتب إليه الحسن البصري ، يسأله عن القضاء والقدر، فأجابه الإمام الحسن عليه السلام : (أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره ، إن الله يعلمه فقد كفر ، ومن احال المعاصي على الله فقد فجر، إن الله لم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يهمل العباد سدى من المملكة بل هو المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه اقدرهم ، بل امرهم تخييراً ونهاهم تحذيراً فإن ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً وان انتهوا إلى معصية فشاء ان يمن عليهم، بأن يحول بينه وبينها فعل، وان لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبرا ولا ألزموها كرها، بل مَنّ عليهم بأن بصرهم وعرفهم وحذرهم وامرهم ونهاهم لا جبرا لهم على ما امرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبرا لهم على ما نهاهم عنه ولله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ..) . (٢١)

وهكذا وبعبارة وجيزة يوضح الإمام عليه السلام قضية هي من اكثر قضايا الفكر تعقيداً وعمقا حتى إنها لشدة عمقها ضل فيها الكثير من رجال الفكر ، بل نشأت عنها تيارات متطرفة كالأشاعرة والمعتزلة حول التفسير العقائدي السليم الذي يكشف عنه قول الإمام عليه السلام المعّبر عن العمق والاصالة في الفهم

والمعرفة الإسلامية... الأمر الذي يُشعر بارتباط الإمام الحسن ﷺ بمنابع الرسالة الصافية وارتياده من مفاهيمها الأصيلة.

قيل له: ما الزهد؟

قال: الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا .

قيل : فما الحلم؟

قال: كظم الغيظ وملك النفس.

قيل ما السداد؟

قال: دفع المنكر بالمعروف .

قيل فما الشرف؟

قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة .

قيل: فما النجدة؟

قال: الذب عن الجار، والصبر في المواطن، والاقدام عند الكريهة .

قيل: فما المجد؟

قال: ان تعطي في الغرم، وان تعفو عن الجرم .

قيل: فما المروءة؟

قال: حفظ الدين واعزاز النفس ولين الكنف وتعهد الصنيعة وأداء الحقوق والتحبب إلى الناس .

سأل رجل شامي الإمام الحسن ﷺ : كم بين الحق والباطل؟

قال الحسن ﷺ : أربعة أصابع ، فما رأيت بعينك فهو الحق وقدّ تسمع بأذنك باطلاً كثيراً .

قال الشامي : كم بين الإيمان واليقين؟

قال الحسن ﷺ : أربعة أصابع؟ الإيمان ما سمعناه واليقين ما رأيناه .

قال: كم بين السماء والأرض.

قال ﷺ : دعوة المظلوم .

قال الشامي : كم بين المشرق والمغرب .

قال عليه السلام :(مسيرة يوم للشمس) . [٢٢]

وسأل الإمام الحسن عليه السلام عن السياسة يوماً فأجاب الإمام عليه السلام : ((هي أن ترعى حقوق الله وحقوق الأحياء وحقوق الأموات فأما حقوق الله : فأداء ما طلب ، والاجتناب عما نهى ، وأما حقوق الأحياء فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك ولا تتأخر عن خدمة امتك أن تخلص لولي الأمر ما اخلص لأمته، وإن ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما حاد الطريق السوي ، أما حقوق الأموات : فهي أن تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم فان لهم ربا حاسبهم. [٢٣]

هذه نبذة من علومه وقبسات من أنوار إشراقاته التربوية وكمال عقله الذي حباه الله به ، ذكرناها كنماذج من الإرث التربوي الزاخر الذي تركه الإمام الحسن عليه السلام لأجيال الأمة الإسلامية بامتدادها التاريخي . [٢٤]

من الأقوال والحكم التربوية للإمام الحسن عليه السلام :

١-هلاك المرء في ثلاث ، الكبر والحرص والحسد ، فالكبر هلاك الدين ، وبه لعن إبليس ، والحرص عدو النفس ، به أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء، ومنه قتل قابيل هابيل.

٢-الخير الذي لا شر فيه : الشكر مع النعمة ، والصبر على النازلة.

٣-لا تعاجل الذنب بالعقوبة واجعل بينهما للاعتذار طريقاً.

٤-المزاح يأكل الهيبة، وقد أكثر من الهيبة الصامت. [٢٥]

٥- فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العود.

٦- علّم الناس علمك، وتعلّم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك، وعلمت ما لم تعلم

٧- قال لرجل أبلّ من علة: إن الله قد ذكرك فاذكره، وأقالك فاشكره.

٨-جهل النعم ما أقامت ، فإذا ولت عرفت.

٩- ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم.

١٠- اللؤم أن لا تشكر النعمة. [٢٦]

١١- مكارم الأخلاق عشر : صدق اللسان ، وصدق البأس ، وإعطاء السائل ، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع ، وصلة الرحم ، والترحم على الجار ، ومعرفة الحق للصاحب ، وقرى الضيف ،

ورأسهن الحياء. [٢٧]

١٣- لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مروءة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك الداران جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً. [٢٨]

١٤- أرأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد. [٢٩]

١٥-إذا أضرت النوافل بالفريضة فارفضوها.

١٦-من تذكر بعد السفر اعتدّ.

١٧-بينكم وبين الموعظة حجاب العزة.

١٨-إن من طلب العبادة تزكى لها.

١٩-قطع العلم عذر المتعلمين. [٣٠]

٢٠-أحسن الحسن الخلق الحسن . [٣١]

الهوامش

١- فالح ، عبد الجليل رشيد . السلوك الاجتماعي في الهدى النبوي الكريم ، منشور في دورية التربية الاسلامية ، عدد٢ ، ١٩٩٥. ، ص١١٠ .

٢- المجلسي . محمد باقر . بحار الأنوار تاريخ الإمامين الهمامين ، باب ولادتهما ٤٣ : ٢٨٦ ، ، د.ت ، ص٥١.

٣- المجلسي ، بحار الأنوار تاريخ الإمامين ، المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

٤-الخوئي ، السيد أبو القاسم الموسوي . معجم رجال الحديث ، ط ١، ج ٢٠ ، د.ت ، ص ١٧٧ .

٥-الشيخ المفيد، الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ت (٤١٣ هـ) . الارشاد ، سلسلة الأنوار ،ج١، تحقيق مؤسسة ال البيت ﷺ لإحياء التراث ، قم ، د. ت ، ص ٢٨٧- ٢٩٢.

٦-الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن ت (٤٦٠ هـ) . اختيار معرفة الرجال ١ ' ج٢' مؤسسة أهل البيت (ﷺ) لإحياء التراث ، قم ، المؤلف السيد محمد باقر الحسيني الاسترابادي ، (د. ت) ، ص ٢٧٧.

٧-الشيخ المفيد ، المصدر السابق ، ص ٢٩٩.

٨-النمازي ، علي الشهارودي. المستدركات علم رجال الحديث، ج ٤ ، ت (١٤٠٢هـ) ، ص٧٧- ٧٩ .

٩-الطوسي ، المصدر السابق ، ص ١٩٥.

١٠-الطوسي ، المصدر نفسه ، ص ٢١٣.

١١-المجمع العالميّ لأهل البيت. أعلام الهداية . الإمام الحسن "المجتبى" ج ٤ ، د.ت ، ص ٥١.

١٢- المجمع العالمي لأهل البيت ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٦٣- ٦٦.

١٣-سورة النساء : اية ٨٦

١٤-الهيثمي، علي بن ابي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

١٥-المفيد، المصدر السابق ، ج ٢ ص ، ٥٧ .

١٦-آل ياسين الشيخ ، محمّد حسن. الأئمّة الاثنا عشر سيرة وتاريخ ، ج ١ ، د.ت ، ص٧٥.

١٧-الحسني ، معروف هاشم، سيرة الأئمّة الاثني عشر ، ج ١ ، د.ت ، ص ٤٦٢ .

١٨-القرشي ، باقر شريف . حياة الإمام الحسن ﷺ، ط١ ، النجف الاشرف، مطبعة الآداب ، ١٩٧٥، ص ٧٧ .

١٩- المجلسي ، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار، تحقيق : يحيى العابدي،ط٢ بيروت ، مؤسسة الوفاء للنشر، ١٩٨٣ ، ص ٨٤.

٢٠-الفيروز آبادي ، السيّد مرتضى الحسينيّ، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ج ٣ ، د.ت ، ص ٢٢٦- ٢٢٧.

٢١-المجمع العالميّ لأهل البيت ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٠.

٢٢-الحسني ، المصدر السابق ، ص ٣٦٥.

٢٣-العاملي ، مرتضى جعفر: الحياة السياسيّة للإمام الحسن ص ، د.ت ، ١٦- ٢٠.

٢٤-ابن الأثير، عليّ بن أحمد بن أبي الكرم . الكامل في التاريخ، ج٣، بيروت، لبنان، دار بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٤٠٣.

٢٥-ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مُسلم . الإمامة والسياسة. القاهرة، مصر، دار المعارف، ١٩٣٧ ، ص ١٥٣.

٢٦-المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣ ، بيروت ، لبنان ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٣٧.
٢٧-الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ط الرسالة ، ،ج٣، د.ت ، ص٢٧٩.
٢٨-ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت ، ص ١٤٩- ١٥٣ .
٢٩-الحراني، ابن شعبة . تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم من آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، ط٢ . قم ، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ ، ص ٨٥- ٨٨.
٣٠-الدينوري ، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ، (تاريخ الخلفاء)، تحقيق: طه محمد الزيني، د.م، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ، د.ت ، ص ٢٧٧.
٣١-الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)،(بيروت، مؤسسة العلمي للمطبوعات، د.ت ، ص ٩٣.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
* فالح ، عبد الجليل رشيد . السلوك الاجتماعي في الهدى النبوي الكريم ، منشور في دورية التربية الاسلامية ، عدد٢ ، ١٩٩٥.
* المجلسي . محمد باقر . بحار الأنوار تاريخ الإمامين الهمامين ، باب ولادتهما ٤٣ : ٢٨٦ .
* الخوئي ، السيد أبو القاسم الموسوي . معجم رجال الحديث ، ط ١، ج ٢٠ ، د.ت .
* الشيخ المفيد، الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ت (٤١٣ هـ) . الارشاد ، سلسلة الأنوار ،ج١، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، د. ت .
* الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن ت (٤٦٠ هـ) . اختيار معرفة الرجال ١ ’ ج٢’ مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، المؤلف السيد محمد باقر الحسيني الاسترابادي ، (د. ت) .
* النمازي ، علي الشهارودي . المستدركات علم رجال الحديث، ج ٤ ، ت (١٤٠٢هـ).
* المجمع العالميّ لأهل البيت. أعلام الهداية ، الإمام الحسن "المجتبى" ج ٤ ، د. ت .
* الهيثمي ، علي بن ابي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.
* آل ياسين الشيخ ، محمّد حسن. الأئمّة الاثنا عشر سيرة وتاريخ ، ج ١ ، د. ت .
* الحسني ، معروف هاشم، سيرة الأئمّة الاثني عشر ، ج ١ . د. ت .
* القرشي ، باقر شريف . حياة الإمام الحسن عليه السلام، ط١، ، النجف الاشرف، مطبعة الآداب ، ١٩٧٥.
* المجلسي ، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار، تحقيق : يحيى العابدي، ط٢ بيروت ، مؤسسة الوفاء للنشر، ١٩٨٣.
* الفيروز آبادي ، السيّد مرتضى الحسينيّ، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ج ٣ ، د.ت .
* العاملي ، مرتضى جعفر. الحياة السياسيّة للإمام الحسن ، د.ت .
* ابن الأثير، عليّ بن أحمد بن أبي الكرم . الكامل في التاريخ ، ج٣، بيروت، لبنان ، دار بيروت ، ١٩٦٧ .
* ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مُسلم . الإمامة والسياسة. القاهرة، مصر، دار المعارف، ١٩٣٧ .
* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣ ، بيروت ، لبنان ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٥ .
* الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ط الرسالة ، ،ج٣، د.ت .
* ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت .
* الحراني، ابن شعبة . تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم من آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، ط٢ . قم ، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ .
* الدينوري ، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ، (تاريخ الخلفاء)، تحقيق: طه محمد الزيني، د.م، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع د.ت .
* الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)،(بيروت، مؤسسة العلمي للمطبوعات، د.ت

القيم التربوية في فكر الإمام الحسن عليه السلام

-دراسة تحليلية-

م. عتاب بسيم السوداني

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

م. حيدر جابر كاظم الموسوي

الجامعة الإسلامية / النجف الأشرف

المقدمة

إن أزمة القيم تعد من السمات الواضحة والمميزة لهذا العصر، نتيجة لسيادة الفكر المادي وتفشي ظاهرة النفع الشخصي وإيثار النفس والذات فالتقدم الباهر الذي وصل إليه الإنسان لم يحقق له التوازن النفسي الذي يبتغيه، بل إنه ساعد على اهتزاز القيم وتسبب في ضحالتها بداخله، وبعضهم تنتفي لديه المبالغة في تصوير هذه الأزمة في قوله: "لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن أزمة هذا العصر هي أزمة القيم، لذا فان السبب الحقيقي من وراء تخلف الأمة العربية هو عدم الالتزام بالقيم الإسلامية وهذا ما أكدته الكثير من الدراسات النظرية والميدانية، التي أجمعت على وجود خلل في منظومة القيم نتيجة العزوف عن القيم الإسلامية واللهث وراء القيم الغربية ومنها دراسة الجمالي الذي أكد إن الكثير من المسلمين بعد أن نسوا دينهم وهجروا قرآنهم، وصاروا يقلدون غيرهم ويستوردون عقائد ومبادئ متطرفة وبعيدة عن منهجنا الإسلامي، والقيم تختلف من إنسان لإنسان.. ومن بيئة لبيئة.. ومن مجتمع لمجتمع.. ومن زمان لآخر.. إلا إن المقطوع به أن النفس البشرية تبدأ بناء قيمها مع بداية الحياة وتنمو بنمو الأفراد لكونها تؤثر في العلاقات الإنسانية التي تقوم بينهم، كما تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية، ولهذا تظهر أهمية القيم بشكل واضح في المجتمعات الإنسانية، إذ لا يمكن لأي جماعة تريد لتنظيماتها الاجتماعية أن تستمر في تحقيق أهدافها أن تعيش من دون هذه المعايير والقيم، فضلاً عن إن القيم عنصر من عناصر الأخلاق بشكل عام، والأخلاق تشكل مساحة واسعة في الفكر الإنساني في ماضيه وحاضره ومستقبله، كما تمثل القيم ركناً أساسا من أركان الثقافة لأي مجتمع، إذ إن الثقافة في أساسها هي مجموعة من الأهداف والقيم والمعايير السلوكية التي تترجم أسلوب حياة الجماعة، لذا حظي موضوع القيم في العقود الأخيرة باهتمام متزايد من المختصين و في شتى العلوم، وهكذا يتضح الأثر الذي تؤديه القيم في الحفاظ على تماسك المجتمع وفي تكوين الوعي الاجتماعي للأفراد، فضلاً عن أهميتها في التمسك والحفاظ على الموروث التربوي الاجتماعي والثقافي والأخلاقي الصالح. وقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالأخلاق والقيم إذ جعل من أهدافه الرئيسة العناية بخلق الإنسان وتنميته لتصبح جزءً

من شخصية الإنسان العربي وقد يكون هذا من أهم العوامل التي حفظت الأمة العربية من التدهور والانحلال الخلقي الذي تعاني منه المجتمعات والحضارات المتقدمة المعاصرة إذ يسود ضياع القيم والأخلاق والانتحار وغيرها من مظاهر التأزم الخلقي والنفسي. وفي تراثنا التربوي الاسلامي نظام شامل للتربية والاعداد للحياة وتوجيه الشباب التوجيه التربوي الصحيح وتقويم سلوكهم الذي يرتكز على اسس تعليمية وتربوية سليمة نابعة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي جاء وافياً بمطالب الحياة كلها وانه لحري بكل مرب مخلص ان يستبصر بجوانب الفكر التربوي الإسلامي وابراز ايجابيته وما يزخر به من آداب وفضائل. وذلك من خلال العودة الى تراثنا وتأصيل قيمنا التربوية لدى ابنائنا من خلال القدوة الحسنة المتمثلة برجالات الإسلام الفذة الذين يمثلون قيمها بأعلى مستوياتها من خلال ربطهم النظرية بالتطبيق الفعلي، وعلى رأس تلك الرجالات الحسن بن علي ﷺ والذي يعد في دنيا الإسلام قمة من قمم الرجال الذين صنعوا العظمة في تاريخ الإسلام والإنسانية وسكبوا النور في دروب البشرية، من خلال عطائه الفكري الفذ المتمثل بالمئات من الوصايا والحكم والخطب والاشعار والادعية التي ملأت كتب التاريخ، فضلاً عن الرسائل والخطب والوصايا والمحاورات الصادرة عنه.

الفصل الأول

مشكلة البحث

لقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالأخلاق والقيم إذ جعل من أهدافه الرئيسة العناية بخلق الإنسان وتنميته لتصبح جزءاً من شخصية الإنسان العربي وقد يكون هذا من أهم العوامل التي حفظت الأمة العربية من التدهور والانحلال الخلقي الذي تعاني منه المجتمعات والحضارات المتقدمة المعاصرة إذ يسود ضياع القيم والأخلاق والانتحار وغيرها من مظاهر التأزم الخلقي والنفسي (عبد العزيز: ١٩٨٧: ٦) إن أزمة القيم تعد من السمات الواضحة والمميزة لهذا العصر، نتيجة لسيادة الفكر المادي وتفشي ظاهرة النفع الشخصي وإيثار النفس والذات، فالتقدم الباهر الذي وصل إليه الإنسان لم يحقق له التوازن النفسي الذي يبتغيه، بل

إنه ساعد على اهتزاز القيم وتسبب في ضحالتها بداخله (المرزوق، ١:٢٠٠٨) وبعضهم تنتفي لديه المبالغة في تصوير هذه الأزمة في قوله: "لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن أزمة هذا العصر هي أزمة القيم (النوري،١٩٨١: ٦٥-٦٧) لذا فان السبب الحقيقي من وراء تخلف الأمة العربية هو عدم الالتزام بالقيم الإسلامية وهذا ما أكدته الكثير من الدراسات النظرية والميدانية والتي أجمعت على وجود خلل في منظومة القيم نتيجة العزوف عن القيم الإسلامية واللهث وراء القيم الغربية ومنها دراسة الجمالي الذي أكد إن الكثير من المسلمين بعد أن نسوا دينهم وهجروا قرآنهم، وصاروا يقلدون غيرهم ويستوردون عقائد ومبادئ متطرفة وبعيدة عن منهجنا الإسلامي (الجمالي: ١٩٦٦: ٦) لذا فان الحاجة أصبحت ملحة للرجوع إلى تراثنا الإسلامي الغني بالقيم التربوية ومن هذا التراث فكر أهل البيت عليهم السلام عامة وفكر الإمام الحسن عليه السلام خاصة لمعرفة مدى تضمن هذا الفكر من قيم تربوية.

أهمية البحث:

تختلف القيم من إنسان لإنسان.. ومن بيئة لبيئة.. ومن مجتمع لمجتمع.. ومن زمان لآخر.. إلا إن المقطوع به أن النفس البشرية تبدأ بناء قيمها مع بداية الحياة (مركز تنمية الكتاب العربي،١٩٨٧:٢٦)، وتنمو بنمو الأفراد لكونها تؤثر في العلاقات الإنسانية التي تقوم بينهم، كما تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية، ولهذا تظهر أهمية القيم بشكل واضح في المجتمعات الإنسانية، إذ لا يمكن لأي جماعة تريد لتنظيماتها الاجتماعية أن تستمر في تحقيق أهدافها أن تعيش من دون هذه المعايير والقيم (الحسيني: ١٩٩٥: ١٣)،فضلاً عن إن القيم عنصر من عناصر الأخلاق بشكل عام، والأخلاق تشكل مساحة واسعة في الفكر الإنساني في ماضيه وحاضره ومستقبله (البياتي،٢٠٠١: ٩٨)، كما تمثل القيم ركناً أساسا من أركان الثقافة لأي مجتمع، إذ إن الثقافة في أساسها هي مجموعة من الأهداف والقيم والمعايير السلوكية التي تترجم أسلوب حياة الجماعة (وهيب، ١٣٧:١٩٨٩)، لذا حظي موضوع القيم في العقود الأخيرة باهتمام متزايد من المختصين و في شتى العلوم (القيسي، ١٩٩٥: ٣٢١٨)، وهكذا يتضح الأثر الذي تؤديه القيم في الحفاظ على تماسك المجتمع وفي تكوين الوعي الاجتماعي للأفراد، فضلاً

عـن أهميتهـا في التمسـك والحفـاظ عـلى المـوروث التربـوي الاجتماعـي والثقـافي والأخلاقـي الصالح. وإن التربيـة بشـكلها العـام عمليـة مألوفـة للجميـع، تعـبر عـن نشـاط أنتجتـه المجتمعـات الإنسـانية عـبر أزمنـة كثـيرة وأمكنـة متنوعـة (جابـر:٤:١٩٧٧)، فالمجتمـع يسـتطيع أن يقـرر مسـتقبله باختيـار نـوع التربيـة التـي يقدمهـا للأجيـال المتعاقبـة، وتتجـلى أهميـة القيـم في:

أ. أهمية القيم بشكلها العام في بناء الأمم والمجتمعات وديمومة تجمعاتها وبقائها.

ب. أهميـة فكـر أهـل البيـت عليهم السلام (الأصيـل وأثـره في بنـاء منظومـات قيميـة تناسـب النـشء وتناسـب التغيـرات الحاصلـة في المجتمعـات الحديثـة و مسـاهمة في تعزيـز أو تعديـل النظـم الرابطـة بـين الأفـراد في المجتمـع الواحـد والمجتمعـات الإنسـانية.

ز. الاقتـداء بأخـلاق الامـام الحسـن عليه السلام في أقوالـه وأفعالـه في جميـع أمـور الحيـاة بصفـة عامـة وفي مجـال التربيـة بصفـة خاصـة.

ط. يمكـن أن تفيـد الدراسـة الحاليـة المعنيـين في تحليـل فكـر شـخصيات أخـرى لمعرفـة مـا تتضمنـه مـن قيـم تربوية

حدود الدراسة:

١. أحاديث الإمام الحسن عليه السلام.

هدف الدراسة:

١. التعرف على القيم لتربوية في أحاديث الإمام الحسن

٢. بناء منظومة قيم تربوية

تحديد المصطلحات

أولاً: تحليل المحتوى.

لغةً:

التحليـل والتحلـةُ مـن اليمـين. حلّلـت اليمـين تحليـلاً وتحلـةً، وضربتـه ضربـا تحليـلا يعنـي شـبه التعزيـر غـير مبالـغ فيـه، اشـتق مـن تحليـل اليمـين ثـم اجـري في سـائر الـكلام حتـى يقـال في وصـف الإبـل إذا بركـت: تجانـب وقعهـا في الأرض تحليـل (الفراهيـدي: ١٤١٤ هـ، ج١: ٤١٨)

اصطلاحاً:

١. وعرفه العاني (١٩٧٦): بأنه:

"عملية فكرية ليست بسيطة تتكون من مجموعة مهارات يتمكن الطالب من اكتسابها بعد سلسلة من التمرينات " (العاني، ١٩٧٦: ٥٩) .

٢. أما رزوق فعرفه (١٩٧٧) بأنه:

"تحديد العناصر المؤلفة لأية تجربة كلية أو معقدة أو لأية عملية عقلية" (رزوق: ١٩٧٧: ٦٩).

٣. ويعرفه حسين (١٩٨٣) بأنه:

أداة علمية، وأسلوب بحث منهجي، يستخدم في تحليل المحتوى الظاهر أوالمضمون الصحيح لمادة من المواد بطريقة موضوعية منظمة، بهدف الوصول إلى استدلالات واستقراءات واستبصارات صادقة وثابتة (حسين، ٢٠:١٩٨٣).

التعريف الإجرائي:

هو الأسلوب الذي يعتمده الباحث في تحليل قطع المحفوظات في كتب القراءة العربية للمراحل الستة في المدرسة الابتدائية

ثانياً: القيم

لغةً:

من قوم وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته. وقيّم القوم: من يسوس أمرهم ويقومهم، والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم. تقول تقاوموا فيما بينهم (الفراهيدي، ١٤١٤ هـ، ج١٥٤٢:٣ - ١٥٤٣).

اصطلاحاً:

هناك تعريفات عدة لمصطلح القيمة نظراً لتعدد الميادين والمجالات التي تناولت هذا المصطلح وفيما يأتي بعض التعريفات:

٤. عرفها لطفي (١٩٨٤) بأنها:

(حكم معياري يكتسبه الفرد نتيجة عوامل في مقدمتها التنشئة الاجتماعية والبيئة التي يعيش فيها) (لطفي، ١٩٨: ٢٠)

٢. وعرفها الغانم (١٩٩١) بأنها:

(خاصية جوهرية كامنة في ذات الأشياء تجعلها قادرة على الوفاء بالحاجة فتسهم بذلك في التوازن) (الغانم، ٤٤:١٩٩١)

٣. أما تعريف جابر (٢٠٠٤) للقيم فهو:

أفكار الفرد حول ما هو صواب وجيد ومرغوب، أو هي موجهات لسلوك الأفراد ضمن ثقافة معينة أو مجتمع معين وعبر التنشئة الاجتماعية ويعطيها الأفراد اهتماماً خاصاً، وتشكل مبادئ تتكامل فيها الأهداف الفردية مع الأهداف العامة للمجتمع (جابر، ٢٠٠٤: ٢٨٨).

التعريف الإجرائي:

مجموعة من الأحكام المعيارية يعتمدها الباحث في تحليل محتوى قطع المحفوظات في كتب القراءة للمرحلة الابتدائية، وهي مرتبة بتصنيف له مواصفات أدوات المنهج العلمي.

التربية:

لغةً

جاء في الصحاح رباه تربية أي غذاه وهذا لكل ما ينمى كالولد والزرع ونحوه (الرازي: ١٩٨٣: ١٢٧) ورباه تربية أي أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولة، كان ابنه أو لم يكن (ابن منظور: ٢٠٠٣: ٤٠١).

اصطلاحاً:

١. ويعرف "**النجيحي**" (١٩٦٦) التربية بأنها (عملية إعداد المواطن الذي يستطيع التكيف مع المجتمع الذي ينشا منه، ولذلك فهي تعمل على تشكيل الشخصية الإنسانية في أدوار المطاوعة الأولى تشكيلاً يقوم على أساس ما يسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية، ولهذا كان لابد للإطار الثقافي الذي يقوم عليه المجتمع من أن يحدد إبعاد العملية التربوية واتجاهاتها بحيث لا تخرج عن هذا الإطار إلا تطويراً له وتقدماً به في عملية زيادة أخذه

بيد المجتمع نحو مستقبل أفضل). (النجيحي: ١٩٦٦: ١٧)

٢. عرف أبو العينين (١٩٨٨) التربية على إنها (النشاط الفردي والاجتماعي الهادف إلى تنشئة الإنسان فكرياً وعقلياً ووجدانياً وحسياً وجمالياً وخلقياً، وتزويده بالمعارف والاتجاهات والقيم والخبرات الأزمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام). (أبو العينين: ١٩٨٨: ١١٠)

التعريف الإجرائي للتربية:(عملية ذات نظم وأساليب متكاملة، تنبع من التصور الإيماني لحقائق الألوهية والكون والإنسان والحياة، وتهدف إلى إعداد الإنسان للقيام بحق الخلافة في الأرض، وذلك عن طريق إيصاله إلى درجة كماله التي هيأه الله لها).

الفصل الثاني

الدراسات السابقة

سيعرض الباحثان في هذا الفصل عددا من الدراسات السابقة المشابهة لموضوع دراستهما، ويشمل هذا الفصل الدراسات الآتية:

١. دراسة المذخوري (٢٠٠٧)

(القيم التربوية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر)

أجريت هذه الدراسة في العراق (جامعة بغداد) عام (٢٠٠٧) ورمت التعرف إلى:

القيم التربوية الواردة في الكتب والخطب والمحاورات الصادرة عن الشهيد محمد محمد صادق الصدر، وبناء منظومة قيمية في ضوء الكتب والخطب والمحاورات الصادرة عنه. واتبع الباحث المنهج الوصفي، واختار طريقة تحليل المحتوى في تحليل الكتب واعتمد (الفكرة) وحدة التحليل و(التكرار) وحدة التعداد، وتكونت عينة الدراسة من مجموعة من مؤلفات السيد الشهيد الصدر وبعد اتباع الإجراءات اللازمة في طريقة تحليل المحتوى، واستعمال الوسائل الإحصائية معادلة (كوبر) والنسبة المئوية. توصلت الدراسة إلى تكوين منظومة قيمية تتكون من (٣٠) قيمة تربوية موزعة بين ثلاثة مجالات رئيسة هي: مجال علاقة الإنسان مع ربه، و مجال علاقة الإنسان مع نفسه، و مجال علاقة الإنسان مع الآخرين، كان الأعلى فيها قيمة الإيمان، التي حصلت على (٢١٣) تكرارا، والأدنى فيها قيمة التعاون التي حصلت على

(٨٠) تكـرارا فقـط (المذخـوري، ٢٠٠٧: ٢-١٦١).

٢. دراسة القيسي (٢٠٠٨)

(القيم التربوية في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام)

أجريت هذه الدراسة في العراق عام (٢٠٠٨)، ورمت التعرف إلى:

القيـم التربويـة في الصحيفـة السـجادية للإمـام علـي بـن الحسـين زيـن العابديـن عليه السلام، وبنـاء منظومة قيميـة في ضـوء ذلـك. تكونـت عينـة البحـث مـن مجموعـة مـن المؤلفـات التـي كتبـت عـن الإمـام زين العابديـن عليه السلام ولاسـيما تلـك التـي تناولـت الصحيفـة السـجادية، واسـتعملت الباحثة المنهـج الوصفي وأسـلوب تحليـل المحتـوى منهجـاً للدراسـة واعتمـدت (الفكـرة) وحـدة للتحليـل و(التكـرار) وحدة للتعـداد واسـتعملت الباحثـة معادلـة (كوبـر) والنسـبة المئويـة كوسـائل إحصائية. وتوصلت الدراسـة إلى أن هنـاك مجموعـة مـن القيـم التربويـة في عينـة البحـث واسُـتخلصت عـلى شـكل قوائـم ثـم بوبـت بثلاثـة مجـالات عـلى شـكل (تصنيـف قيمـي)، وفي ضـوء ذلـك تـم بنـاء منظومـة قيميـة في فكـر الإمـام زيـن العابديـن عليه السلام مكونـة مـن (٥٠) قيمـة موزعة على ثلاثة مجـالات: الأول منها علاقة الإنسـان بربه والثـاني علاقـة الإنسـان مـع نفسـه في حـين يمثـل الثالـث علاقـة الإنسـان مـع الآخرين، وقـد حصلت قيمـة الزهـد عـلى أعـلى تكـرار وهـو (١٤٥) تكـرارا، والقيمة التـي حصلت عـلى أقل تكـرارا هي قيمة القـوة وقـد حصلـت عـلى (٥) تكـرارات فقـط (القيسـي، ٢٠٠٨: ٢-١٢٠).

موازنة الدراستين السابقتين مع الدراسة الحالية.

أولاً: الهـدف: أجمعـت الدراسـتان السـابقتان عـلى هـدف رئيس واحـد وهـو التعـرف عـلى القيـم التربويـة في عينـة الدراسـة، أمـا الدراسـة الحاليـة فاتفقـت في الهـدف الرئيـس مع الدراسـتين السـابقتين وهـو التعـرف عـلى القيـم التربويـة

ثانيـاً: المـكان: أجريـت دراسـة(المذخوري) و(القيـسي) في العـراق، والدراسـة الحاليـة أيضـا أجريـت في العـراق.

ثالثـاً: المنهـج: اعتمـدت دراسـة (المذخـوري) و(القيسي) عـلى منهـج البحـث الوصفـي التحليـلي اتفقـت الدراسـة الحاليـة مع اغلب الدراسـات السـابقة إذ اعتمـدت منهج البحث الوصفـي التحليلي.

رابعاً: العينة: مثلت عينات دراسة (المذخوري) و(القيسي) كتبا خارجية وزاد بعضها خطبا وحوارات أما الدراسة الحالية فتضمنت احاديث الإمام الحسن عليه السلام.

خامسا: الوسائل الإحصائية: استعملت الدراستان السابقتان على استعمال النسبة المئوية. و الدراسة الحالية وافقتها في استعمال النسبة المئوية أيضا.

سادساً: النتائج: خلصت الدراستان السابقتان إلى مجموعة نتائج أهمها:

أ. التوكيد على أهمية القيم التربوية وضرورة تضمينها داخل الكتب المدرسية والمناهج الدراسية.

ب. استحوذت القيم التربوية في المجال الأخلاقي والاجتماعي على معظم المضمون القيمي للمواد المحللة.

ج. تفوق القيم التربوية الإيجابية على القيم التربوية السلبية.

د. ضرورة بناء منظومة قيمية تعتمد في بناء المناهج وتحليلها.

هـ. تصورات العدالة والقيم التربوية غير مرتبطة بالجنس والعرق والحالة الانضباطية.

أما الدراسة الحالية فإنها سترجئ مقابلة نتائجها بنتائج الدراسات السابقة إلى الفصل الخامس فصل نتائج الدراسة.

الإفادة من الدراسات السابقة

تكمن جوانب الإفادة من الدراسات السابقة في:

أ. الإطلاع على التصنيفات المستعملة كأدوات للبحث.

ب. التعرف إلى خطوات وقواعد التحليل المستعملة.

ج. تحديد الوسائل الإحصائية المناسبة ووحدات التحليل .

د. التعرف على طرائق استخراج الصدق والثبات.

هـ. الإطلاع على نتائج هذه الدراسات والإفادة من تفسيرها.

و. التعرف إلى عدد من المضامين النظرية لموضوع القيم بجوانبه المختلفة.

ز. الرجوع إلى المراجع والمصادر المهمة التي وردت في تلك الدراسات

الفصل الثالث

منهجية البحث

أولاً: منهج الدراسة.

استعمل الباحثان المنهج الوصفي لأنه المنهج الملائم لموضوع دراسته، وهوتشخيص علمي لظاهرة ما، والتبصر بها كميا برموز لغوية ورياضية. وهو المنهج الذي يعنى بالدراسات التي تهتم بجمع وتلخيص الحقائق المرتبطة بطبيعة جماعة من الناس، أو وضعهم، أو عدد من الأشياء، أو منظومة فكرية، أو أي نوع من الظواهر، أو القضايا و الموضوعات، ويرمي البحث الوصفي إلى تحديد طبيعة الظروف والممارسات والاتجاهات ووصفها بدقة، وتحديد العمليات و الأشخاص، فهو يصور الوضع القائم، ويحدد العلاقات الموجودة بين الظواهر. واعتمد الباحثان الدراسة المسحية التي هي إحدى دراسات المنهج الوصفي الذي يشمل دراسة العلاقة ودراسة النمو والتطور والدراسة التتبعية. ويقصد بالدراسة المسحية ذلك النوع من الدراسات التي تتم بواسطتها استقصاء أفراد المجتمع أو عينة واسعة منهم، بهدف وصف الظاهرة قيد الدراسة، من حيث طبيعتها ووجودها من طريق الحصول على إجابات الأفراد، بإحدى وسائل جمع المعلومات بهدف وصف الواقع فقط، ولا يتخطى إلى معرفة العلاقة أو استنتاج الأسباب (عبد الرحمن وزنكنة، ٢٠٠٧: ٣٨-٤٩).

الخطوات المتبعة في الدراسات المسحية:

من أهم الخطوات المتبعة في هذه الدراسات هي:

أ. تحديد المشكلة والغرض من المسح تحديدا واضحا، وذلك بالشعور بالمشكلة وبيان أهميتها وبيان الحدود المكانية و الزمانية لمشكلة الدراسة، وتحديد المصطلحات.

ب. تقديم الإطار النظري حول مشكلة الدراسة ومراجعة عددٍ من الدراسات السابقة ذات العلاقة.

ج. رسم خطة الدراسة وتشمل:

١. تحديد مجال الدراسة المسحية من حيث اختيار العينة والمكان والزمان لإجراء الدراسة.

٢. اختيار الأدوات اللازمة لجمع البيانات.

٣. تحديد الخطوات الإجرائية من حيث جمع البيانات والأسلوب المعتمد في جمعها وتحليلها.

ح. تحليل المعلومات وتفسيرها وذلك بالتأكد من صحة المعلومات وتبويبها والقيام بتفريغها ومعالجتها إحصائيا بما يلائم نتائج تكميم المعلومات، ومن ثم القيام بتفسيرها والتوصل إلى الاستنتاجات وتقديم التوصيات والمقترحات (عبد الرحمن وزنكنة، ٢٠٠٧:٤٩-٥٠).

واستعمل الباحثان طريقة "تحليل المحتوى" طريقة لدراسته، لأنها الطريقة الوحيدة المناسبة لطبيعة الدراسة، والقادرة على تحقيق هدفيها التي هي إحدى الأساليب المتبعة في الدراسات المسحية، وتحليل المحتوى هو أحد أساليب البحث العلمي الذي يهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمضمون الظاهر لمادة من مواد الاتصال (التميمي، ٢٠٠٩: ٢٤٨)، وهو يشير إلى مسح الكتب المدرسية ومحتوى المجلات والكتب الثقافية والعامة والصحف والقصص والسير الذاتية والمذكرات وجميع مواد الاتصال التي من طريقها تنتقل الأفكار والآراء والمعلومات بين الناس(عبد الرحمن وزنكنة، ٢٠٠٧: ١٨٨).

ثانياً: مجتمع الدراسة وعينتها.

يتحدد مجتمع الدراسة الحالية بأحاديث الإمام الحسن عليه السلام.

ثالثاً: أداة الدراسة.

لتحقيق هدف الدراسة لابد من وجود تصنيف يتم بموجبه تحليل محتوى القصائد الشعرية المشمولة بهذه الدراسة، لم يعثر الباحث على تصنيف ملائم يفي بأغراض الدراسة الحالية، إذ يحرص الباحثان كل الحرص على ان يكون التصنيف شاملاً ومتضمناً للمحتوى المراد تحليله، وقد اطلعا على ما أمكن من التصنيفات التي استعملت في دراسات القيم ومنها:

أ. تصنيف (شيلر).

ب. تصنيف (سبرانجر).

ت. تصنيف (قاموس ويبستر).

ث. تصنيف (المذخوري).

وبعد الإطلاع على هذه التصنيفات، تكوّن لدى الباحثان صورة أولية واضحة عن هذه

الأدوات، وطريقة إعدادها، وعليه اعد الباحثان أداة الدراسة الحالية.

ولكي يكون التصنيف المعد للدراسة الحالية موضوعياً وعلمياً لابد من التأكد من صدقه وثباته قبل الشروع في استعماله لهذه الدراسة.

أ: صدق الأداة.

يعد صدق أداة القياس من الخصائص السيكومترية الأكثر أهمية مقارنة بالخصائص الأخرى، بسبب ارتباط الصدق بالهدف المتوقع من الأداة فأداة الدراسة صادقة إذا كان بمقدورها ان تقيس فعلاً ما وضعت لقياسه (النبهان، ٢٠٠٤: ٢٧٢) والصدق الظاهري يشير إلى مدى قياس الأداة للغرض التي وضعت من أجله ظاهريا، ويتم من طريق توافق تقديرات المحكمين على درجة قياس الأداة للسمة (العزاوي، ٢٠٠٧: ٩٣)، و للحصول على الصدق الظاهري للأداة عرض الباحثان أنموذجا تحليليا لبعض الاحاديث كعينة للتحليل على الخبراء والمحكمين في اللغة العربية وطرائقها، وعلم النفس التربوي(ملحق رقم ١)، واعتمد الباحثان نسبة (٨٠٪) لتحديد ملائمة القيم للكلمات المستخرجة التي تحمل قيما معينة الصورة التي انتهت عندها القيم بمرحلة الصدق.

ب: ثبات الأداة.

يعني الثبات الحصول على النتائج نفسها إذا ما أعيد تطبيق الأداة على العينة نفسها أو عينة أخرى مكافئة (العزاوي، ٢٠٠٧:٩٧)، وان ثبات التحليل يتم بأسلوبين هما:

١. اتساق التحليل وصدقه عبر الزمن: وذلك بإعادة الباحث التحليل بعد مدة من الزمن (٤-٦) أسابيع، والمقارنة بين نتائج التحليل الأولى والثانية، والتأكد من مدى التوافق والاتساق بين تحليل الموضوع نفسه في مدتين زمنيتين. آخر بتحليل الموضوع ومقارنة النتائج التي توصل إليها مع النتائج التي توصل إليها الباحثان (التميمي، ٢٠٠٩:٢٥١).وقد استخرج الثبات لأداة الدراسة بالطريقتين السابقتين، وفيما يأتي عرض لهاتين الطريقتين:

١- الاتفاق بين الباحث نفسه عبر الزمن، عن طريق إعادة التحليل مرة ثانية بينهما مدة زمنية تبلغ (٤ أسابيع)، واستخرج معامل الاتفاق بمعادلة (Coopr)، وكان معامل الثبات هو (٨٩٪).

٢- الاتفاق بين الباحث ومحلل خارجي[1*] أي أن يتوصل المحلل الخارجي إلى النتائج نفسها التي توصل إليها الباحث في تحليل المحتوى نفسه عند التزام الخطوات والقواعد نفسها في التحليل. وتحقيقاً لذلك فقد اختيرت عينة من أحاديث الإمام الحسن بالطريقة العشوائية وقد حلّل العينة المختارة محلل خارجي بعد اطلاعه على خطوات التحليل وقواعده التي اتبعت في تحليل عينة الدراسة، وتدريب الباحثين له وقد استعمل الباحث معادل(Coopr) لإيجاد ثبات التحليل وكانت النتائج ومعامل الثبات مع المحلل هو (٨٦٪)، وجدول (١) يوضح ذلك.

الجدول (١)

نتائج ثبات التحليل

ت	نوع الاتفاق	معامل الثبات
١	الاتفاق عبر الزمن بين الباحث ونفسه، بفاصل زمني قدره (أربعة أسابيع).	٨٧ ٪
٢	الاتفاق بين الباحث والمحلل الأول	٨٦ ٪

إذ يشير (Coopr) إلى أن الثبات يكون جيداً إذا حصل على نسبة لا تقل عن (٧٥،.) (المفتي: ١٩٨٤:٦٤) وتعد معاملات الثبات جميعها التي حصل عليها الباحث عالية وتفي بأغراض الدراسة الحالية، وهي جيدة أيضا مقارنة بالدراسات السابقة.

الأداة بشكلها النهائي:

وبعد إجراء التعديلات على التصنيف على وفق آراء ومقترحات المحكمين واعتماد نسبة (٨٠ ٪) أصبحت الأداة بصيغتها النهائية تتألف من (١٨) قيمة تربوية، جدول (٢) يوضح ذلك.

جدول رقم (٢)

ت	القيمة	ت	القيمة
١	العفة	١٢	العلم
٢	الحياء	١٣	الشجاعة
٣	العزة	١٤	المجد
٤	الكرامة	١٥	صلة الرحم

٥	الصدق	١٦	الخلق
٦	التواضع	١٧	التفكر
٧	الصبر	١٨	التقوى
٨	قضاء الحاجة		
٩	الوفاء بالعهد		
١٠	الجهاد		
١١	غنى النفس		

رابعاً: تطبيق أداة الدراسة.

قبل الشروع في تطبيق الأداة وتحليل المادة لابد من اعتماد وحدة للتحليل، ووحدة للتعداد لذا فقد استعمل الباحث (الكلمة) وحدة للتحليل؛ لأنها الأكثر ملائمة في تحليل الأسلوب الأدبي وكشف الكلمات التي تعبر عن قيمٍ معينة (كنعان، ١٩٩٥:٣٨) ولكي يكون التحليل علمياً وموضوعياً، وللحصول على نسبة عالية من الثبات، فلا بد من اتباع عددٍ من الخطوات والقواعد أو الأسس التي تساعد على عملية تحديد الكلمة وعلى النحو الآتي:

أ. خطوات التحليل.

١. قراءة ديوان الشريف المرتضى لغرض استخراج الكلمات التي تضم قيما معينة.

٢. تحديد القيمة التي تشير إليها كل كلمة.

٣. تفريغ نتائج التحليل في استمارة التحليل.

ب. قواعد التحليل

١- تعامل كل كلمة تمثل قيمة صريحة أو ضمنية قيمة رئيسة.

٢- تعامل الكلمات المشتقة من الكلمات التي تمثل قيما صريحة أو ضمنية قيمة رئيسة.

٣- في حالة وجود كلمة تشير إلى قيمة غير واردة في التصنيف يجب ذكرها.

خامساً: الوسائل الإحصائية.

استعمل الباحث لمعالجة البيانات الوسائل الإحصائية الآتية:

- معادلة (Copr):

عدد مرات الاتفاق

معامل الثبات = ---------- × ١٠٠

عدد مرات الاتفاق + عدد مرات الاختلاف

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

يضم هذا الفصل عرضاً وتفسيراً للنتائج التي توصل إليها الباحثان في ضوء هدف الدراسة (تحليل محتوى أحاديث الإمام الحسن عليه السلام في ضوء القيم التربوية) توصل الباحثان إلى القيم الآتية:

١ – التقوى.

وهي العنصر الذي يأخذ بيد الإنسان نحو السبيل إلى الله والوصول إلى مدارج الكمال في قيادته وتدبيره. قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ الأعراف/ ٩٦ وقد كان الإمام الحسن أعبد الناس في زمانه، ومن أكثرهم إخلاصاً وطاعة لله، وإذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى شهق شهقة يغشى عليه منها. وعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: أن الحسن عليه السلام قال: إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم امش إلى بيته، فمشي عشرين مرة من المدينة إلى مكة على رجليه (المجلسي: ١٩٨٣: ٣٣٩).

٢ – الصدق.

هو مطابقة الواقع، وأشرف الفضائل النفسية، والمزايا الخلقية، لخصائصه الجليلة، فهو زينة الحديث ودواؤه، ورمز الاستقامة والصلاح. والصدق من الصفات التي ينبغي أن يتَّصف ويتحلَّى بها المسلم، فمن صفات المسلم الصدق، ومن صفات الكافر والمنافق الكذب، لذا كان يلقب نبيُّنا الأكرم صلى الله عليه وآله قبل بعثته بالصَّادق الأمين.

٣– صلة الرحم.

أكد الإسلام على صلة الرَّحِم وأهمية تقويتها وتقويمها، كأصل من أصول السعادة

الأسرية، وكأساس متين من أسس البنية الاجتماعية أخذت حيِّزاً هاماً من كتاب الله المجيد، ومن أحاديث النبي وأهل بيته الكرام، صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين.

٤- الحياء.

وهو شعور تراعى فيه المثل والقيم والضوابط الاجتماعية، ويسهم بشكل فعّال في ضمان تنفيذ القوانين والمنع من الإقدام على التجاوز والاعتداء، وهو الذي يحصن الإنسان من جميع ألوان الانحراف والرذيلة. يقول الإمام علي عليه السلام: (الحياء لباس سابغ، وحجاب مانع، وستر من المساوئ واقٍ، وحليف للدين، وموجب للمحبة، وعين كالئة تذود عن الفساد، وتنهى عن الفحشاء) (ابن أبي الحديد: ١٩٦٧: ٢٧٣).وقد وردت هذه القيم الثلاثة (الصدق، وصلة الرحم، والحياء) في حديث الإمام الحسن عليه السلام إذ يقول: مكارم الأخلاق عشرة، صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الصدق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والترحم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقريّ الضيف، ورأسهن الحياء (اليعقوبي: د.ت: ٢٢٦).

٥- التواضع.

هو أن يرى الإنسان نفسه في نفسه من حسن خُلقه وجميل عشرته للناس، ولا يتعالى على أحد منهم، ولا يرى أنّه فوقهم، بل يشكر الله على كلِّ نعمة فضَّله الله بها عليهم. فالتواضع خلق كريم، يستهوي القلوب، ويستثير الإعجاب والتقدير، وناهيك في فضله أن الله تعالى أمر حبيبه، وسيد رسله صلى الله عليه وآله بالتواضع، فقال: ﴿**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾. الحجر / ٨٨.

وكان الإمام الحسن عليه السلام متواضعا يروى إنه مر على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز كانوا قد التقطوها من الطريق، وهم يأكلون منها فدعوه إلى مشاركتهم فأجابهم إلى ذلك وهو يقول: (إن الله لا يحب المتكبرين) ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم (القريشي: ١٩٦٥: ٢٩١).ومن عظيم تواضعه انه كان جالساً في مكان فأراد الانصراف منه فجاءه فقير فرحب به ولاطفه وقال: انك جلست على حيث قيام منا أفتاذن لي بالانصراف؟ فقال نعم يا أبن رسول الله (السيوطي: ١٩٥٣: ٧٣).

٦- العفة.

وهي الامتناع والترفع عمّا لا يحل أو لا يجمل، من شهوات البطن والجنس، والتحرر من استرقاقها المُذِل. وتعد من أنبل السجايا، وأرفع الخصائص. الدالةعلى سمو الإيمان، وشرف النفس، وعزّ الكرامة.

يروى أن الإمام الحسن ﷺ دخلت عليه امرأة جميلة وهو في صلاته فأوجز فيها ثم قال لها: ألك حاجة؟ قالت: نعم قال: وما هي قالت قم فأصب مني فأني وفدت ولا بعل لي قال: إليك عني لا تحرقيني بالنار ونفسك، فجعلت تراوده عن نفسه وهو يبكي ويقول: ويحك إليك عني واشتد بكاؤه فلما رأت ذلك بكت لبكائه فدخل الحسين ﷺ ورآهما يبكيان فجلس يبكي وجعل أصحابه يأتون ويجلسون ويبكون حتى كثر البكاء وعلت الأصوات فخرجت المرأة وقام القوم وترحلوا ولبث الحسين ﷺ بعد ذلك لا يسأل أخاه عن ذلك إجلالا فبينما الحسن ﷺ ذات ليلة نائماً إذ أستيقظ وهو يبكي فقال له: الحسين ﷺ ما شأنك؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة قال: وما هي؟ قال لا تخبر أحداً ما دمت حيا. قال: نعم، قال: رأيت يوسف فجئت أنظر إليه فيمن نظر فلما رأيت حسنه بكيت فنظر إلي في الناس فقال ما يبكيك يا أخي بأبي أنت وأمي؟ فقلت: ذكرت يوسف وامرأة العزيز وما أبتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وحرقه الشيخ يعقوب فبكيت من ذلك وكنت أتعجب منه فقال يوسف فهلا تعجبت مما فيه المرأة البدوية بالأبواء (المجلسي: ١٩٨٣: ٣٤٠).

دخل الإمام الحسن ﷺ على نهر الفرات في بردة كانت علية فقال له رجلٌ: لو نزعت ثوبك، فقال: إن للماء سكاناً (الطبرسي: د.ت: ٣٨٢).

٧- غنى النفس.

أغنى الغنى غنى النفس فانه برضا خاطره يشعر بالاستغناء عمّا في أيدي الناس، وان هذه لهي الثروة الحقيقة. وقد ذكرنا أمير المؤمنين علي ﷺ بهذا المعنى ببيان جميل إذ قال: (ان أكيس الكيس من اقتنى اليأس ولزم القنوع والورع، وبريء من الحرص والطمع. فان الطمع والحرص الفقر الحاضر وان اليأس والقناعة الغنى الظاهر) (الواسطي: ١٣٧٦: ١٦٠).

وقد وردت هذه القيمة في حديث الإمام الحسن ﷺ إذ قال: رضا النفس بما قسم الله لها وان قل ، فإنما الغنى غنى النفس (القريشي: ١٩٦٥: ٢٧٠).

٨- الجهاد.

يعد الجهاد في سبيل الله من أعظم الطاعات وأشرف الأوامر الإلهية لبلوغ أقصى غاية يسعى إليها الإنسان المسلم وهو الموت في سبيل الله، ولأنه كذلك فقد أصبح الباب العظيم الذي يشرف إليه خواص الأولياء فيعرجون من خلاله إلى ربهم المتعالي حيث السعادة العظمى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يروى نادى منادي الكوفة - الصلاة جامعة -، واجتمع الناس فخرج الإمام الحسن ﷺ، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها، ثم قال لأهل الجهاد: اصبروا إن الله مع الصابرين. فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون. انه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك. لذلك اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم في النخيلة حتى ننظر وتنظرون، ونرى وترون) (الموسوي: د.ت: ٣٧١)

٩- المجد.

رأى كثير من الناس، ان الشمم الهاشمي الذي اعتاد ان يكون دائماً في الشواهق، كان أليق بموقف الحسين ﷺ، منه بموقف الحسن ﷺ.وهذه هي النظرة البدائية التي تفقد العمق ولا تستوعب الدقة.

فما كان الحسن في سائر مواقفه، إلا الهاشمي الشامخ المجد، الذي واكب في مجادته مُثُلَ أبيه وأخيه معاً، فاذا هم جميعاً أنموذج المصلحين المبدئيين في التاريخ. ولكل جهاده، ورسالته، ومواقفه التي يستمليها من صميم ظروفه القائمة بين يديه، وكلها الصور البكر في الجهاد، وفي المجد، وفي الانتصار للحق المهتضم المغصوب.

وكان احتساء الموت - قتلاً - في ظرف الحسين، والاحتفاظ بالحياة - صلحاً - في ظرف الحسن، بما مهدا به - عن طريق هاتين الوسيلتين - لضمان حياة المبدأ، وللبرهنة على إدانة الخصوم، هو الحل المنطقي الذي لا معدى عنه، لمشاكل كل من الظرفين، وهو الوسيلة الفضلى

إلى الله تعالى، وان لم يكن الوسيلة إلى الدنيا. وهو الظفر الحقيقي المتدرج مع التاريخ وان كان فيه الحرمان حالاً، وخسارة السلطان ظاهراً.

وكانت التضحيتان: تضحية الحسين بالنفس، وتضحية الحسن بالسلطان، هما قصارى ما يسمو إليه الزعماء المبدئيون في مواقفهم الإنسانية المجاهدة. (الموسوي: د.ت: ٣٧١).

١٠- الكرامة.

مبدأ أخلاقي يقرر أنّ الإنسان ينبغي أن يعامل على هذا أنهُ غاية في ذاته لا وسيلة. وكرامته من حيث هو إنسان فوق كلّ اعتبار(العيد: ١٩٨٨: ١٠٣٧).

١١- العزة.

خلاف الذلة، واستصغار ما دون النهاية من معالي الأمور وطلب المراتب السامية، واستحقار ما يجود به الإنسان عند العطية، والاستخفاف بأوساط الأمور، وطلب الغايات والتهاون بما يملكه، وبذل ما يمكنه من غير امتنان ولا اعتداد به. وقد وردت كلمة العز والعزة في عدة آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ المنافقون/ ٨، أي له العزة والغلبة سبحانه وقوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ فاطر/ ١٠.

وتظهر قيمتا الكرامة والعزة واضحتين في مناظرة الإمام الحسن عليه السلام في تعريف نفسه وإظهار مساوئ معانديه.

روى أن الحسن بن علي عليه السلام وفد على معاوية، فحضر مجلسه، وإذا عنده علية القوم، ففخر كل رجل منهم على بني هاشم، ووضعوا منهم وذكروا أشياء ساءت الحسن بن علي عليه السلام وبلغت منه فقال، الحسن بن علي عليه السلام: أنا شعبة من خير الشعب، وآبائي، أكرم العرب، لنا الفخر والنسب والسماحة عند الحسب، ونحن من خير شجرة انبتت فروعا نامية، وأثمارا زاكية، وأبدانا قائمة فيها أصل الإسلام، وعلم النبوة فعلونا حين شمخ بنا الفخر واستطلنا، حين امتنع بنا العز، ونحن بحور زاخرة، لا تنزف، وجبال شامخة لا تقهر.

فتكلم مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة ووضعوه وأباه فتكلم الحسن عليه السلام فقال: يا مروان

اجبنا، وخورا، وضعفا وعجزا، زعمت، إني مدحت نفسي وأنا ابن رسول الله وشمخت بأنفي وأنا سيد شباب أهل الجنة وإنما يبذخ و يتكبر ويلك من يريد رفع نفسه ويتبجح من يريد الاستطالة، فأما نحن فأهل بيت الرحمة، و معدن الكرامة، و موضع الخيرة وكنز الإيمان، ورمح الإسلام، و سيف الدين.... ويحك، أنا ابن خيرة، الإماء، وسيدة النساء، غذانا رسول الله صلى الله عليه وآله بعلم الله تبارك وتعالى فعلمنا تأويل القرآن، ومشكلات الأحكام، لنا العزة العليا والفخر والسناء) (الطبرسي: د.ت: ١٤٣٧: ٤١٧. ٤١٨)

١٢- الشجاعة.

من أمهات الأخلاق وأصولها فضلاً عن الحكمة والعفة والعدل.(الغزالي: د.ت: ١٤٣٧) فالشجاعة: شدة القلب عند البأس، والرجل الشجاع قيل الذي فيه خفة كالهوج لقوته. (الرازي: ١٩٨٣: ٣٣٠) وإن الشجاع يصدر منه: الكرم، والنجدة، والشهامة، وكبر النفس، والاحتمال، والحكم، والثبات، وكظم الغيظ، والتودد، والوقار).

وتظهر قيمة الشجاعة في رد الإمام الحسن عليه السلام على عبد الله بن الزبير حين أتهمه وعاب عليه تسليم الأمر وصلحه مع معاوية، ولم يخف على الإمام ما يستبطنه ابن الزبير من عداء لآل الرسول فردعه قائلا: (وتزعم أني سلمت الأمر وكيف يكون ذلك، ويحك وأنا ابن أشجع العرب وقد ولدتني سيدة نساء العالمين لم أفعل ذلك ويحك جبناً ولا ضعفاً ولكنه بايعني مثلك وهو يطلبني البترة ويداجيني المودة ولم أثق بنصرته) (القريشي: ١٩٦٥: ٢٧٣).

١٣- التفكر.

سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد، ولا يرتقي من النقص إلى الكمال إلا بهذا السير، ومبادئه الآفاق والأنفس بأن يتفكر في أجزاء العالم وذراته وفي الأجرام العلوية والكواكب، وفي الأجرام السفلية، برها وبحرها ومعادنها وحيواناتها، وفي أجزاء الإنسان وأعضائه وما فيها من المصالح والحكم وغيرها، مما يستدل بها على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته، فالتفكر من حيث خلقها وإتقان صنعها وغرائب الصنع وعجائب الحكم الموجودة فيها، أثره الإيقان بوجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته، ومن حيث تغيرها وفناؤها بعد وجودها، أثره الانقطاع

منها والتوجه بالكلية إلى خالقها وبارئها، ونظيره التفكر في أحوال الماضين وانقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها ورجوعهم إلى دار الآخرة، فإنه يوجب قطع المحبة عن غير الله، والانقطاع إليه بالطاعة والتقوى(المشكيني: د.ت: ١٤٢).

وقد وردت هذه القيمة جلية في حديث الإمام الحسن عليه السلام بقوله: (عليكم بالفكر فإنه حياة قلب البصير ومفاتيح أبواب الحكمة) (الديلمي: ١٤٠٨: ٢٩٧).

١٤- الخلق.

امتاز العرب منذ القدم بمكارم الأخلاق، ويؤكد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله (إنما بعثتُ لأتمّمَ مكارمَ الأخلاقِ) (الغماري: ١٩٨٣: ١٧٨) وقد سبقه الله سبحانه وتعالى حيث قال في كتابه العزيز ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ القلم / ٤. ومما يدل على أخلاق الأمام الحسن عليه السلام قوله (عنوان الشرف الخلق) (التوحيدي: د.ت: ٦٣) فهنا يربط بين الشرف والخلق إذ إن شرف الإنسان ومكانته بين الناس مرتبطة بحسن أخلاقه وسيرته.

١٥- قضاء الحاجة.

لا يخفى إن الشخص الذي يسعى في سبيل حاجة أخيه ويتوفق لقضائها فهو يدخل السرور بذلك على قلبه ويكشف كربته، وقد عدّ الإمام الحسن عليه السلام قضاء حوائج الناس من نعم الله على الفرد وظهر ذلك جليا في قوله لجماعة: (إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتتحول نقماً، وأعلموا إن المعروف مكسبٌ حمداً ومعقبٌ أجراً فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوهاً تنفر عنهُ القلوب والأبصار) (المالقي: ١٩٨٤: ٢٤١).

وفي رواية أخرى عن الصدوق – رحمه الله – عن ميمون بن مهران، قال: كنت جالسا عند الحسن بن علي عليهما السلام، فأتاه رجل فقال له: يا ابن رسول الله إن فلانا له علي مال، ويريد أن يحبسني، فقال: " والله ما عندي مال فاقضي عنك " قال: فكلمه فلبس عليه السلام نعله، فقلت له: يا ابن رسول الله أنسيت اعتكافك؟ فقال: (لم أنس ولكني سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله عز وجل تسعة آلاف سنة صائما نهاره

قائما ليله) (الحلي: د.ت: ٢٩٥).

١٦- العلم.

عنى الإسلام بهذه القيمة وأكد أهميتها في حياة المسلمين في كثير من آيات القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ العلق/ ١-٥ فالعلم كلمة لها قدسيتها في الإسلام وهي تحمل في طياتها كل ما فيه صلاح البشر جميعاً، بل أن البشر فضلوا على الملائكة بالعلم، وبه استحقوا خلافة الله في الأرض، (العيد: ١٩٨٨: ٨٦١).

قال الإمام الحسن ﷺ: علم الناس علمك، وتعلم علم غيرك، فتكون قدأتقنت علمك، وعلمت ما لم تعلم (الحراني: د.ت: ٥٣٤).

١٧- الوفاء بالعهد.

إن الوفاء بالعهد من عوامل التّعايش الاجتماعيّ، وهو من أركان سعادة المجتمع، وله الأثر الكبير في جميع شؤون حياة الناس، وهو الأساس الذي يبنى عليه التقدّم، وان نقض العهود أكثر العوامل أثراً في تشتيت شمل المجتمع الإنساني وان شيوعه بينهم يسبب لهم الضعف والانحطاط، ويوهن حبال المودة بين الناس ولا شك أن المجتمع الذي يحكمه التشتت وفقدان الثقة المتبادلة سيفقد توازن الحياة وتعادله، ولا يطمئن أحد بأحد حتى أقرب الأقرباء إلى أقربهم. وقد راج سوق نقض العهود والخداع ضمن الانحطاط الأخلاقي الذي أصيب به الناس في هذا العصر، وقد تفشّت صفة المجاملة في الأخلاق العامّة، بصورة رهيبة. فيوجد في المجتمع أفراد لا يعتدّون بمواعيدهم، بل يعدّون الخداع نوعاً من الحذق والذكاء والفطنة، ويباهون به الآخرين.

وقد وصف الإمام الحسن ﷺ الوفاء بالعهد أجمل وصف إذ وقال ﷺ: (المسؤول حر حتى يعد ومسترق حتى ينجز) (الأمين: د.ت: ٥٧٨).

١٨- الصبر.

هو استطاعة الفرد على ضبط أعصابه في أحرج المواقف، وممّا يدعو إلى تماسك الشخصية وتوازنها الصبر على الأحداث وعدم الانهيار أمام محن الأيام وخطوبها(العيد: ١٩٨٨: ٧١٧) ولقد أكد الإسلام أهمية التحلي بهذه القيمة وحث المسلمين عليها، إذ من يتحلى. بها فان الله يثيبه بغير حساب قال تعالى:﴿ **وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ النحل/ ٩٦، وقال تعالى: ﴿**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾ الإنسان/ ١٢، وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَّمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ السجدة/ ٢٤ وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه أيوب ﷺ لصبره بقوله: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ ص/ ٤٤. قال الديلمي إن الحسن بن علي ﷺ خطب بأصحابه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما والله ما أثنانا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع...) (الديلمي: ١٤٠٨: ٢٩٢).

الفصل الخامس

الاستنتاجات

في ضوء النتائج التي توصل إليها الباحث يضع الاستنتاجات الآتية:

١. القيم التربوية متصلة بعضها ببعض، فهي كالشجرة التي يمد بعضها بعضا، إذ لا ينبغي التركيز على قيم وإهمال قيمٍ أخرى.

٢. إن بذرة القيم التربوية التي هي قوام منهج الإسلام الشامل في نفوس الأفراد هي الضمان لتحقيق أهداف التربية الإسلامية.

٣. إن القيم التربوية ترتبط ارتباطاً صميمياً بثقافة الأمة، لذا فإن فصل القيم التربوية الإسلامية عن إطارها الثقافي السليم، ودمجها في مناخ من الازدواجية الثقافية، أو تركها تحت طائلة الغزو الثقافي من خلال التأثر بالقيم الغربية، يعرضها للذوبان وينزع منها الفعالية في صياغة الشخصية الإسلامية القوية وصنع الواقع الحضاري السليم.

٤. إن المصدر الرئيسي للقيم التربوية هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفكر أهل

البيت وتراثنا العربي الأصيل.

٥. إن أول شيء تثمره القيم التربوية الإسلامية في البناء الشخصي للإنسان المسلم هو تقوية صلته بالله.

التوصيات:

في ضوء ما توصل إليه الباحثان من استنتاجات يورد التوصيات الآتية:

١- على الباحثين الاهتمام بأحياء نفائس التراث التربوية الإسلامية التي تغيب عن أذهان الكثيرين في هذا العصر،فالاهتمام بهذا الجانب مسؤولية كل مربي لأبراز أثر الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في المجال التربوي .

٢- الدعوة لعقد الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية التي يسهم فيها الأساتذة والطلبة لمناقشة القيم التربوية بشكل عام وما يحتويه تراث أهل البيت من قيم تربوية كثيرة

٣- تبني وزارتي التربية والتعليم العالي والبحث العلمي تبني المنظومة القيمية المطروحة في هذا البحث، لترسيخها في نفوس الطلبة من طريق رسمها للأهداف التربوية في كلتا الوزارتين.

المقترحات:

يقترح الباحث الآتي:

١- القيام بدراسة مماثلة وذلك بالاعتماد على التصنيف الحالي لأئمة أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم.

٢- أجراء دراسة مقارنة للقيم التربوية في أحاديث الإمام الحسن عليه السلام وشخصيات أخرى.

المصادر والمراجع

* ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، ١٩٦٧.
* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣.
* أبو العينين، علي خليل: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، ١٩٨٥.
* بن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، طبعة محققة ومفهرسة نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٤.
* لأمين الإمام السيد محسن. أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات بيروت،ج١.
* البياتي، عبد توفيق: الأخلاق الإنسانية في القرآن و السنة النبوية و نظريات علم النفس، المجلة العراقية للعلوم التربوية و النفسية و علم الاجتماع، مجلد١، عدد ١، ٢٠٠١ بحث منشور.
* التميمي، عواد جاسم محمد المنهج وتحليل الكتاب، دار الحوراء، بغداد ٢٠٠٩.
* التوحيدي، أبو حيان حاتم بن حيان السبتي(ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م- الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين.
* جابر، جودت بنى:، علم النفس الاجتماعي، دار الثقافة، عمان، ٢٠٠٤.
* جابر، عبد الحميد جابر: علم النفس التربوي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٧.
* الجمالي، محمد فاضل: الفلسفة التربوية في القرآن،ط٣،تونس،دار الكتاب الحديث،١٩٦٦.
* الحران، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (ت ق ٤هـ/ ق١٠م) – تحف العقول عن آل الرسول، دار المرتضى.
* حسين، سمير محمد: تحليل المضمون، ط١، عالم الكتب، القاهرة،١٩٨٣.
* الحسيني، سناء عبد الأمير: الأمن النفسي وأثره في تغير القيم لدى طلبة الجامعة. بغداد جامعة بغداد، ١٩٩٥ م، (رسالة ماجستير غير منشورة).
* الحلي، الحسن بن يوسف المطهر. تذكرة الفقهاء، (ت- ٧٢٦)، تحقيق: مؤسسة أل البيت ﷺ لإحياء التراث، قم.
* حمادة، عبد المحسن عبد العزيز: التربية والتقدم في الأمة العربية، المؤتمر الفكري الثاني للتربويين العرب، الأمانة العامة للاتحاد، بغداد، ١٩٧٨.
* الديلمي، حسن بن أبي الحسن (ت ق ٨هـ/ ق١٣م)- أعلام الدين، مؤسسة أهل البيت (قم، ١٤٠٨هـ).
* الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٧٢.
* الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت،١٩٨٣.
* رزوق، اسعد: موسوعة علم النفس، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧.
* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) – تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين، مطبعة السعادة،ط١، القاهرة، ١٩٥٣.
* الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) – الاحتجاج، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، سلسلة كتب المناظرات(٥)، إعداد مركز الأبحاث العقائدية.
* الطبرسي، حسين النوري (ت١٣٢٠هـ). مستدرك

الوسائل ومستنبط المسائل تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ج١.
* الطبرسي، أبو علي بن الحسن (القرن السادس الهجري): مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.
* العاني، رؤوف عبد الرزاق: اتجاهات حديثة في تدريس العلوم، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ١٩٧٦
عبد الرحمن، حسين وزنكنة، عدنان حقي شهاب: الأنماط المنهجية وتطبيقاتها في العلوم الإنسانية والتطبيقية، دار الكتب والوثائق، بغداد، ٢٠٠٧.
* العزاوي، رحيم يونس كرو، القياس والتقويم في العملية التدريبية، الطبعة الأولى، دار دجلة، الأردن، ٢٠٠٧م.
* العيد، احمد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، تقديم الأستاذ الدكتور محي الدين صابر، جميع حقوق التأليف والنشر محفوظة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم توزيع لاروسي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
* الغانم، حسين: صراع القيم، سلسلة الإسلام يفرض نفسه، دار المنار، العدد ٢،بيروت، ١٩٩١م
الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين.
* الغماري، أبو الفضل عبد بن محمد الصديق (ت٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) - الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين،ط١ (بيروت،١٩٨٣م).
* الفراهيدي، الخليل بن احمد: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، انتشارات أسوة، إيران، ١٤١٤هـ.
* القريشي، محمد باقر. حياة الإمام الحسن، تقديم، محمد كاشف الغطاء، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٥.
* القيسي، مروان إبراهيم: المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم و السنة الشريفة، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية)، المجلد٢٢(أ)، ١٩٩٥، بحث منشور.
* القيسي، ميادة إبراهيم: القيم التربوية في فكر الإمام زين العابدين ﷺ ، العراق، بغداد، رسالة، ٢٠٠٨ (ماجستير غير منشورة).
* كنعان، احمد: شعر الأطفال في سورية دراسة في تحليل المضمون التربوي، ط١، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مزة، أبو ستراد، سورية، ١٩٩٥.
* لطفي، أحمد بركات: القيم والتربية، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٣.
* المالقي، أبو القاسم بن رضوان (ت٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) - الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق: د. علي سامي، الدر البيضاء، ط١ (المغرب، ١٩٨٤م).
* المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٧٥٦م)- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (بيروت،١٩٨٣م).
* المذخوري، وسام علي حاتم: القيم التربوية في فكر الشهيد محمد الصدر، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٧ (رسالة ماجستير غير منشورة) المرتضى، ديوان الشريف المرتضى، تحقيق: رشيد الصفار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٨.
* المرزوق، إحسان عبد الله، وآخرون: القيم ومظاهرها السلوكية، ط٣، وزارة التربية، السعودية، ٢٠٠٨ مركز تنمية الكتاب العربي: القيم التربوية في ثقافة الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.
* المشكيني، آية الله. دروس في الأخلاق.
* المفتي، محمد أمين. سلوك التدريس، مطبعة نهضة

مصر، القاهرة، ١٩٨٤.
* الموسوي، عبد الحسين شرف الدين. صلح الحسن د. ت ١٣٧٧.
* النبهان، موسى: أساسيات القياس في العلوم السلوكية، الطبعة العربية الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن،٢٠٠٤ م.
* النجيحي، محمد لبيب: مقدمة في فلسفة التربية، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.
* النوري، قيس: الحضارة والشخصية، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨١.
* الواسطي، أبو الحسن علي بن محمد الليثي. عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ: حسين الحسيني البيرجندي، قم، دار الحديث، ١٣٧٦.
* وهيب، محمد ياسين: دراسة مقارنة للقيم بين الناجحين وغير الناجحين في مهنة التدريس، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد ١٤، السنة ١٥، الموصل، ١٩٨٩م.
* اليعقوبي، احمد بن واضح بن يعقوب بن جعفر بن وهب (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)- تاريخ اليعقوبي، بيروت.

قبسات تربوية في فكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

م. نسرين حمزة السلطاني

قسم العلوم / كلية التربية الاساسية / جامعة بابل

تمهيد

انّ بناء مجتمع نموذجيّ وتربية أشخاص بشكل سليم وصحيح، يحتاج إلى أصول وأساليب يتمكّن الإنسان ومن خلالها الوصول إلى السعادة بعيداً عن الانحرافات. إنّ تقديم أكمل الأساليب التربويّة يقرّب الإنسان من السعادة الحقيقيّة والحياة الخالدة، ومن رضا الله تعالى. ويمكن الحصول على هذه الأساليب من خلال حياة وسلوك وأقوال الأشخاص القدوة الحقيقيين في الدين الإسلاميّ أي الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

الإنسان موجود متعال يمتلك استعداد الوصول إلى الكمال، وهو بحاجة في مسيره التكامليّ إلى أسلوبٍ تربوي قويّ وكامل. والإنسان الفاقد للتربية، فاقد لجميع الأمور، لذلك ينبغي السعي نحو تربية الروح.

وتُعدّ العائلة من أهمّ أسباب التربية والهدف منها إيجاد وتربية الأجيال وهدايتها نحو الأهداف التربويّة الصحيحة. والعائلة هي المكان المقدّس الذي وضعت أسسه في الارتباط الزوجيّ بين إنسانين والتي تتّخذ شكلاً جديداً مع وجود الأبناء. أمّا نتيجة هذا الارتباط فهم الأبناء الذين قد يكونون في المستقبل صالحين أو طالحين في المجتمع. ويعتقد علماء النفس الاجتماعيّون أن العائلة واحدة من الأشكال التي حفظت آثار الحضارة. وقد وصل إلينا عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام آثار مهمّة في مجال تأثير وأهمية العائلة في عملية التربية الصحيحة.

والمربّي يمكنه إرشاد المتربّين نحو أهدافه عن طريق الإرضاء الصحيح لمسألة التفوّق وبالتالي يشجعهم على النشاط والفعاليّة في سبيل الحصول على الكمالات، وتجسد بدعوة الإمام الحسن عليه السلام أبناءه وأبناء أخيه ثم خاطبهم قائلاً: "إنكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته. بهذا الأسلوب حاول الإمام عليه السلام ترغيب أبنائه اكتساب العلم والدرس حيث ساروا بعشق ومحبّة على هذا الطريق حيث لا مجال فيه للتهديد والوعيد.

الفصل الأول

لمحات في تنشئة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

التاريخ المشرق للأئمة الأطهار عليهم السلام من أجمل ألوان الحديث وان السيرة العطرة بالاريج من اعذب اليسير وان كلماتهم اجمل واحلى الكلمات ، حيث كلامهم نور وامرهم رشد ووصيتهم التقوى وفعلهم الخير وعادتهم الاحسان فهم القادة العظام وابواب علم النبوة وخزان كنوز الوحي وحاملو اسرار التنزيل فهم الإسلام الأصيل، والعالم يجب ان ينظر إلى القيم والفكر والعقيدة الاسلامية من نافذة البيت المقدس المطهر وهذه البيوت مقدسة رفعها الله وعظم شأنها وقد قال تعالى: ((في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال)) النور٣٦.

في هذه البيوت ولد الإمام الثاني كريم أهل البيت الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام ، الحديث في هذه الليلة عن أحد الأئمة ، والأنوار الإلهية التي تجلت في العترة الهادية عليهم آلاف التحية والثناء ، في هذه الليلة نحاول ان نقتبس من نوره قبسات كي نسير اثر مسيرته ونهتدي بهداه[1] . ولد الإمام الحسن عليه السلام في الخامس عشر من شهر رمضان في السنة الثالثة للهجرة على رواية الشيخ المفيد طاب ثراه.

هذا الإمام العظيم المظلوم عاش في كنف النبي المصطفى صلى الله عليه وآله ، وورث صفاته الخَلقية والخُلقية ، وجميع الإمكانيات الروحية وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقا وخُلقا ومنطقا وسؤدداً وهدياً[4]. قال أنس بن مالك : (لم يكن احد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليه السلام) كما روي ان السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت اذا رقصت الحسن قالت :

أنت شبيهٌ بأبي لست شبيها بعلي.

نشأ في ظل الاسرة النبوية ، وتغذى بطباعها وأخلاقها .

ومن الأمور التي ظفر بها الإمام الحسن عليه السلام :

أولا : التربية النبوية : كان للنبي صلى الله عليه وآله وآله الأثر الكبير في تنشئته والاهتمام به وبأخيه الإمام الحسين عليهما السلام ، وكانا الأنشودة التي يرددها في كل مناسبة، الحسن والحسين إمامان ان قاما ، وان

قعدا وهما ريحانتاي من الدنيا ، الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[٣].

وكان رسول الله ﷺ يخطب فإذا جاء الحسن والحسين عليهما السلام عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملها ووضعهما بين يديه ، هذا ماذكره الترمذي في سننه .

نعم شخصية الخاتم ص وآله تجسدت في شخص الإمام الحسن عليه السلام ، بجميع مقاماتها ماعدا النبوة .

ثانيا : التربية العلوية : الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي وضع لولده الحسن قواعد الأدب ، والخُلق الكريم ، وأصول التربية ، وغذاه بالحكمة ، ورسم له مكارم الأخلاق .

ثالثا : التربية الفاطمية : ولا ننسى ان الأم هي المدرسة الأولى فقد غمرته بالعطاء والحنان وغذته بالآداب فهي تفاحة الفردوس والوجود ، وجوهرة القدس .

وترعرع ونما في أجواء الدين وعبق الرسالة ،فقدعاش الإمام طفولته في ظلال النبوة. وعلاقة رسول الله ﷺ بابنه الحسن عليه السلام فاقت حدود العلاقة العائلية الموروثة كعلاقة الأب بابنه وما يصحب هذه العلاقة من انشدادات عاطفية وانجذاب مشترك بين الطرفين، بل كانت علاقة تتجاوز هذا الحد. فالرسول المصطفى ﷺ يرعى تربية الحسن عليه السلام رعاية مميزة وخاصة، فكان يغذيه بآدابه ومعارفه ،فقد كان يخشى عليه من كل مكروه لحبه له وخوفه عليه لأنه أمانة الله عنده ووصي من بعد أبيه عليه السلام. والامتداد الطبيعي للرسالة الإسلامية. فكانت طفولة الإمام المجتبى في عهد النبي الأعظم ﷺ قد التقت بها جميع العناصر الحية ،فالرسول ﷺ تولى تربيته ، وأفاض عليه بمكرمات نفسه .وبذلك سمت مرحلة طفولته لتكون مثلا للتكامل الإنساني .وأما المدة التي عاشها الإمام في كنف النبي ﷺ، فكانت سبع سنوات وستّة أشهر من عمره الشريف. وهذا المدة من العمر كافية للتربية لاسيما أن المربي رسول ونبي ،وهنا حتما ستكون تلك التربية مختلفة ،حيث غرس الإيمان في نفس المتربي [٥].

و إن النبي ﷺ، قال في حديث له:"لو كان العقل رجلاً لكان الحسن" . وقد زق الإمام المجتبى العلم زقا ، فلقد كان عليه السلام وعلى صغر سنه، يأتي إلى مجلسه ﷺ فيصغي بسمعه إلى حديث جده ﷺ وهو يبث رسالة الله في الناس، وبعد أن يستمع الحسن عليه السلام إلى ما قاله رسول الله ﷺ

ينطلق مسرعاً إلى أمه فاطمة عليها السلام فيخبرها بلسان فصيح صادق كلّ ما دار في حديث الرسول صلى الله عليه وآله مع الناس، فيأتي الإمام علي عليه السلام فتخبره فاطمة عليها السلام بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله في المجلس فيسأل الإمام علي عليه السلام عن الذي أخبرها بذلك، فتقول: ابنك الحسن عليه السلام. فتخفّى عليّ عليه السلام يوماً في الدار ليستمع إلى ما يقوله الحسن عليه السلام من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل الحسن عليه السلام وقد جاء من مجلس الرسول صلى الله عليه وآله فأراد أن يلقي لوالدته الزهراء عليها السلام فارتج عليه الأمر، فعجبت أمه من ذلك فقال الحسن عليه السلام: لا تعجبي يا أماه فإن كبيراً يسمعني واستماعه قد أوقفني فخرج علي عليه السلام إليه فضمه وقبّله[٦].

ونرى أن الإمام الحسن عليه السلام كان منذ صغره يتلقى علوم الوحي من رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك من خلال الأسئلة عن أمور عديدة، منها ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام أنه: (بينما الحسن عليه السلام يوماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال: يا أبة ما لمن زارك بعد موتك؟ قال: يا بني من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة)[٧].

الفصل الثاني

*** الآثار العلمية لرسول الله صلى الله عليه وآله في شخصية ابنه الحسن عليه السلام**

لتوضيح الأثر العلمي لرسول الله صلى الله عليه وآله في شخصية ابنه الحسن عليه السلام يروي هذه القصة أحد حواريي رسول الله صلى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان يقول: (بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وجماعة من أصحابه، إذ أقبل إليه الحسن فأخذ النبي صلى الله عليه وآله في مدحه، فما قطع رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجر هراوة له، فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قد جاءكم رجل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم، وإنه يسألكم عن أمور، وإن لكلامه جفوة. فجاء الأعرابي فلم يسلّم وقال: أيكم محمد؟ قلنا: ما تريد؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مهلاً. فقال: يا محمد لقد كنت أبغضك ولم أرك والآن فقد ازددت لك بغضاً. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وغضبنا لذلك، وأردنا بالأعرابي إرادة، فأومى إلينا رسول الله أن اسكتوا. فقال الأعرابي: يا محمد إنك تزعم أنك نبي، وأنك قد كذبت على الأنبياء، وما معك من برهانك شيء. فقال له صلى الله عليه وآله: وما يدريك؟ قال: فخبّرني

ببرهانك. قال ﷺ: إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد برهاني. قال: أو يتكلم العضو؟ قال ﷺ: نعم يا حسن قم. فازدرى الأعرابي نفسه، وقال: ما يأتي، ويقوم صبي ليكلّمني. قال ﷺ: إنك ستجده عالماً بما تريد. فابتدره الحسن ﷺ: مهلاً يا أعرابي: ما غبياً سألت وابن غبي بل فقيهاً إذن وأنت الجهول فإنّ تك قد جهلت فإنّ عندي شفاء الجهل ما سأل السؤول ونجراً لا تقسّمه الدّوالي تراثاً كان أورثه الرسول لقد بسطت لسانك، وعدوت طورك وخادعت نفسك، غير أنك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله. فتبسم الأعرابي وقال له هيه: فقال له الحسن ﷺ: نعم، اجتمعتم في نادي قومكم وتذاكرتم ما جرى بينكم على جهل، وخرق منكم فزعمتم أن محمداً صنبور ـ أي لا خلف له ـ والعرب قاطبة تبغضه، ولا طالب له بثأره، وزعمت أنك قاتله، وكان في قومك مؤنته، فحملت نفسك على ذلك، وقد أخذت قناتك بيدك تؤمّه تريد قتله، فعسر عليك مسلكك وعمي عليك بصرك، وأبيت إلا ذلك، فأتيتنا خوفاً من أن يشتهر وإنك إنما جئت بخير يراد بك. أنبئك عن سفرك، خرجت في ليلة ضحياء، إذ عصفت ريح شديدة، اشتد منها ظلماؤها وأظلت سماؤها، أعصر سحابها، فبقيت محر غماً كالأشقر، إن تقدم نُحِر، وإن تأخر عُقر، لا تسمع لواطئ حسّاً، ولا لنافع نارٍ جرساً، تراكمت عليك غيومها، وتوارت عنك نجومها فلا تهتدي بنجم طالع، ولا بعلم لامع، تقطع محجّةٍ وتهبط لجّة، في ديمومة قفر، بعيدة القعر، مجحفة بالسّفر، إذا علوت مصعداً ازددت بعداً، الريح تخطفك، والشوك تخبطك، في ريح عاصف، وبرق خاطف، قد أوحشتك آكامها، وقطعتك سلامها، فأبصرت فإذا أنت عندنا فقرّت عينك، وظهر دينك وذهب أنينك. قال الأعرابي متعجباً: من أين قلت يا غلام هذا؟ كأنك كشفت عن سويداء قلبي، ولقد كنت كأنك شاهدتني وما خفي عليك شيء من أمري وكأنه علم الغيب. ثم قال الأعرابي للحسن ﷺ: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. فأسلم الأعرابي وحسن إسلامه، وعلّمه رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فقال: يا رسول الله ارجع إلى قومي فأعرّفهم ذلك؟ فأذن له ﷺ فانصرف إلى قومه ثم رجع ومع جماعة من قومه فدخلوا الإسلام، وكان الناس إذا نظروا إلى الحسن ﷺ قالوا لقد أعطي ما لم يعط

أحدٌ من الناس . هذا هو الحسن بن علي عليهما السلام يتحدث عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف به وقد نهل من معارف النبوة وتغذى من آداب الرسالة، فصار يقارع بذلك عقول الرجال على صغر سنه، بعد أن يفصح بأبلغ بيان دلائله ويكشف بأوضح بصائر صحيحه، لا سيما وأنه عاش في ظل الوحي ومعدن التنزيل، فلا شك في كونه يسير على خطى السلوك المحمدي ولقد قال جده المصطفى صلى الله عليه وآله فيه: (حسن مني وأنا منه).[٢]

*** أقوال تربوية في رحاب الإمام الحسن عليه السلام**

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: في المائدة اثنتا عشرة خصلة، يجب على كل مسلمٍ أن يعرفها: أربعٌ منها فرضٌ، وأربعٌ منها سنّةٌ، وأربعٌ منها تأديبٌ.. فأما الفرض: فالمعرفة، والرضا، والتسمية، والشكر. وأما السنة: فالوضوء قبل الطعام، والجلوس على الجانب الأيسر، والأكل بثلاث أصابع، ولعق الأصابع. وأما التأديب: فالأكل مما يليك، وتصغير اللقمة، والمضغ الشديد، وقلة النظر في وجوه الناس.

قال جابر: سمعت الحسن عليه السلام يقول: مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والتذميم على الجار ومعرفة الحق للصاحب، وقري الضيف، ورأسهن الحياء.

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: الحزم أن تنتظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك، والمجد حمل المعازم وابتناء المكارم، والسماحة إجابة السائل وبذل النائل، والرقة طلب اليسير، ومنع الحقير، والكلفة التمسك لمن لا يواتيك، والنظر بما لا يعنيك والجهل وإن كنت فصيحاً.

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودّة لمن لا همّة له ولا حياة لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك سعادة الدارين، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً.

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: أما المروءة: فإصلاح الرجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، ولين الكفّ وإفشاء السلام، والتحبب إلى الناس. والكرم: العطية قبل السؤال والتبرع بالمعروف، والإطعام في المحل. ثم النجدة: الذبّ عن الجار، والمحاماة في الكريهة، والصبر عند الشدائد[٨].

المصادر والمراجع

* بحار الأنوار ٤٣ : ٢٨٦ ـ ٢٨٧ / ٥١ ، باب فضائل الإمامين الحسنين عليهما السلام.
* كاصد الاسدي .. الإنترنت .
* السيرة النبوية / ابن هشام ٣ : ٣٣٠.
* بحار الأنوار ٥٠ : ٧٨ / ح ٣ ونحوه في العقد الفريد / ابن عبد ربه ٥ : ١٣٣.
* روضة الواعظين / محمد بن الفتّال النيسابوري : ١٨٦.
* المناقب / ابن شهرآشوب ٤ : ٩ ، ونحوه في السيرة النبوية / ابن هشام ٤ : ٣٨.
* البداية والنهاية ٢ : ٢٥٧ ، دلائل النبوّة / البيهقي ١ : ١٧٠.
* من تراث الإمام الحسن في رحاب الأخلاق والتربية/ / الإنترنت.